المشرق

السنة الخامسة والخمسون — تموز-تشرين ١ ١٩٦١

المسيح في الاسلام

بقلم ميشال الحايك
دكتور في اللاهوت، مجاز في الاداب
استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

الفصل الرابع

معجزات عيسى في طفولته

ورد في الحديث ان عدد الذين ارسلهم الله بالهدى للناس بلغ مائة واربعة وعشرين الف رسول. وقد ذكر القرآن القليل منهم باسمائهم، ولم يقصص عن الباقين. ولكن القرآن والحديث وسائر فروع العلم الاسلامي لم تذكر نبياً او رسولاً أتى بمعجزات كالتي جاء بها المسيح

عدًا ووصفاً . ومن هذه المعجزات ما ذكر القرآن ككلام عيسى في المهد ، وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى . ومنها ما لم يذكر عنها شيئاً وقد أخذه المؤرخون عن الاناجيل المنحولة حيث تكاثرت اعاجيب المسيح في طفولته ؛ وهي مما لا تستند صحته التاريخية الى شيء ، بل هي بالاحرى من صناعة مخيلة العامة التي كان يدفع بها الفضول الى كشف النقاب عن حوالي ثلاثين سنة خفية عاشها المسيح قبل بروزه للناس .

عن هذه النصوص الموضوعة اخذ المؤرخون في الاسلام وزادوا عليها احياناً ما شاؤا من قصص واعاجيب اشترك الشعب المسيحي والاسلامي في ترديدها ؛ وان لم يدعمها في الواقع اساس تاريخي . ولقد أثبتنا النصوص العربية واصولها مع فقرة لابن العربي يحاول فيها شرح سر هذه الخاصة التي أعطيت لعيسى دون سواه من الرسل والانبياء ، خاصة المعجزات . وفي زعم ابن العربي ، صاحب النزعة الغنوصية ، ان سر معجزات عيسى يعود الى معرفته بعلم الحروف ، وعلى الاخص بعلم كلمة (كنْ) الالهية الخلاقة التي اوجدت كل شيء واوجدت عيسى نفسه ، وعيسى هو كلمة الله ، دون سواه .

المعجزات

لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر ، فلما كان ابن تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدي المؤدب ، فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها عيسى ، فقال المؤدب قل : أبجد ... [1] .

ان عيسى لما اسلمته امه الى الكتاب ليعلمه المعلم فقال له المعلم : اكتب بسم الله ، فقال له عيسى عليه السلام : ما بسم الله ؟ قال المعلم : لا أدري ، فقال له : باء بهاء الله ، سين سناؤه ، ميم ملكه ، والله اله الالهة والرحمان رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة . ابو جاد[2] : الالف الاء الله ، البا. بهاء الله ، جيم جمال الله ، دال الله دائم . هوز : الهاء الهاوية ، الواو ويل لاهل النار ، الزاي واد في جهنم . وحطي : الحاء الله الحكيم ، الطاء الله الطالب لكل حق حتى يؤديه ، والياء آي أهل النار وهو الوجع . كلمن : كاف الله الكافي ، لام الله العليم ، ميم الله الملك ، نون البحر . صعفص : صاد الله الصادق ، والعين الله العالم ، والفاء الله الفرد ، وصاد الله الصمد[3] . قرشت : قاف الجبل المحيط بالدنيا الذي اخضرت منه السموات ، والراء رأي الناس لها ، والشين شيء لله ، والتاء تمت ابداً[4] .

---

١) كذا يبدأ نص الثعلبي وقد اهمله المؤلفون المذكورون ادناه .

٢) ابو جاد ، الاصل ابجد كما في باقي النصوص .

٣) البلوي يكتب صعفض ويشرح الضاد ؛ ومن المعروف ان هذا التركيب هو عبراني – آرامي – سرياني وليس في هذه اللغات حرف الضاد المختص بالعرب الذين ابقوا على اصل الترتيب .

٤) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٥١-٢٥٢ ، يرويه عن مسعر بن كدام الصوفي ويقول انه غريب ؛ ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٧٦ ؛ السيوطي ، كتاب اللآلى المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ١ : ٨٩ ؛ الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ؛ وهو مأخوذ عن الاناجيل الموضوعة في مختلف نصوصها ولغاتها ، راجع انجيل متى المزعوم ، ٣١ : ١-٣ ، ٣١ ، انجيل توما المزعوم ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، في

اعلم ايدك الله ان العلم العيسوي هو علم الحروف ولهذا اعطي النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة . فاذا انقطع الهواء في طريق خروجه الى فم الجسد سُمّيت مواضع انقطاعه حروفاً ، فظهرت اعيان الحروف ، فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو اول ما ظهر من الحضرة الالهية للعالم . ولم يكن للاعيان في حال عدمها شيء من النسب الا السمع ، فكانت الاعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الامر الالهي اذا ورد عليها بالوجود . فلما اراد لها الوجود قال لها : كُنْ فتكونت وظهرت في اعيانها . فكان الكلام الالهي اول شيء ادركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه . فأول كلمة تركبت كلمة كُنْ ، وهي مركبة من ثلاثة احرف كاف وواو ونون وكل حرف من ثلاثة ، فظهرت التسعة التي جذرها الثلاثة وهي اول الافراد وانتهت بسائط العدد بوجود التسعة من كُنْ فظهر بكُنْ عين المعدود والعدد . . .

وقد عرفنا الحق أن سبب الحياة في صور المولدات انما هو النفخ الالهي في قوله : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، وهو النفس الذي احيى الله به الاعيان فاظهره . . .

فأعطي عيسى علم هذا النفخ الالهية ونسبته فكان ينفخ في الصور الكائنة في القبر او في صورة الطائر الذي انشأه من الطين فيقوم حياً بالاذن الالهي الساري في تلك النفخة وفي ذلك الهواء . ولولا سريان الاذن الالهي فيها لما حصلت حياة في صورة اصلا . فمن نفس الرحمان جاء العلم العيسوي الى عيسى فكان يحيي الموتى بنفخه عليه السلام وكان انتهاؤه الى الصور المنفوخ فيها[٥] .

قال السدي : كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام : انطلق فقد أكل اهلك كذا وكذا ، فينطلق الصبي الى اهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء . فيقولون له : من اخبرك

نصه اللاتيني (١:٦ – ٤) ، والسرياني (بودج ، ٢١٩–٢٢١) « انجيل طفولية سيدنا » ، ٤٨–٤٩ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٣٠ ؛ هذه القصة قديمة ذكرها القديس ايريناوس عن انجيل مرقوسي منحول ، راجع الموسوعة اليونانية ، ٧ : ٦٥٥ .

٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ١٨٧ .

بهذا ؟ فيقول : عيسى . فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له : ليسوا هنا . فقال لهم : فما في هذا البيت ؟ قالوا : خنازير ، قال : كذلك يكونون . ففُتح عنهم فاذا هم خنازير .

فنشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر[٦] .

فبلغ ذلك[٧] الملك فهمّ ان يقتل مريم وابنها فخاف عليهما زكريا فأمر يوسف ان يحملهما الى بلاد مصر ليكون هناك الى أن يكفيها الله شر ذلك الملك الجبار[٨] . فأركبها يوسف اتاناً ووضع ولدها في حجرها وزودها زكريا بزاد واخرجها ليلًا من بيت المقدس واخذا في المسير .

فبينا هم في الطريق واذا بأسد عظيم جالس على قارعة الطريق ففزعوا منه فقال لهم عيسى : قدموني اليه فقدموه اليه فأخذه باذنه وقال له : ما الذي أقعدك هنا ؟ فقال له : يا روح الله انتظر ثورًا يقدم عليّ فآكله ، فقال عيسى : قد يكون الثور لقوم مساكين ولكن انطلق الى المكان الفلاني تجد فيه جملًا وأكله واترك الثور لاصحابه . فمضى الأسد الى ناحية الجبل[٩] .

---

٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ٣٠٧ ؛ لهذه المعجزة مصدران : اولها يستند الى ما يقول القرآن ان عيسى كان ينبىء بني اسرائيل « بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . » وقد يكون لهذا علاقة بما يرد كثيرًا في الاناجيل الموضوعة عن معرفة المسيح الطفل بالغيب ؛ اما المصدر الثاني فحرف عن « انجيل طفولية سيدنا » ، ٤٠ : ١-٢ في نصه العربي والسرياني ، وفيه قصة الغلام يسوع وقد جاء يبحث عن الاولاد رفاقه ، فهرب هؤلاء واختبأوا في اتون ، فسأل يسوع نساء هناك عن الصبيان فقلن له انهن يجهلن مكانهم ، فسألهن : من في الاتون ، فأجبن : معز . فقال عيسى : لتخرج المعز ولتأت حول الراعي ، فخرج الصبيان في هيئة الجدي وبدأوا يدورون حول يسوع . اما النساء فاندهلن لدى المنظر وتضرعن الى يسوع ليعيد الصبيان الى ما كانوا عليه فأعادهم .

٧) اي حبل العذراء مريم .

٨) هو « هردوس » اي هيرودس .

٩) تجد ما يشبه هذا في انجيل متى المزعوم ، ١٨-١٩ ، الذي يورد خبر هرب يوسف ومريم والطفل الى مصر من وجه هيرودوس ، وكيف ان التنانين والاسود والنمور كانت

ثم ساروا حتى دخلوا قرية اخرى فرأى قوماً قد اجتمعوا حول دار فقال لهم عيسى : يا قوم انكم قلتم في انفسكم انكم تأتون هذه الدار في الليل وتأخذوا[١٠] مال صاحبها غصباً فلا تفعلوا فانه رجل مؤمن بالله ولكني ادلكم على كنز مات صاحبه منذ زمان ولم يترك وارثاً فخذوا منه ما يكفيكم فأجابوه الى ذلك وساروا معه حتى دلهم على محل وقال لهم : احفروا تجدوا فيه مالًا جزيلًا[١١] .

ثم سار عيسى وامه ودخلا قرية فيها ملك عظيم وقد اجتمع الناس على باب قصره وهم يسجدون لصنم من حجر. فسمع عيسى أن امرأة الملك قد تعسرت عليها الولادة وخرج نصف الولد وبقي نصفه فقال عيسى : يا قوم اذهبوا الى الملك واعلموه اني أضع يدي على بطنها فتضع ولدها سريعاً. فانطلقوا الى الملك وأخبروه بذلك ، فقال لهم : عليَّ به . فأدخلوا عيسى عليه فقال له : ان في بطن زوجتك غلاماً جميلًا احدى اذنيه اطول من الاخرى وعلى صدره خال اسود وعلى بطنه شامة بيضاء . فوضع عيسى يده اليمنى على بطنها وقال : اخرج سالمًا ! فولدت ولدًا على الصفة التي وصفها عيسى[١٢] .

قال وهب : كان اول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر ، انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين ، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان . فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا اماه أتحبين أن ادله على ماله ؟ قالت : نعم يا بني ، قال لها : قولي له يجمع المساكين ، فلما اجتمعوا

تخرج الى لقاء الحاربين فتنحني ساجدة للمسيح الطفل واذ كانت مريم تخاف على ابنها كان هو يهدئ روعها: « لا تخافي يا اماه ؛ فقد تجمعت حولك هذه (الاسود والنمور) لا لتؤذيك بل لتطيع ارادتك » .

١٠) هكذا في الاصل .

١١) في الاناجيل الموضوعة نجد ان المسيح التقى بلصوص عديدين ، ومنهم الاثنان ، طيطس ودوماخوس اللذان سوف يصلبان معه ، راجع « انجيل طفولية سيدنا » ، ١٣،٢٣ .

١٢) الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ – ٣٠٥ .

عمد الى رجلين منهم احدهما اعمى والآخر مقعد فحمّل المقعد على عاتق الاعمى وقال له : قمْ به فقال الاعمى : انا اضعف عن ذلك ، فقال له عيسى : كيف قويتَ على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام ، فلما استقل قائماً هوى المقعد الى كوة الخزانة . فقال عيسى للدهقان : هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه ، فقال الاعمى : صدق والله . فردّا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال : يا مريم خذي نصفه ، فقالت : اني لم اخلق لذلك ، قال الدهقان : فأعطِه لابنك ، قالت : هو اعظم مني شأناً[13] .

ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له نصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئـذ شراب . فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمرَّ عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمرّ يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة[14] .

---

١٣) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٧ – ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣٠ ؛ هذه القصة المنسوبة الى المسيح هي من أصل عبراني ، نجدها في التلمود البابلي (سنهدرن ، ٩١ شمالاً) : « كان لملك جنينة وكان فيها تين جميل شهي ، فوضع عليها حارسين يحرسانها احدهما اعرج والآخر اعمى . فقال الاعرج للاعمى : اني أرى في الجنينة تيناً جميلاً فأحملني على كتفك ونذهب فنقطف ونأكل . فاعتلى الاعرج كتف الاعمى واكلا من التين الشهي . وبعد زمان أتى صاحب الجنينة وطالب الحارسين السارقين بالتين الجميل المفقود . فقال الاعرج : أَلي رجلان لامشي ؟ وقال الاعمى : ألي عينان لابصر ؟ فماذا صنع الملك بهما ؟ أجلسَ الاعرج على عنق الاعمى وعاقبهما معاً كأنهما فرد واحد » .

١٤) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٣ : ٧٢١ – ٧٣ ؛ انها في الاصل المعجزة التي صنعها يسوع في قانا الجليل ، وقد نحلت وحورت : « وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس وفرغت الخمر فقالت ام يسوع له : ليس عندهم خمر فقال لها يسوع : ما لي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد . فقالت امه للخدام :

قال وهب : لما مات هيرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هيرودوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى[١٥].

وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة[١٦]. فلما تمّ له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما امره به فاحبّه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره[١٧] وربما اجتمع عليه من

مهما يأمركم به فافعلوه . وكان هناك ست اجاجين من حجر موضوعة بحسب تطهير اليهود تسع كل واحدة منها مترين او ثلاثة فقال لهم يسوع : املأوا الاجاجين ماء فملأوها الى فوق فقال لهم : استقوا الآن وناولوا رئيس المتكأ . فناولوا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من اين هو ، واما الخدام الذين استقوا الماء فكانوا يعلمون ، دعا رئيس المتكأ العروس وقال له : كل انسان انما يأتي بالخمر الجيدة اولًا فاذا سكروا فعند ذلك يأتي بالدون اما انت فابقيت الخمر الجيدة الى الآن . هذه الآية الاولى صنعها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه » يوحنا ٢ : ١ — ١١ .

١٥) وفي الانجيل : « فلما مات هيرودوس اذا بملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم بمصر قائلًا قم فخذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي . فقام واخذ الصبي وامه وجاء الى ارض اسرائيل . ولما سمع ان اركيلاوس قد ملك على اليهودية مكان هيرودوس ابيه خاف ان يذهب الى هناك وأوحي اليه في الحلم فذهب الى نواحي الجليل واتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتم المقول بالانبياء انه يدعى ناصريًا » متى ٢ : ١٩ - ٢٣ .

١٦) وفي الانجيل : « وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند الله والناس » ، لوقا ، ٢ : ٥٢ .

١٧) « وكان يسوع يطوف الجليل كله يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وضعف في الشعب فذاع خبره في سورية كلها فقدموا اليه من كان به سوء من المعذبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمصابين في رؤوس الاهلة والمخلعين فشفاهم فتبعته جموع كثيرة » ، متى ، ٤ : ٢٣—٢٥ .

المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا ، فمن اطاق منهم ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام ، وانما كان يداويهم بالدعاء شرط الايمان[18] .

قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم، فاطلع الناس عليه فأتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له : هذا قتل هذا . فسأله القاضي ، فقال عيسى : لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه. فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم : أئتوني بالغلام . فقالوا له : ما تريد به ؟ قال: أريد أن اسأله من قتله . قالوا : وكيف يكلمك وهو ميت ؟ فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء. فأحياه الله تعالى فقال له عيسى : من قتلك ؟ قال : قتلني فلان ، على الذي قتله . فقال بنو اسرائيل : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم . قالوا : فمن هذا الذي معه ؟ قال : قاضي بني اسرائيل . ثم مات الغلام من ساعته .

فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه : يا بني ألم أنهك عن هذا ؟ فقال : ان الله حافظنا وهو ارحم الراحمين[19] .

قال عطاء : سلمت مريم عيسى بعد ما اخرجته من الكتاب الى اعمال

---

١٨) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ – قابل جزئياً بالكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦–٣٠٧ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧٣١ .

١٩) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٥ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢٢٣ وردت هذه القصة مراراً عديدة في الاناجيل الموضوعة مع تفاصيل اوسع وادق من النص المذكور اعلاه ، وقد تختلف هذه التفاصيل من نص لآخر ، وهذا فان اسم الصبي القتيل هو بوذا او زينون ، او ایاس بن نامار او ارياس بن نامار ، او يوناثان بن بريا او يوناثان بن عبراي ؛ فهو حيناً يسقط من شرفة بيت على الارض ويموت ، او يقذف به احد رفاقه في البئر فيغرق ، وفي كل حال يتواطأ الاولاد على اتهام يسوع ، فيُقدَّم الى القاضي ويبرر نفسه باحياء الصبي الميت وشهادته لاجل الحقيقة ، ثم يموت الصبي ، انظر « انجيل طفولية سيدنا » ٤٦ ، انجيل الطفولة في نصه الارمني ، ١٦ : ٧–١٥ ؛ ٢٢ ، انجيل توما المزعوم ، ٩ ، انجيل متى المزعوم ، ٢٣ .

شتى[٣٠] . فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه . فاجتمع عنده ثياب مختلفات فمرض للرجل سفر فقال عيسى : انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة ايام ، وهذه ثياب مختلفات الالوان،وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يُصبَغ به فأحبّ ان تكون فارغاً منها وقت قدومي ثم خرج . فطبخ عيسى عليه السلام جبّاً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها : كوني باذن الله تعالى على ما اريد منك . فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال : يا عيسى ما فعلت ؟ قال : فرغت منها . قال : أين هي ؟ قال : في الجب . فقال : كلها ؟ قال : نعم . قال : كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب . قال : قم وانظر . فقام فأخرج عيسى ثوباً اصفر وثوباً اخضر وثوباً احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل . فقال الصباغ للناس : تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام. فآمن به هو وأصحابه ، وهم الحواريون ، والله عز وجل اعلم[٣١] .

قال السدي : لما خرج عيسى وامه يسيحان في الارض اذ تركا بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما . وكان ملك ذلك الوقت جباراً عنيداً فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت

٣٠) وفي الاناجيل الموضوعة ان مريم ارسلت ابنها تعلمه جميع الحرف ، ولكنه لم يتخذ واحدة منها له .

٣١) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٩-٣٩٠ ، الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ١ : ٢٢٣ ، قابل بما يقول علي الهروي حين يتكلم عن كنيسة الشجرة في طبرية حيث جرت القصة ، مخطوطة المكتبة الملوكية في برلين ، عدد ٦١٣١ صفحة ٢٧ ، هذه القصة مشهورة ترددها الاناجيل الموضوعة على اختلاف نصوصها ومع بعض فروق نقل او نكثر حسب الكتب ، « انجيل طفولية سيدنا » ، ٣٧ ، انجيل الطفولة الارمني ، ٢١ ، لقد اشتهرت ايضاً في بلاد الفرس حيث الصباغون يتخذون المسيح شفيعاً ويسمون مكان عملهم « محترف عيسى » , راجع الوثائق التالية :

P. Ange de St. Joseph (Joseph Ladrosse), *Gazophylacium linguae persicae*, Amsterdam. 1684, p. 439: Thilo, *Codex Apocryphus*, 150: Sike, *Evangelium infantiae*, 55.

لها مريم : ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها : لا تسأليني.. فقالت : اخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي. فقالت : ان لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده . قالت : فقولي له لا يهتم بشيء. فانه قد احسن الينا واني آمر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك. ثم قالت مريم لعيسى ، فقال : ان فعلتُ ذلك يقع شر . قالت : فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا ، قال عيسى : فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني. ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدر لحماً ومرقاً وماء الخوابي خمر لم يرَ الناس مثله قط .

فلما جاء الملك اكل فلما شرب سأل : من أين هذا الخمر ؟ قال له : من ارض كذا وكذا ، قال الملك : فان خمري قد أتي بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له : من ارض اخرى . فلما خلط على الملك وشُبه عليه قال : أخبرني عن الحق . قال : فانا اخبرك ، عندي غلام ما سأل الله شيئاً الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرًا .

وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان احب الخلق فقال الملك : ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى : لا تفعل لانه ان عاش وقع شر. فقال الملك : لا ابالي بعد ان أراه ، قال عيسى : ان أحييته تتركوني أنا وامي نذهب حيث نشاء ؟ قال : نعم . فدعا الله تعالى فعاش الغلام . فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا : أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف ابنه علينا فيأكلنا كما أكلنا أبوه ، فاقتتلوا وذهب عيسى وامه[٢٢] .

---

٢٢) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٨–٣٨٩ . ان القسم الاول من هذه القصة يشبه معجزة قانا الجليل التي صنعها يسوع اذ حول الماء خمرًا ، انجيل يوحنا ٢ : ١–١١ .

الفصل الخامس

الحواريون

« لكل رسول حواريوه » ، انه حديث يتفق وفكرة القرآن الاساسية حول الرسالة . يبعث الله الى كل امة رسولاً يهديهم من الشرك الى التوحيد ، فيلاقي الرسول من الكثيرين اعراضاً ويتبعه قليل من الناس الى الهدى . اولئك هم الضالون ، وهؤلاء النفر القلائل هم الانصار او الحواريون . هكذا كان الامر بالذين خلوا من الرسل ، وهكذا اذا كان الامر بعيسى .

بُعث ابن مريم الى بني اسرائيل فكذبه فريق منهم ، واتبعه فريق قليل العدد كانوا انصاره الى الله ، كانوا حوارييه . هؤلاء من يسميهم الانجيل رسلاً وكانوا اثني عشر .

لم يذكر القرآن احداً منهم باسمه ولم يخبر عن دعوتهم ولا عن الاحداث التي جرت لهم مدة حياة المسيح ، ولا عن تشتتهم في العالم للتبشير بما اوصاهم بـه المعلم . ذاك ما حاول التحدث عنه بعض المؤرخين في الاسلام ، ولكن يظهر انهم لم يعيروا هذا الموضوع اهتماماً كافياً ، فتناقلوا قصصاً يسير فيها التاريخ والاسطورة جنباً الى جنب ويتآخى بعض ما يقول التقليد المسيحي وبعض ما يقول الكتاب الاسلامي ، فيتكون من ذلك فصل فيه كثير من الغرابة . وان اصدق النصوص هي التي اوردها اليعقوبي نقلاً حرفياً عن الاناجيل .

ولكن القرآن يذكر حدثين، اولهما في سورة يس (٣٦: ١٤ـ ٢٨)، وقد رأى فيه المفسرون الماعاً الى الحواريين، وهو صدى بعيد لرحلة بولس الرسول الى انطاكية مقرونة الى قصة اغابوس الذي ورد اسمه في كتاب أعمال الرسل (١١: ٢٧ـ ٣٠؛ ٢١: ١٠ـ ١٢). واذا باغابوس هذا يصبح حبيب النجار بعد ان تعطّلت هويته.

والحدث الثاني هو سؤال الحواريين في سورة المائدة (٥: ١١٢): «يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا من السماء مائدة ...» فكانت المائدة عيداً لاول الناس وآخرهم؛ وفي ذلك اشارة الى ما قصته الاناجيل عن العشاء السري الوداعي.

اما كلمة حواري فهي في الاصل من لغة الاحباش («حورا» عندهم معناها رسول). ومنهم من يقول انها سريانية الاصل، وهذا التحليل ممكن ايضاً. ولا يزال المسيحيون، ورثة لغة السريان، يكرسون اسبوعاً كاملاً عقب عيد الفصح، يسمونه «سبة الحواريين.»

الحواريون

اعلم ان الحواريين كانوا اصفياء عيسى بن مريم واولياءه وارضياءه وانصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلاً اسماؤهم: شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيى اخوه وفيليس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام[1] .

واختلف العلماء فيهم لِمَ سموا بذلك . قال ابن عباس : كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم : ما تصنعون ؟ فقالوا : نصطاد السمك . فقال لهم : ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : ندعو الى الله . قالوا : ومن انت ؟ قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . قالوا : فهل يكون أحد من الانبيا فوقك ؟ قال : نعم النبي العربي . فاتبعه اولئك وآمنوا به وانطلقوا معه[2] .

وقال السدي : كانوا ملاحين . وقال ابن ارطأة : كانوا قصّارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيّضونها .

---

١) في الانجيل نجد : « وهذه اسماء الاثني عشر رسولاً : الاول سمعان المدعو بطرس ثم اندراوس اخوه ويعقوب ابن زبدى ويوحنا اخوه وفيلبس وبرتلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفى وتداوس وسمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه » ، متى ، ١٠ : ٢–٥ ، قابل بانجيل مرقس ، ٣ : ١٦–١٩ وانجيل لوقا ، ٦ : ١٣–١٦ ، واعمال الرسل ، ١ : ١٣ ؛ يتكلم الثعلبي عن « الصفار » عوضاً عن « الصفا » وقد تكون الراء الزائدة مسببة من ناقل النص ؛ ويتكلم عن « القناني » وهو القانوي نسبة الى قانا الجليل ، قرية شمعون .

٢) نجد في انجيل مرقس ، ١ : ١٦ : ٢١ : « وفيما كان ماشياً على شاطيء بحر الجليل رأى سمعان واندراوس اخاه يلقيان شباكاً في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما يسوع : اتبعاني فاجعلكما صيادي الناس . فللوقت تركا الشباك وتبعاه . وجاز من هناك قليلاً فرأى يعقوب بن زبدى ويوحنا اخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك فدعاهما للحال فتركا اباهما زبدى في السفينة مع الاجراء وتبعاه . قابل بانجيلي متى ٤ : ١٨ – ٢٢ ولوقا ٥ : ١ – ١١ . في نصوص الانجيل لا ذكر « للنبي العربي » .

اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال: الحواريون اثنا عشر رجلاً اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا : يا روح الله جعنا ، فيضرب بيده الى الارض سهلاً كان او جبلاً فيخرج لكل انسان رغيفان فيأكلها ، واذا عطشوا قالوا : يا روح الله عطشنا ، فيضرب الارض سهلاً كان او جبلاً فيخرج الماء فيشربون. فقالوا : يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا اسقيتنا وآمنا بك واتبعناك ؟ قال : افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء.[٣] .

قال ابن عون : صنع ملك من الملوك طعاماً فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص . فقال له الملك : من انت ؟ قال : انا عيسى بن مريم . قال الملك : اني اترك ملكي واتبعك . فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون . وقيل هو الصباغ واصحابه وقد مضت القصة .

قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم . وقال عبدالله بن المبارك : سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها واصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الاحور والحور[٣] .

---

٣) قد تكون صلة بين ما ذكر الثعلبي وبين أعجوبة تكثير الارغفة كما ذكرتها الاناجيل : متى ١٤: ١٣ – ٢١؛ ١٥: ٣٢–٣٨ ، مرقس ٦: ٣١ – ٤٤؛ ٨: ١ – ١٠ ، لوقا ٩: ١٠ – ١٧ ، يوحنا ٦: ١ – ١٣ . وقد يكون في المفاضلة بين الحواريين ذكر بعيد لما ورد في الانجيل : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فما عساه يكون لنا ؟ متى ، ١٩: ٢٧ ، مرقس ، ١٠: ٢٨؛ ٤١ – ٤٤ ، لوقا ، ١٨ : ٢٨ ، او بالاحرى لما ورد في موضع آخر من الانجيل : وقع بينهم جدال في ايهم يُعدّ الاكبر ، لوقا : ٢٢: ٢٤؛ ٩: ٤٦ ، متى ، ١٨: ١ ، مرقس ، ٩: ٣٣ .

٣) الحور العين في القرآن : انشأهن الله انشاء وجعلهن ابكاراً لاهل اليمين ، « ازواج مطهرة » ، « كأنهن الياقوت والمرجان » ، « حور مقصورات في الخيام » ، انظر سورة الواقعة ، ٥٦: ٣٥–٣٨ ، سورة الرحمن ، ٥٥: ٥٦–٥٧ ، سورة الدخان ، ٤٤: ٥٤–٥٥ ، وقال رسول الله صلعم : « ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا » ، الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ٣٨٧ .

وقال الحسن : الحواريون الانصار . وقال قتاده : هم الذين تصلح لهم الخلافة . وقال النضر بن شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلعم : لكل نبي حواري وحواريّ الزُبير . فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام[٤] .

وكان ممن وجّه من الحواريين والاتباع الذين كانوا في الارض بعدهم فطرس الحواري ومعه بولس ، وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين ، الى رومية ، واندراييس ومتى الى الارض التي يأكل اهلها الناس وهي فيما نرى للاساود ، وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق ، وفيلبس الى القيروان وقرطاجنة ، وهي افريقية ، ويحنس[٥] الى افوس قرية الفتية اصحاب الكهف[٦] ، ويعقوبس الى اورشليم وهي ايليا بيت المقدس[٧] ، وابن تلما[٨] الى العرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى البربر دون افريقية ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين الى اريوبس جُعل مكان يوذس زكريايوطا[٩] حين احدث ما احدث[١٠] .

---

٤) الثعلبي ، قصص الانبياء ، ٣٩٠–٣٩١ .

٥) أي يوحنا .

٦) راجع سورة اهل الكهف ، ١٨ ، وفيها نبأ الفتية الذين رقدوا « مائة سنين وازدادوا تسعاً » ثم استيقظوا وكان يخفرهم كلبهم في نومهم الطويل ، وكانت اسطورة معروفة عند العرب قبل الاسلام ، واصلها مجهول قد يكون من التلمود الاسرائيلي الذي يحكي مثلها (بابلي ، تعنيت ، ٢٣ ، يمنا) ، وهناك ما يعادلها عند المسيحيين في قصة طويلة ذكرها يعقوب السروجي (مخطوطنا الفاتيكان ١١٥ و١١٧) وفيها يتكلم عن الفتية السبعة الافسيين الذين اضطهدهم الامبراطور داسيوس (٢٤٩–٢٥١) فأووا الى كهف قرب مدينة افسس فسدّ بابه عليهم الى ان اكتشفهم راع فايقظهم في زمن الامبراطور ثاودوسيوس الثاني اي بعد ١٩٦ سنة .

٧) ايليا ، أورشليم ، بيت المقدس اسماء ثلاثة للمدينة الواحدة .

٨) هو برتلماوس .

٩) هو يوداس الاسخريوطي .

١٠) ابن هشام ، السيرة ، ٩٧٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١: ٧٣٧–٧٢٨ . يقول الطبري « دفسوس » عوض « افسوس » .

ومما يدل على ان الانبياء عليهم السلام يرون ويعتقدون بقاء النفس وصلاحها بعد مفارقة الجسد ، فعل عيسى عليه السلام بناسوته ووصيته للحواريين بمثل ذلك : وذلك ان المسيح لما بُعث في بني اسرائيل فرآهم منتحلين دين موسى متمسكين بظاهر شريعته يقرأون التوراة وكتب الانبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها فلا يعرفون اسرارها بل يستعملونها على العبادة ويجرونها على التقليد ولا يعرفون الآخرة ولا يرغبون فيها ولا يفهمون امر المعاد ولا يدرون ما فيها غير الدنيا وغرورها وامانيها ولا يدرون مما يستعملون من امر الشريعة وسنّة الدين الا طلب الدنيا ، وليس غرض الانبياء في دعوتهم الامم ووضع الشرائع والسنن واصلاح الدنيا فحسب ، بل غرضهم في ذلك كله نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى والعتق لها من اسر الطبيعة واخراجها من ظلمات الاجسام الى انوار عالم الارواح والتنبه لها من نوم الجهالة والتيقظ لها من رقدة الغفلة وتخلصها من ألم نيران الشهوات الجسمانية المحرقة للافئدة والتبصير لها من الغرور باللذات الجرمانية المهولة وشفاءها من الامراض النفسانية ومن عذاب الحر والبرد والجوع والعطش وألم الامراض والاسقام وخوف الفقر والتلف والاحزان والاسف واحداث الزمان وغيظ الاعداء والغم على الاصدقاء وحرقة الاشفاق على الاحباء والاقرباء ومعاداة الاضداد ومكايدة الاقران وحسد الجيران ووساوس الشيطان ونوائب الحدثان حالًا بعد حال .

فلما رآهم المسيح على تلك الحالة لا فرق بينهم وبين من لا يقرّ بالمعاد ولا يعرف الدين والنبوة ولا الكتاب ولا السنة ولا المنهاج ولا الشريعة ولا الزهد في الدنيا ولا الرغبة في الآخرة ، غمّه ذلك منهم ورقّ لهم وتحنن على ابناء جنسه وتفكر في امرهم كيف يداويهم من دائهم الذي استقر بهم وعلم انه اذا وبخهم بالتعنيف والوعيد والزجر والتهديد لا ينفعهم ذلك لان هذه كلها موجودة في التوراة وما في ايديهم من كتب الانبياء عليهم السلام ، فرأى ان يظهر لهم بزي الطبيب المداوي وجعل يطوف في محال بني اسرائيل يلقى واحدًا يعظه ويذكّره ويضرب له الامثال وينبهه من الجهالة ويزهّده في الدنيا ويرغّبه في الآخرة ونعيمها حتى مرّ بقوم من القصّارين خارج المدينة فوقف عليهم فقال لهم : أرأيتم هذه الثياب اذا اغسلتموها ونظفتموها وبيضتموها هل تجوزون ان

يلبسها اصحابها واجسادهم ملوثة بالدم والبول والغائط ولون القاذورات ؟ قالوا : لا ومن فعل ذلك كان سفيهاً . قال : فعلتموها انتم . قالوا : كيف ؟ قال : لانكم نظفتم اجسادكم وبيضتم ثيابكم ولبستموها ونفوسكم ملوثة بالجيف مملوءة قاذورات من الجهالة والعماء والبكم وسوء الاخلاق والحسد والبغضاء والمكر والغش والحرص والبخل والقبح وسوء الظن وطلب الشهوات الرديئة وانتم في ذل العبودية اشقياء لا راحة لكم الا الموت والقبر . فقالوا : كيف نعمل ؟ هل لنا بدّ من طلب المعاش ؟ قال : فهل لكم ان ترغبوا في ملكوت السماء حيث لا موت ولا هرم ولا وجع ولا سقم ولا جوع ولا عطش ولا خوف ولا حزن ولا فقر ولا حاجة ولا تعب ولا عناء ولا غم ولا حسد بين اهلها ولا بغض ولا تفاخر ولا خيلاء بل اخوان على سُرر متقابلين فرحين مسرورين في روح وريحان ونعمة ورضوان وبهجة ونزهة يسيحون في فضاء الافلاك وسعة السماوات ويشاهدون ملكوت رب العالمين ويرون الملائكة حول عرشه صافين يسبحون بحمد ربهم بنفحات والحان لم يسمع بمثلها انس ولا جان وتكونون انتم معهم خالدون لا تهرمون ولا تموتون ولا تجوعون ولا تعطشون ولا تمرضون ولا تخافون ولا تحزنون . واكثر النصح فيهم وعمل كلامه في نفوسهم واراد الله عز وجل بهم خيراً فاسمعهم وهداهم وشرح صدورهم وفتح قلوبهم ونوّر ابصارهم فشاهدوا ما وصف المسيح عليه السلام مما يشاهده هو بعين البصيرة ونور اليقين وصدق الايمان، فرغبوا فيها وزهدوا في الدنيا وغرورها وامانيها وخرجوا مما كانوا فيه من عبودية طلب شهوات الدنيا ولبسوا المرقعات[11] وساحوا مع المسيح حيث مرّ من البلاد[12] .

أن رسول الله صلعم خرج على اصحابه ذات غداة فقال لهم : اني بُعثت رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم[13] . قالوا : يا رسول الله وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا

---

١١) « المرقعة » نسيج من صوف ، دليل الفقر والتجرد ، زعم الصوفيون ان المسيح كان اول من لبسه فلبسوه على غراره وهو الفقير الاكبر ، « امام السائحين » .

١٢) اخوان الصفاء ، رسائل ، ٤ : ٩٣ – ٩٦ .

١٣) قد يكون في هذا اشارة بعيدة الى المجادلة التي وقعت بين الرسل ، ليلة العشاء

الى مثل ما دعوتكم اليه فاما مَن قرّب به فاحب وسلم ، واما مَن بعّد به فكره . فشكا ذلك منهم عيسى الى الله عز وجل فاصبحوا من ليلتهم تلك وكل رجل منهم يتكلم بالغة القوم الذين بُعث اليهم ، فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا[١٤] .

الاثنان والثالث

قال الله تعالى[١٥] : واضرب لهم مثل القرية اذ جاءها المرسلون ، يعني رسل عيسى عليه السلام ، اذ ارسلنا اليهم اثنين . واختلفوا في اسميها : فقال ابن اسحق : فاروض وروماض ، وقال وهب : يحيى ويونس ، وقال مقاتل : يومان ومالوس ، وقال كعب : صادق وصادوق ، فكذبوهما فعززنا بثالث ، اي نقوّينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين ، وقال مقاتل : سمعان[١٦] .

قالت العلماء باخبار الانبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس ، فسلما عليه ، فقال : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن ، قال : أمعكما

السري ، « في اسمم الاكبر » ، لوقا ٢٢ : ٢٤ ، وفي غير موضع من الاناجيل مجادلة اخرى بين الرسل ، متى ١٨ : ١ – ٥ ، مرقس ٩ : ٣٣ – ٣٧ ، لوقا ٩ : ٤٦ .

١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٥٦٠ ، وهنا اشارة ايضاً الى حلول « الروح القدس على التلاميذ فطفقوا يتكلمون بلغات اخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا . وكان في اورشليم رجال من اليهود اتقياء من كل امة تحت السماء ، فلما كان ذلك الصوت (صوت ريح شديدة) اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته » ، اعمال الرسل ، ٢ : ٤-٦ .

١٥) القرآن ، سورة يس ، ٣٦ : ١٣-٢٩ .

١٦) فاروض وروماض ، يومان ومالوس ، صادق وصادوق كما في ادناه ابطيحيس وسلاحين وحبيب النجار ، هي جميعها اسماء لا تمت الى التاريخ بصلة ، لا ذكر لها في المسيحية قبل الاسلام كما لا ذكر لها في القرآن ، ولقد اختلقها المؤرخون .

آية ؟ قالا : نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله[١٧] فقال الشيخ : ان لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين ، قالا : فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله . فاتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرًا من المرضى[١٨] .

وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين، وقال وهب : اسمه ابطيحس وكان من ملوك الروم . قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما : من انتما ؟ قالا : رسولا عيسى . قال : وما آيتكما ؟ قالا : نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى . قال: وفيمَ جئتما ؟ قالا : جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر . قال الملك : أوَ اله لنا سوى الهتنا ؟ قالا : نعم . قال: من ؟ قالا : من اوجدك بعد عدمك وآلهتك . قال : قوما حتى انظر في امركما ، فتبعهما الناس وضربوهما في السوق[١٩] .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبّرا وذكرا الله تعالى ، فغضب الملك وأمر بهما فحُبسا وجُلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا فلما كُذّب الرسولان وضُربا بعث عيسى رأسَ الحواريين شمعون الصفار على اثرهما لينصرهما . فدخل شمعون البلد متنكرًا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى

---

١٧) هذه المعجزات يذكرها القرآن عن عيسى .

١٨) راجع الانجيل : « وجاء يسوع الى بيت الرئيس فرأى الزمارين والجميع يضجون فقال : تنحوا ان الصبية لم تمت ولكنها نائمة ، فضحكوا منه . فلما اخرج الجمع دخل وامسك يدها فقامت الجارية ، فذاع هذا الخبر في تلك الارض كلها . . وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف» متى ٩ : ٢٣-٢٦، ٣٥ .

١٩) وفي الكتاب المقدس خبر العرافة التي اخزاها بولس وطرد منها الروح : « فلما رأى مواليها انه قد هلك رجاء مكسبهم قبضوا على بولس وسيلا وجروهما الى السوق . . . وامروا ان يضربا بالعصي . » اعمال الرسل ١٦ : ١٦-٢٢ .

انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم : ايها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال : حال الغضب بيني وبين ذلك . قال : فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون : استخبرهما . فقـال شمعون : من ارسلكما الى ههنا ؟ قالا : الذي خلق كل شيء . فقال لهما شمعون : فصفاه وأوجزا . فقالا : انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال شمعون وما آيتكما ؟ قالا : ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله . قال : فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك ، فقال شمعون للملك : ان انت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعاً مثل هـذا فيكون لك الشرف ولالهك . فقال الملك : ليس لي عنك سرّاً ، اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين : ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء الميت ؟ قالا : الهنا يقدر على كل شيء . فقال الملك : ان ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة ايام وهو ابن الدهقان وانا اخرجته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه ، وكان ابوه غائباً . فجاؤوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان بهما علانية وجعل شمعون يدعو سرّاً ، فقام الميت وقال لهم : اني قد مت منذ سبعة ايام مشركاً فأُدخلتُ في سبعـة اودية من النار وانا احذركم مما انتم فيه فآمنوا بالله ، ثم قال : ان ابواب السماء فُتحت لي فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة[٢٠] . فقال الملك : ومَن الثلاثة ؟ فقال : شمعون وهذان ، واشار الى صاحبيه فتعجب الملك . فلما علم شمعون ان قولهم

٢٠) في اعمال الرسل ٦ : ١٥ ؛ ٧ : ٥٥ ، شيء من هذا الوصف ورد على لسان اسطفانوس اول الشهداء : « فرأوا وجهه كوجه ملاك . . . وهو اذ كان ممتلئاً من الروح القدس تفرّس في السماء فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال : هاءنذا ارى السماوات مفتوحة وابن البشر قائماً عن يمين الله » .

قد أثر في الملك اخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب : بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس .

وقال ابن عباس ومقاتل : اسمه حبيب بن اسرائيل النجار . قال وهب : وكان سقيماً قد أثر فيه الجذام[٢١] وكان منزله عند اقصى باب من ابواب مدينة انطاكية[٢٢] وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا امضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر . فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار . فلما اتاه خبر الرسل اظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة الله تعالى كما اخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون . » فقال له قومه : أوَ انت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم ؟ فقال : وما لي لا اعبد الذي لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون . اني اذاً لفي ضلال مبين . فطرني واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ان يردني الرحمن بضر اني آمنت بربكم فاسمعون . »[٢٣] فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد يدفع عنه .

وقال عبدالله بن مسعود : وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره .

وقال السدي : كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول : « اللهم اهدِ قومي » حتى قطعوه وقتلوه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سور انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى : « قيل ادخل الجنة »

---

٢١) داء خبيث شبيه بالبرص .

٢٢) يحاول وهب ان يجمل وفاق بين الاسطورة والقرآن القائل : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى » ، سورة يس ٣٦ : ٢٠ .

٢٣) سورة يس ، ٣٦ : ٢٢–٢٥ .

فلما افضى الى جنة الله وكرامته ، قال : « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . »[٢٤]

قالوا فلما قُتل حبيب ، غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم ، فذلك قوله تعالى : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السما. وما كنا منزلين » على غيرهم من كفار الامم ؛ « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون »[٢٥] ، اي ميتون[٢٦] .

وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكيه من ارض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور . فسار اليه اثنان من تلاميذ المسيح يدعوانه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما « فعززهما الله بثالث » ، وقد تنوزع فيه ، فذهب كثير من الناس انه بطرس ، هذا اسمه بالرومية واسمه بالعربية سمعان الصفا ، وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفا ، وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية[٢٧] ان الثالث المعزز به بولس ، وان الاثنين المتقدمين اللذين اودعا الحبس توما وبطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما اظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وحيلة بولس عليه بمداخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس .

فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله وقد أخبر الله بذلك في كتابه بقوله « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث » الى قوله : « وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى »[٢٨] . وقُتل بولس وبطرس بمدينة رومية

٢٤) سورة يس ، ٣٦ : ٢٦-٢٧ .

٢٥) سورة يس ٣٦ : ٢٨-٢٩ .

٢٦) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ؛ قابل بالطبري جزئياً ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ١٠٧ .

٢٧) ورد في اعمال الرسل ١٢ : ٣ - ٢٠ ، خبر سجن بطرس وكيف ارسل الله ملاكه فانقذه من الحبس ليلاً .

٢٨) سورة يس ٣٦ : ١٤-١٩ .

وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سيما الساحر[٢٩] . ثم جعلا بعد ذلك في اخزنة البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وخزنتهما في كنيسة هناك . قد ذكرناهما في الكتاب الاوسط عند ذكرنا لعجائب روميه واخبار تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لما من اخبارهم[٣٠] .

بولس الرسول

(عن الكلبي في تفسير الآية : « قالت النصارى المسيح ابن الله ») : ان النصارى كانوا على دين الاسلام[٣١] احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب . وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام ، فقال يوماً لليهود : ان كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار[٣٢] . وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه واظهر الندامة ووضع على رأسه التراب ، فقالت له النصارى :

٢٩) اسمه عليما الساحر ، وقد دعا عليه بولس بالعمى فاعماه الله ، اعمال الرسل ، ١٣ : ٨-١١ ؛ او (كما ورد في طبعة المسعودي في القاهرة ، ١٩٣٨) « سليمان » واصله سيمون وهو ساحر آخر وقد وبخه بطرس في السامرة على سحره فآمن واعتمد ، راجع اعمال الرسل ، ٨ : ٩-٢٤ .

٣٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٨-١٢٩ .

٣١) في العقيدة الاسلامية ان الاسلام ، كما يقول القرآن هو « دين الفطرة » عليه خلق آدم وعليه يولد بنوه من بعده ولكن اختلاف الناس في الدين هو ما جعلهم يتفرقون الى عقائد متباينة .

٣٢) ليس هذا الكلام او ما يعدل تقريباً معناه من بولس بل من جملئيل معلم الناموس اذ قال لبني اسرائيل حين سجنوا رسل المسيح : « اقول لكم اعدلوا عن هؤلاء الرجال واتركوهم لانه ان كان هذا الرأي او هذا العمل من الناموس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تستطيعون نقضه لئلا تجدوا ذاتكم محاربين لله » ، اعمال الرسل ٥ : ٣٨ — ٣٩ ؛ لقد خلط الكلبي بين عدة احداث تاريخية متذكراً البعض منها مثل اضطهاد بولس للمسيحيين ،

من انت ؟ فقال: بولس عدوكم وقد نوديت من السماء ان ليس لك توبة الا ان تتنصّر وقد تبت . فادخلوه الكنيسة فدخل بيتاً فيها فأقام سنة لا يخرج منه لا ليلًا ولا نهارًا حتى تعلم الانجيل ثم خرج فقال : نوديت ان الله تعالى قد قبل توبتك . فصدقوه واحبوه . ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة[٣٣] . ثم توجه الى الروم وعلّمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم : لم يكن عيسى بانس ولا جن ولكنه ابن الله. وعلّم بذلك رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له يعقوب ثم دعا رجلًا يقال له ملكان[٣٤] وقال له : ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى . فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدًا واحدًا وقال لكل واحد منهم : انت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني . وقال لكل واحد منهم : اني غدًا اذبح نفسي فادعُ الناس الى نحلتك[٣٥] . ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال : انا افعل ذلك لمرضاة عيسى . فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس الى نحلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق

ثم الرؤيا على طريق دمشق ، ونداء المسيح له ، وخلوته عند التلميذ حننيا واعتماده ، راجع حقيقة ذلك في الفصل التاسع من اعمال الرسل .

٣٣) بين بولس ونسطور اكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة . اما نسطور فلم يقل بشيء من هذه الثلاثية التي ينسبها اليه الكلبي لتوافق آية في القرآن : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اعبدوني وامي الهين من دون الله » ، سورة المائدة ، ٥ : ١١٦ .

٣٤) استنبط الكلبي اسم ملكان لينسب اليه الفرقة الملكية كما في تابع حديثه ، ومن المعروف ان الملكية نسبة الى ملك الروم ، قيصر بزنطية المدافع عن العقيدة الكاثوليكية الحقة . وقد نقل الدميري نص الكلبي الغريب دون ان يتساءل عن صحته ، كما اورد القزويني في كتابه عجائب المخلوقات (على هامش حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٧٣-١٧٤) قصة عجيبة يذكر فيها اربع نفر من تلامذة المسيح (مرقس ومحسن ومنبوس ويبوقاس) وكيف ان الشيطان طناهم وحملهم على تأليه عيسى . ولا عجب في ان يستنبط القزويني مثل هذه القصص في كتابه المسمّى « عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات » .

٣٥) يقول بولس في رسالته الى الفيلبيين ، ٢ : ١٧ : « لو ارقت سكيباً على ذبيحة ايمانكم لكنت افرح » وفي رسالته الثانية الى تلميذه الحبيب تيموثاوس ، ٤ : ٦ : « اما انا فقد اريد السكيب على وقد اقترب وقت انحلالي » .

نسطورية ويعقوبية وملكية فاختلفوا واقتتلوا فقال الله تعالى: «وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بافواههم » (الآية)[٣٦] قال اهل المعاني : لم يذكر الله تعالى قولًا مقروناً بالافواه والالسن الا كان ذلك زوراً[٣٧] .

مارقس

ثم ملك بعده[٣٨] قلوديوس[٣٩] اربع عشرة سنة وذلك برومية . وهو اول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح وقيل ان في ايامه قُتل برومية بطرس واسمه بالسريانية شمعون والعرب تسميه سمعان ، هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيما[٤٠] الساحر برومية . وهما ممن اتى انطاكية واخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس . ثم كان بعد ذلك لهما نبأ عظيم وذلك بعد ظهور النصرانية برومية فجُعلا في اخزنة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب . واكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم يذهب الى انهما قتلا برومية في ملك النحاس من ملوك الروم .

وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار ماري الى مادنا من العراق فات بمدينة دير قنّى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط ، وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتّاب ، فقبره هناك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه اهل دين النصرانية .

ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعياً الى شريعة المسيح

---

٣٦) سورة التوبة ، ٩: ٣٠ .

٣٧) الدميري ، حياة الحيوان ، ٢: ٢١٥ .

٣٨) اي بعد اغسطس .

٣٩) قلوديوس او كلوديوس الاول ، وكانت وفاته سنة ٥٤ بعد المسيح ، قبل بطرس وبولس ، وهو لم يخلف اغسطس بل خلفه طيباريوس .

٤٠) راجع ما ذكرناه اعلاه ، حاشية ٢٩ .

فات هناك[٤١] . وسار آخر الى آخر خراسان فات هنالك وموضع قبره مشهور تعظمه النصارى ومنهم من رأى انه مات ببلاد دقوقا وخانيجار وكرخ حدان في تخوم العراق وموضعه مشهور .

ومات مارقش بالاسكندرية في ارض مصر وقبره هناك وهو احد التلاميذ الاربعة الذين الفوا الانجيل .

كان لمارقش مع اهل مصر خبر طريف في مقتله وقد اتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تل له ، واتينا على قصته مع اهل مصر ووصيته لهم حين اراد المسير الى ارض المغرب : انه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد اليكم بعدي اناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون . ومضى فلما غاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث اراد فرجع اليهم ، فلما هموا بقتله قال لهم : ويحكم انا مارقش . قالوا : لا قد اخبرنا ابونا مارقش وعهد الينا بقتل من يتشبه به . قال : فاني مارقش . قالوا : لا سبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه . وقد كان قبل ذلك سُئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات ، وقال له بعضهم : ان كنت صادقاً فيما اتيتنا به فأعرج الى هذه السماء ونحن نراك . فنزع عنه زرباتته واتزر بئزر الصوف على ان يصعد الى السماء ، فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا : ان مضيت فمن لنا بعد اذا كنت الاب ، وكان امره بعد ذلك على ما قدمنا .

وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذاً واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين[٤٢] . فاما الذين نقلوا الانجيل وهم لوقا ومارقش ويوحنا ومتّا منهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتّا ، وقد يُعدّ متّا ايضاً في غير الاثني عشر ، ولا ادري ما معناهم في ذلك . والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيى بن زبدى ومارقش

---

٤١) يقول التقليد المسيحي ان توما سار الى الهند فأسس هناك كنيسة ثبتت الى يومنا هذا .

٤٢) وفي الانجيل : « دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وسماهم رسلا » ، لوقا ، ٦ : ١٣ .

صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد الى انطاكيه وقد تقدمه بطرس وتوما ، وهو بولس ، وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى : فعززنا بثالث .

وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر ، لان مارقش اباح لهم ذلك[٤٣] .

ثم ملك الروم تيزون[٤٤] واستقام ملكه ورغب في عبادة التماثيل والاصنام ويقال انه قتل في ملكه بطرس وبولس برومية على حسب ما قدمنا ، ونما دين النصرانية في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليه ، فقتل هذا الملك منهم خلائق[٤٥] .

اصحاب الاناجيل

ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره . فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيرودس ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من امره .

وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة. ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع بالعبرانية . ونقله يوحنا بن زبدى

---

٤٣) من يدري على ما يستند المسعودي في كلامه هذا عن رهبان مصر ، والى اي مصدر تاريخي يرجع قصة مارقس التي قضت طرافتها على كل ما للتاريخ .

٤٤) هو نيرون الغاشم الذي قطع رأس بولس وصلب بطرس منكساً كما ورد في التقليد الشعبي المسيحي .

٤٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ : ٢٩٩-٣٠٤ .

منهم الى اللسان اللاتيني . وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني الى بعض اكابر الروم. وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومه. وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه الى مرقاص تلميذه[٤٦] . واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفاً[٤٧] بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جداً .

واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد بروميه ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها. فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار ، وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوءات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ[٤٨] وزير سليمان. ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل[٤٩] وثامنها الابريكسيس[٥٠]

٤٦) في هذا النص عدة اخطاء تاريخية ، منها ان النص الانجيلي الاصيل لم يكتب ابداً باللاتيني بل ترجم فيما بعد الى هذه اللغة ؛ بل كتب الانجيليون الروايات باليونانية ؛ ولكن هنالك تقليدًا يقول ان متى كتب اولاً انجيله بالآرامية لا بالعبرانية ، وهذا النص ترجمه مجهول الى اليونانية فضاع الاول وبقي الثاني لدينا . لم يكتب بطرس انجيلاً بل هو تلميذه (مرقس وليس مرقاص ، وزبدى وليس زبدي) اخذ عنه تعليمه وكتب سيرة المسيح باليونانية .

٤٧) يعتقد النصارى ان كل ما ورد في الانجيل موحى من الله ، ولكن ليس على ما يعتقده المسلمون في قرآنهم ، فالله اذ يوحي لانسان كلامه وتعاليمه لا يبطل قوى الانسان العقلية بل يرفعها ويسمو بها بكرامة خاصة لتصبح قادرة على قبول كلام الله الذي يبلغ حينذاك الى الناس وهو كلام الانسان ايضاً .

٤٨) والاصح ابن سيراخ . وفي اعلاه « كتاب اوشير » والاصح كتاب استير .

٤٩) واحدة من القديس يعقوب ، والثانية من القديس يهوذا ، الثالثة والرابعة من القديس بطرس ، والثلاث الاخيرة من القديس يوحنا .

٥٠) هو ما نسميه اليوم كتاب « اعمال الرسل » .

في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس[٥١] وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس[٥٢] وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي . واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها واستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسيمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفائه الى ما بعد من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع . وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومه يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين . . .[٥٣]

ما قال الانجيليون الاربعة

وكانت حنة امرأة عمران قد نذرت ان وهب الله لها ولداً ان تجعله لله . فلما ولدت بمريم دفعتها الى زكريا بن برخيا بن شو بن نحرائيل بن سهلون بن ارسو بن شويل بن لمود[٥٤] بن موسى بن عمران وكان كاهن المذبح فلم يزل كذلك حتى اذا كملت سبع عشرة سنة بعث الله اليها الملك ليهب لها ولداً زكياً فكان من خبرها ما قد نصّه الله عز وجل حتى اشتملت على الحمل . فلما كملت ايامها طرقها المخاض على ما قال الله عز وجل ووصف من حالها وحاله وكلامه من تحتها وكلامه في المهد . وكان مولده بقرية يقال لها بيت لحم من قرى فلسطين وكان ذلك يوم الثلثاء لاربع وعشرين يوماً خلت من كانون

٥١) لم تعتبر الكنيسة يوماً رسالة اقليمندس موحاة من الروح القدس بالرغم من الاكرام الذي احيطت به في الاجيال الاولى .

٥٢) والاصح ابوكاليبسيس » وهي كلمة يونانية معناها « رؤيا » .

٥٣) ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، المقدمة ، ٢٣٢–٢٣٣ .

٥٤) هكذا في النص .

الاول ... واما اصحاب الانجيل فلا يقولون انه تكلم في المهد ويقولون ان مريم كان مسماة برجل يقال له يوسف من ولد داود وانها حملت فلما قرب وضع حملها سار بها الى بيت لحم فلما ولدت ردها الى ناصرة من جبال الجليل . فلما كان في اليوم الثامن ختنه على سنة موسى بن عمران . وقد وصف الحواريون اخبار المسيح وذكروا حاله فاثبتنا مقالة واحد منهم ومـــا وصفوه به . وكان الحواريون اثني عشر من اسباط يعقوب وهم شمعون بن كنعان من سبط (. . . ويعقوب) بن زبدي (. . .) ويحيى ابن جابر بن فامي من سبط زبلون وفيلنوس من سبط هرام بن يعقوب ويهوذا من سبط يهوذا بن يعقوب ويعقوب من سبط يوسف بن يعقوب ومنى من سبط روبيل بن يعقوب . وكان دون هؤلاء سبعون رجلاً وكان الاربعة الذين كتبوا الانجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا اثنان من هؤلاء الاثني عشر واثنان من غيرهم .

انجيل متى

فاما متى فانه قال في الانجيل في نسب المسيح: يسوع بن داود بن ابراهيم الى أسفل حتى انتهى الى يوسف بن يعقوب بن ماثن بعد اثنين واربعين أباً . ثم قال وكان يوسف بعل مريم وان المسيح ولد في بيت لحم من قرى فلسطين وملك فلسطين يومئذ هيرودس . وان قوماً من المجوس ساروا الى بيت لحم وعلى رؤوسهم نجم يهتدون به حتى رأوه فسجدوا لـــه . وان هيرودس ملك فلسطين اراد ان يقتل المسيح وان يوسف اخرجه واخرج امه الى ارض مصر . فلما مات هيرودس ردّه فانزله ناصرة جبل الجليل . وانه لما كمل المسيح وبلغ تسعا وعشرين سنة صار الى يحيى بن زكريا ليصطبغه فقال له يحيى بن زكريا: انا احوج اليك منك الي. فقال له المسيح: اترك هذا القول فان هكذا ينبغي ان يتم البرّ فتركه يحيى وان يسوع خرج بتأييد روح الله الى البرية فصام اربعين يوماً فاقترب اليه الشيطان فقال: ان كنت الآن ابن الله فمر هذه الحجارة تصير خبزاً. فقال يسوع : انه ليس بالخبز وحده يحيى[٥٥] البشر ولكن بكلمة الله .

٥٥) هكذا في النص .

فحمله فصيّره على جناح الهيكل ثم قال له الشيطان : فالقِ نفسك الى الارض فانك ان كنت ابن الله تكنفته ملائكة. فقال المسيح : انه مكتوب لا تجرب الله بك ، ثم قال للشيطان : اذهبْ فان لله اسجد واياه أعبد ، فتركه الشيطان وذهب .. ثم ان ملائكة الله عز وجل اقتربت منه فجعلوا يخدمونه .

انجيل لوقا

فأما لوقا فانه يقول في اول الانجيل : من اجل ان كثيرًا من الناس احبوا ان يكتبوا القصص والامور التي عرفناها رأيته يحق علي ان اكتب شيئاً علمته بحقه . انه كان في ايام هيرودس الملك كاهن يسمّى زكريا من خدام آل ابيأ وامرأته من بنات هارون تسمّى اليسبع وكانا جميعاً بارين قدام الله عاملين بوصاياه غير مقصرين في طاعته . ولم يكن لهما ولد وكانت اليسبع عاقرًا وزكرياء عاقرًا قد كبرت سنيهما . فبينما زكريا يكهن الدخنة فدخل الهيكل وجماعة خارج الهيكل فتراءى لزكريا ملك الرب قائماً عن يمين المذبح فارتعد زكريا حين ابصره وحلّت عليه الخشية فقال له الملك : لا ترهبن يا زكريا فان الله قد سمع صلواتك واجاب دعاءك فيهب لك ابناً تسميه يحيى [٥٦] ويكون لك فيه الخير والفرح ويكون عظيماً عند الله ولا يشرب خمرًا ولا سكرًا ويتلي من روح القدس اذ هو في بطن امه ويقبل الى الله بكثير من آل اسرائيل ويحل عليه الروح الذي حل على إليأ [٥٧] النبي ليقبل بقلوب الاباء على ابنائهم ويكونوا لله شعباً كاملاً . فقال زكريا للملك : كيف لي ان اعلم هذا وانا شيخ وامرأتي كبيرة السن ؟ فقال له الملك : اني انا جبريل القائم بين يدي الله عز وجل ارسلني لابشرك بهذا فمن الآن تكن صامتاً لا تتكلم حتى اليوم الذي يكون فيه هذا لانك لم تصدق ولم تؤمن بقولي الذي يتم في حينه . وكان الشعب قياماً ينتظرون زكريا ويتعجبون من لبثه في الهيكل . فلما ان خرج لم يقدر ان

٥٦) في النص الاصلي ، الانجيل ، يوحنا لا يحيى .

٥٧) اي ايليا ، وهو النبي الياس الذي ورد ذكره في القرآن أيضاً .

يكلمهم فعرفوا وايقنوا انه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومى، اليهم ايا.
ولا يتكلم . فلما تمت ايام خدمته انصرف الى بيته .

وحملت اليسبع امرأته واقامت تخفي نفسها اشهرًا خمسة وتقول هذا الذي صنع الي الرب في ايام نظره الي ليمحو عني عاري في البشر. ولما كان في الشهر السادس من حمل امرأة زكريا ارسل الله جبريل الملك الى جبل الجليل الى مدينة تدعى ناصرة الى فتاة عذرا، مملكة برجل يسمّى يوسف من آل داود اسمها مريم ، فدخل اليها الملك وقال لها : السلام عليك ايتها المملوءة من النعمة، ايتها المباركة في النسا. . فلما رأته فزعت من كلامه وجعلت تفكر وتقول : ما هذا السلام . وقال لها الملك : لا ترهبي يا مريم قد لاقيت ووافيت عند الله نعمةً ، بحقٍ انك تقبلين حبلى وتلدين ابناً وسميه ايسوع[٥٨] ويكون عظيماً وابن الاعلى يُدعى ويعطيه الرب الهه كرسي داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الدهر ولا يكون لملكه فنا. ولا انقطاع . فقالت مريم للملك : كيف يكون هذا ولم يمسني رجل ؟ قال لها الملك : روح القدس يحل عليك وهذا الذي يولد منك قدوس وابن الله يُدعى، وهذه اليسبع نسيبتك فهي ايضاً حبلى بابن على كبرها وهذا الشهر هو السادس لتلك التي تدعى عاقرًا لانه لا يعجز الله شي. . فقالت مريم : اني أمة الله فليكن لي كما قلت . ودخلت مريم الى بيت زكريا وطلت على اليسبع ، فلما سمعت اليسبع كلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت من روح القدس وقالت لمريم : مباركة انت في النسا. ، بحق انه لما وقع صوت سلامك في مسامعي بفرح عظيم ارتكض الجنين في بطني .

وولدت اليسبع امرأة زكريا ابناً وختنوه يوم الثامن وسموه يوحنا، ومن ساعته انفتح فوه وتكلم وبرك الله تعالى، وامتلأ زكريا من روح القدس وقال :

---

٥٨) والاصح « يسوع » كما يقول النصارى عامة بالعربية ؛ اما « أيسوع » فهي لفظة مأخوذة عن النصارى النساطرة الذين يقولون « إيشوع » بالسريانية بينما اليعاقبة يقولون « يشوع » بالسريانية ايضاً . واصل الاسم عبراني « يشُوَع » الذي معناه « الله المخلص »، وذلك « لانه هو يخلص شعبه من خطاياهم » ، كما قال الملاك في بشارته لمريم ، راجع انجيل متى ١ : ٢١ .

تبارك الرب اله اسرائيل الذي أبلى شعبه واطلقهم بالخلاص واقام لنا قرن الخلاص من آل داود كالذي تكلم على ألسنة انبيائه الطاهرين .

ولما كملت لمريم ايامها صعد بها يوسف الى جبل الجليل فولدت ابنها البكر فلفته في الخرق واضجعته في الاري من اجل انــه لم يكن لهما مكان حيث كانا نازلين . . . فأتاهم ملك الرب ومجد الله اشرق عليهم فخافوه خوفاً شديداً وقال لهم ملك الرب : لا تخافوا ولا تحزنوا بجزع اني ابشركم بفرح عظيم يعم العالم . ثم نسب المسيح من يوسف الى آدم .

وانه لما تمت له ثمانية ايام اتوا بــه ليختنوه كسنة موسى وسموه ايسوع وختنوه واتوا به الى الهيكل واتوا بذبيحة زوج يمام وفرخي حمام ليقرب عنه . وكان هناك رجل يقال له شمعان من الانبيا . فلما دنوا من المذبح ليقربوا عنه احتمله شمعان وقال : قد ابصرت عيناي حنانك يا رب فمن الآن فتوفني .

وكان اهله يصعدونه في كل سنة الى اورشليم في عيد الفسح[٥٩] وكان يخدم العظماء ويعجبون به لما يرون من حكمته .

وفي ذلك الزمان كان الملك هيرودس قد اخذ يوحنا فسجنه وذلك انــه كان يأتي امرأة اخيه فيلفوس فنهاه يوحنا ان يأتي ذلك وكان يريــد ان يقتله ويتقي لانهم كانوا يعظمون يوحنا . فقالت له امرأة اخيه : اقتل يوحنا . فوجه الى السجن فقطع رأس يوحنا ووضعه على طبق واقترب تلاميذه واخذوا جثته فقبروها وجاءوا المسيح فاخبروه فخرج الى ارض قفر وجعل يأمر اصحابه لا تخبرون احداً .

انجيل مرقس

فاما مرقس فانه قــال في اول انجيله : ايسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في اشعيا النبي : اني مرسل ملاكي قدام وجهك لاصلح سبيلك . وان يحيى بن زكريا كان يعمد المعمودية للتوبة وكان لباسه وبر الابــل وكان يشد

٥٩) والاصح « الفصح » وهي منقولة عن العبرانية ومعناها العبور تذكاراً لخروج العبرانيين من مصر عبر البحر الاحمر الى ارض الميعاد .

حقوته بغرفة من جلود وان المسيح جاء من ناصرة الجليل يعمده في الاردن فلما عمده خرجت روح القدس على الماء كالحمامة وصوت من السماء ينادي من السماء : انت ابني خليلي الذي بك سررت . وانصرف الى جبل الجليل فاذا قوم يصطادون السمك فيهم شمعون واندراوس فقال لهما : الحقاني اجعلكما تصطادون البشر ، فمضيا معه فدخل قرية فأبرى مرضاها وبرصها وفتح اعين عميان بها فاجتمع اليه قوم وجعل يكلمهم بامثال ووحي ويقول : بحق اقول لكم لا تذهب القبيلة[٦٠] حتى يذهب السماء والارض وكلامي لا يذهب . ثم ان تلامذته اقتربوا اليه فجعل يكلمهم بامثال ووحي وبغير امثال . وكان اول ما تكلم به من الانجيل على ما في الجيل متى: طوبى للمساكين القائمة قلوبهم بما عند ربهم بحق ان لهم ملكوت السماء ، طوبى للجياع العطاش في طاعة الله ، طوبى للصادقين في قولهم التاركين للكذب الذين هم ملح الارض ونور العالم ، لا تقتلوا ولا تسخطوا احداً وارضوا من سخط عليكم وصالحوا خصمكم ولا تزنوا ولا تنظروا الى غير نسائكم فان كانت عينكم اليمنى تدعوكم الى الخيانة فاقلعوها حتى تنجوا بابدانكم ولا تطلقوا نساءكم من غير زنية ولا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولا بسمائه ولا بارضه ولا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على عارضك الايمن فاقبل اليه بعارضك الايسر ومن اراد ان ينزع قميصك فأعطه ايضاً رداءك ومن سخرك ميلاً فانطلق معه ميلين ومن سألك فاعطه ومن استقرضك فاقرضه ولا تحرمه . قد سمعتم انه قد قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاني اقول لكم احبوا اعداءكم وصلوا من قطعكم وافعلوا الخير الى من بغضكم . ان كنتم تحبون الذين يحبونكم فاي اجر لكم . لا تظهروا صدقاتكم بين ايدي البشر لا تعلم شمائلكم بما عملت ايمانكم . لا تراءون الناس بصلاتكم واذا صليتم فادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم ولا يسمعكم احد واذا صليتم فقولوا: ابانا الذي في السموات يقدس اسمك وتأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء وعلى الارض خبزنا

---

٦٠) والاصل في انجيل مرقس ١٣ : ٣٠ – ٣١ : « الحق اقول لكم انه لا يزول هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول » .

كفافنا أعطنا اليوم واترك لنا الذي علينا كمثل ما نترك نحن لغرمائنا . ولا تدخلنا في تجربة يا رب ولكن نجنا من الشرير . ولا تظهروا صيامكم للبشر اذا صمتم لله ربكم ولا تغيروا وجوهكم ليراكم الناس فان ربكم يعلم بحالكم ولا تدخروا الذخائر حيث السوس والارضة الآكلة يفسدون وحيث اللصوص يحفرون ولكن تكون ذخائركم عند ربكم الذي في السماء حيث لا سوس يعدو ولا لص يسرق ولا تهتموا بمعاشكم ولا تأكلون ولا تشربون ولا ما تلبسون . وانظروا الى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في البيوت فانا لله يرزقهن وانتم اكرم على الله من الطير . لا تهتموا لاولادكم فانهم مثلكم كما خلقتم خلقوا وكما رزقتم رزقوا . ولا تقل لاخيك أخرج القذى من عينك وفي عينك انت جذع . لا تنظروا في عيوب الناس وتدعوا عيوبكم . لا تعطوا القدس اللؤلؤ للخنازير فتدوسه بارجلها . سلوا ربكم يعطكم وابتغوا اليه فانكم تجدونه رحيماً بكم واقرعوا بابه يفتح لكم اما الباب فانه معرض والطريق بيّن وهو يبلغ الناس التلف وما اصغر الباب واضيق الطريق التي تبلغ الناس النجاة. تحفظوا من اهل الكذب الذين يشبهون الذئاب الضارية . كما لا تستطيعون وتقطفون العنبة من الشوك ولا التين من الحنظل هكذا لا تجدون شجرة سوء تخرج نباتاً صالحاً ولا شجرة صالحة تخرج ثمرة سوء . كل من يسمع كلامي ثم يفهمه فانه يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته في مكان صلب شديد فجاء المطر ودرت الانهار وارتفعت الرياح (...) فسقط البيت .

انجيل يوحنا

واما يوحنا السليح فانه يقول في اول انجيله في نسبة المسيح : قبل كل كانت الكلمة وتلك الكلمة عند الله والله كان هو الكلمة . هذه كانت قبل كل شيء . كان بها ، كانت الحياة والحياة هي نور البشر وذلك الضياء في الظلام (والظلام) لم يدركه (كان انسان) كان ارسله الله اسمه يوحنا اتى للشهادة ليشهد على النور ليهتدي الناس ويؤمنوا على يده ولم يكن هو النور فان نور الحق لم يزل يضيء . ويبين في (العالم) كان في يده والعالم لم يعرفه .

الى خاصته اتى وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه وآمنوا به فاعطاهم الله سلطاناً ليكونوا يدعون ابناء الله اولئك الذين يؤمنون باسمه الذي لا من الدم ولا من هوى اللحم ولا من شهوة المرء وُلد ولكن من الله وُلد . والكلمة صارت لحماً وحلت فينا ورأينا مجدها مجداً كالوحيد الذي من الاب المملوء من النعمة والقسط . ويوحنا شهد عليه ونادى وقال هذا قلتُ انه يأتي من بعدي وقد كان قبلي من اجل انه اقدم مني . ومن تمامه كلنا نلنا نعمةً فاضلةً بدل النعمة الاولى لان التوراة على يد موسى أُنزلتْ فأما الحق والنعمة فبايسوع المسيح (. . .) الكلمة التي لم تزل في حضن ابيها[٦١] .

ولما رفع عيسى المسيح اجتمع الحواريون الى اورشليم في جبل طور الزيتون وصاروا الى علية كان فيها بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وتوما وبرتلموس ومتاوس ويعقوب (. . .) . فقام سمعان على الحجر فقال : يا معشر الاخوة قد كان ينبغي ان يتم الكتاب الذي سبق فيه روح القدس وارادوا ان يجعلوا رجلاً يتمّ به الاثنا عشر فقدموا متى وبرسبا ، وقالوا : اللهم اظهر لنا من تختاره . فوقع على متى فاصابتهم ريح شديدة امتلأت الغرفة التي كانوا فيها ورأوا مثل لسان النار فتكلموا بألسن شتى ثم قالوا لبطرس : ماذا تصنع ؟ فقال لهم بطرس : قوموا واعمدوا كل انسان منكم باسم المسيح وتنحوا عن هذه القبيلة المعوجة. واقام بطرس ويوحنا كلما دخلا الكنيسة ذكراً أمر المسيح ووصفا فعله ودعوا الناس الى عبادته فانكروا[٦٢] ذلك عليهم اليهود واخذوهم فحبسوهم ثم اطلقوهم وقالوا : نختار سبعة رجال يقدسون الله ويذكرون حكمته ومسيحه ، فاختاروا اصطفانس وفيلبس وابرحورس ونيقانور وطيمون وبرمنا ونيقولاوس الانطاكي[٦٣] واقاموهم فصلوا عليهم وقدسوهم فجعلوا يصفون امر المسيح ويدعون الناس الى دينهم . وكان بولس اشد الناس عليهم واعظمهم

---

٦١) اليعقوبي ، ١ : ٨٣–٨٥ .

٦٢) هكذا في الاصل .

٦٣) وفي الكتاب المقدس ، اعمال الرسل ٦ : ٥ : « فاختاروا استفانس رجلاً ممتلئاً من الايمان والروح القدس وفيلبس وبروكورس ونيقانورس وطيمون وبرمناس ونيقولاوس دخيلا انطاكيا » .

ايذاء لهم وكان يقتل من يقدر عليه منهم ويطلبهم في كل موضع فخرج يريد دمشق ليجمع قوماً كانوا بها فسمع صوتاً يناديه : يا بولس كم تضطهدني ، ففزع حتى لم يبصر . ثم جاء حنانيا فقدس عليه حتى انصرف وبرأت عينه فصار يقوم في الكنائس فيذكر المسيح ويقدسه . فارادت اليهود قتله فهرب منهم وصار مع التلامذة يدعو الناس ويتكلم بمثل ما يتكلمون به ويظهر الزهد في الدنيا والتقليل منها حتى تقدموه.[٦٤] الحواريون جميعاً على انفسهم وصيروه رأسهم وكان يقوم فيتكلم ويذكر امر بني اسرائيل والانبياء ويذكر حال المسيح ويقول : ميلوا بنا الى الامم كما قال الله للمسيح : اني وضعتك نوراً للامم فتصير اخلاصاً[٦٥] الى اقطار الارض . فتكلم كل رجل منهم برأيه وقالوا : ينبغي ان يحتفظ بناموس وان يرسل الى كل بلد من يدعو الى هذا الدين وينهاهم عن الذبائح للاوثان وعن الزنا وعن أكل الدم. وخرج بولس ومعه رجلان الى انطاكيه ليقيموا دين المعمودية ثم رجع بولس وأخذ فحمل الى ملك رومية فقام فتكلم وذكر حال المسيح فتحالف قوم على قتله لافساده دينهم وذكره المسيح وتقديسه عليه[٦٦] .

٦٤) هكذا في النص ؛ لقد كان بطرس هو المتقدم دائماً حسب ارادة المسيح .

٦٥) وفي المرجع الاصلي ، اي كتاب اعمال الرسل ١٣ : ٤٦ : « اني جعلتك نوراً للامم لتكون للخلاص الى اقصى الارض » .

٦٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ١ : ٨٨–٨٩ . لقد اختصر اليعقوبي في هذا النص كتاب اعمال الرسل . وهو في عقيدة المسيحيين كتاب اوحاه الروح القدس وفيه ذكر لنشأة الكنيسة في العقود الاولى .

الفصل السادس

مواعظ المسيح

كان عيسى استاذ الصوفيين وشيخهم الاكبر، على طريقته ساروا وبهديه اهتدوا. فلقد اعترف له الغزالي بشطحات لم يعط لاحد غيره ان يبوح بها، وقال ابن العربي « انه تاب على يده »، وقضى الحلاج على « دين الصليب » غافراً مثل المسيح للصالبين.

وذلك لان عيسى حقق في زعم الصوفيين ما كانوا هم يصبون الى تحقيقه لله حياتهم من زهد بالحياة الدنيا وتقرب الى الله.

وهذه هي المواعظ التي نسبوها اليه، وكأنها انجيل المسيح في الاسلام؟ ولقد جمع معظمها ابو حامد الغزالي في كتابه الرائع، « احياء علوم الدين ». وكلها تكاد تدور حول قطبين مهمين اولهما الفقر وثانيهما ادراك الله والفناء فيه، وهذه هي المعرفة او الحكمة التي عنها يتكلمون.

ولا بد من الاشارة الى ان المرجع الاول لمقالات الصوفية في المسيح وللعظات التي اوردوها على لسانه هو كلام القرآن الذي يدعو عيسى وحده من بين الانبياء « روح الله وكلمته ». واذ تأملوا بحقيقة عيسى كما صورها لهم الكتاب وجدوا فيه مثالا اسمى للزهد بالفاني والتوق الى الكمال.

وان بين هذه المواعظ العيسوية وبين ما ذكرت الاناجيل صلات وثيقة تبين دون جهد للعارفين بالاصول المسيحية. ولكن غالباً ما يبعد النص الانجيلي فيتغير معناه وينتحل مبناه. ولقد جهدنا وسعنا في اظهار هذه القربى بين التراثين المسيحي والاسلامي.

الله يكلم عيسى

(عن عوسجة العقيلي) : اوحى الله تبارك وتعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام :

يا عيسى بن مريم أنزلني من نفسك كهمك ، واجعلني ذخرًا في معادك ! تقرب الي بالنوافل أدنك ، وتوكل علي أكفك ! ولا تولّ غيري فاخذلك واصبر على البلاء وارض بالقضاء . وكن كمسرتي فيك فان مسرتي فيك ان أطاع فلا أعصى ! وكن مني قريباً وأحيِ لي ذكرًا بلسانك ولتكن مودتي في صدرك ! تيقظ من ساعات الغفلة وأحكم لي لطف الفطنة ، وكن لي راغباً وراهباً ، وأمتْ قلبك بالخشية لي ، وراعِ الليل لتُجزى مسرتي ، واظمأ لي في نهارك ليوم الريّ عندي ! امشِ في الخير جهدك ، ولتُعرف بالخير حيث ما توجهت ! واحكمْ لي في عبادي بنصيحتي ، وقمْ في الخلائق بعدلي ، فقد انزلت عليك شفاء من وساوس الصدور ومن مرض الشيطان وجلاء الابصار ومن عشا الكلال ! ولا تكُ كأنك فلس معبور وانت حي تتنفس !

يا عيسى بن مريم حقاً اقول لك ما آمنت بي خليقة الا خشعت لي ، ولا خشعت الا رجت ثوابي ، واشهدك انها آمنة من عقابي ما لم تبدل او تغير سنتي !

يا عيسى بن مريم ابن البكر البتول ابكِ على نفسك ايام الحياة بكاء مودع الاهل ، وخلّى الدنيا وترك اللذات لاهلها من بعده ، وارتفعت رغبته فيما عند الهه ! وكن يقظان اذا نامت عيون الابرار حذرًا لما هو آت من امر المعاد وزلازل الاهوال حيث لا ينفع اهل ولا ولد ولا مال ! واكحل عينك بملمول الحزن اذا ضحك البطالون ، وابك بكاء من قد علم انه مودع للملم النازل الذي هو اقرب من حبل الوريد معه ! وكن في ذلك صابرًا محتسباً فطوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين (فرح من الدنيا بالله يوماً يوماً ، وذق مذاقه !) ما قد هرب منك اين طعمه ، وما لم يأتك كيف لذته ؟ حقاً ما اقول لك ما انت الا ساعتك ويومك ، فرح من الدنيا بالبُلغة ، وليكفك منها الجرس الجشب[1] .

---

١) اي المرعى الغليظ .

قد رأيت الامَ تصير ! مكتوب عليك ما اخذت وكيف رتعت ، فاعمل على حساب فانك مسؤول ! لو رأت عيناك ما اعددتُ لاوليائي الصالحين لذاب قلبك وزهقت نفسك اشتياقاً اليه[٢] .

قال الله سبحانه لعيسى : ان الدنيا لا تصلح الا بالقمح والشعير فلا يصلح فسادهما ، فانهما اعز خلقي علي .

يا عيسى اعلم ان للزرع حرمة لا تشبهها حرمة احد من الخلق واني اغضب علىَّ ما افسده كغضبي على من قال : اني ثالث ثلاثة[٣] ، أو كغضبي على من قال : اني فقير ، او كغضبي على من زعم اني ولدت ولداً حتى يكفر مما صنع ويتوب مما جناه فاغفر له وانا غفار للذنوب[٤] .

اوحى الله الى عبده المسيح ان قلْ لبني اسرائيل اني لا استجيب لاحد منهم دعوة ولاحد منهم قبلة مظلمة ...

يا عيسى قل لبني اسرائيل ان لا يعدوا ايديهم بالرغبة الي حتى يبرأوا من انجاس الذنوب[٥] .

ان الله عز وجل قال : يا عيسى اني باعث من بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم . قال : يا رب كيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي[٦] .

٢) ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، ٦: ٢٣١-٢٠٢؛ قابل جزئياً بابي طالب المكي، قوت القلوب ، ٢: ١٧٩ .

٣) الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة هم النصارى حسب القرآن ، والذين قالوا ان الله ولد ولداً هم المشركون من اهل مكة .

٤) عن مخطوطة عربية في مكتبة الاكاديمية التاريخية الملوكية، في مدريد، تحت عنوان Goyangos تحت عدد ٦٨ : ١ صفحة ١٨٢ ، قد يكون في هذا صدى لما ورد في الانجيل عن الزارع الذي « جاء عدوه بينما الناس نائمون فزرع زواناً في حقله ومضى » متى ١٣ : ٢٥ .

٥) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٣٩١ ، حديث عن علي .

٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ٢٢٧ ؛ ٥ : ٣٢ - ٣٣ .

تفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي ربك[٧] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : يا عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني[٨] .

قيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك[٩] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : تزعم أنك لا تسألني شيئاً فاذا قلت : ما شاء الله ، فقد سألتني كل شيء[١٠] .

يروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام : لو انك عبدتني بعبادة اهل السماوات وحبٌ في الله ليس ، وبغض في الله ليس ، ما اغنى عنك ذلك شيئاً[١١] .

اوحى الله الى عيسى عليه السلام : اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد

---

٧) الغزالي ، ايها الولد ، ٦٣ ؛ وهو نسخ لكلام المسيح في الانجيل : « ايها الطبيب اشف نفسك » لوقا ٤:٢٣ .

٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢:٣٨٢ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٧ ؛ ٤ : ٢٩٩ ؛ الرسالة الوعظية ، ١٥٤ – ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٨ ؛ ١٠ : ١٤٨ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١١٧ .

٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٥٥ .

١٠) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٢٠١ ؛ قابل بالانجيل : « اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه » ، متى ٦:٣٣ .

١١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ . قابل بنشيد المحبة على لسان القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنثيه ، الفصل الثالث عشر ، عدد ١ – ٣ : « لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن في المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن . ولو كانت لي النبوءة وكنت اعلم جميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لي الايمان كله حتى انقل الجبال ولم تكن في المحبة فلست بشيء . ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم تكن في المحبة فلا انتفع شيئاً » .

فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي[١٢] .

اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: لا يفقد نبي حرمته الا في بلده[١٣]

دعاء عيسى

دعاء عيسى صلعم كان يقول :

اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو . واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني .

اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني ، يا حي يا قيوم![١٤] .

ذكر عن عيسى عليه السلام انه قال : يا رب كيف اشكرك وشكري اياك نعمة منك علي يجب علي الشكر عليها ؟ فقال : اذا علمت هذا فقد شكرتني[١٥] .

(عن ابراهيم بن عبدالله) وان شئت ثنيت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم كان يقول :

ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق

---

١٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ٢٥٨ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٧٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٨١ ؛ القشيري ، الرسالة القشيرية ، ١٧٣؛ قابل بالانجيل : « من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي . . . واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا . » يوحنا ١٤ : ٢١ ، ٢٣ .

١٣) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ٢ : ١٤؛ وهو مأخوذ عن الانجيل : « لا يكرم نبي في بلده » يوحنا ٤ : ٤٤ .

١٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٢٢ ؛ ٣ : ١١٣ ؛ ٤ : ٩٥ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٥ : ٦٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ١ : ١٤ .

١٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٣٧٠ ؛ وقد جاء الكلام عينه على لسان موسى وداود ، عند الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٦٢ ، والزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٥٥ .

الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض . أبيت وليس عندي شيء وأصبح وليس عندي شيء. وما على الارض اغنى مني[١٦] .

ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى :

اللهم انت اله من في السماء واله من في الارض ، لا اله فيهما غيرك. وانت جبار من في السموات ومن في الارض لا جبار فيهما غيرك . وانت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك . وانت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك . قدرتك في الارض كقدرتك في السماء ، وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء . اسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير[١٧] .

مواعظ عيسى

قال عيسى صلعم : من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات[١٨] .

قال عيسى عليه السلام : ما اكثر الشجر وليس كلها بثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع[١٩] .

قال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر

١٦) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦:٣١٤ ؛ الغزالي احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٧٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٠١ الذي ينسب مثل هذا الكلام الى الامام علي نقلاً عن كتاب نهج البلاغة ؛ ويورده ايضاً الحسن البصري عن المسيح في حلية الاولياء ، ٣ : ١٣٧ .

١٧) الثعلبي ، عرائس المجالس ، ٣٩٠ .

١٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٠٦ حيث : « من تعلم وعمل فذ كتب في ملكوت السموات عظيماً . » قابل بالانجيل : « اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات . » متى ٥ : ١٩ .

١٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ؛ قابل بالانجيل : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين الخ . . . » متى ٧ : ١٦ – ٢٠ .

لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى[٢٠] .

قال عيسى عليه السلام : كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه ؟ وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به[٢١] .

قال عيسى عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد[٢٢] .

في التوراة والانجيل مكتوب : لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم[٢٣] .

كلام عيسى بن مريم عليه السلام : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل . ويلكم علماء السوء . الاجر تأخذون والعمل تضيعون يوشك رب العمل ان يطلب عمله . كيف يكون من اهل العلم من سيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره على دنياه وما يضره اشهى اليه — او قال : احب اليه — مما ينفعه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر عنه لا ليعمل به والعلم فوق

٢٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٥٤ ؛ ٣ : ٢٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ١٥٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٨ ؛ قابل بانجيل متى ، ٢٣ : ١٢ ؛ ٢٣ : ٢٧ ، ١٣ .

٢١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٣ ؛ وفي الانجيل : « مها قالوا (الكتبة والفريسيون) لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون » متى ٢٣ : ٣ .

٢٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٧٤ .

٢٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٧٥ حيث نص آخر : « يا ابن ادم لم تطلب علم ما لم تعلم وانت لما تعمل فيما تعلم » .

رؤوسكم والعمل تحت اقدامكم فلا احرار كرام ولا عبيد اتقياء.[٣٤]

قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون يقربون الاغنياء ويبعدون الفقراء ويتبسطون للكبراء وينقبضون عن الحقراء اولئك اخوان الشياطين واعداء الرحمان[٣٥].

بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم . يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته . بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم . جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم . بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فأي الناس اخسر منكم لو تعلمون .

ويلكم حتامَ تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلاً مهلاً ! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يُوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ، كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة .

يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان

---

٣٤) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٦٣ ؛ قابل جزئياً بابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٠٣ ؛ والغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٦ ؛ قابل بنص الانجيل ، متى ، ٢٣ : ٣ ؛ لوقا ٩ : ٦٢ ؛ ١٢ : ٣٢ .

٣٥) ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد ، ١ : ١٥٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ١٥ .

عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم[٢٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : ويلكم يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم واهواؤكم عقولكم . قولكم شفاء يبرىء الداء وفعلكم داء لا يقبل الدواء . ألستم كالكرمة التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولكنكم كالسَّمُرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها .

ويلكم يا عبيد الدنيا جعلتم العمل تحت اقدامكم من شاء اخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناولها . فلا انتم عبيد نصحاء ولا احرار كرام .

ويلكم يا اجراء السوء ، الاجر تأخذون والعمل تفسدون ! سوف تلقون ما تحذرون اذا نظر رب العمل في عمله الذي افسدتم واجره الذي اخذتم[٢٧] .

قد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له : مَن أشدّ الناس فتنةً ؟ فقال: زلة عالم اذا زل بزلته عالم[٢٨] .

روي عن عيسى بن مريم عليهما السلام: ماذا يغني عن الاعمى حمل السراج ويستضيء به غيره ؟ وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذ يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها[٢٩] ؟

---

٢٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣:١٨٢ ؛ قابل بالكتاب عينه ، ١ : ٤٤ ؛ ٣ : ٢٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١:٣٥١ ؛ ٨:٢١٣ ، ٣١٨ ؛ والغزالي ، مكاشفة القلوب ، ١٧٧ ؛ فاتحة العلوم ، ١٨ ؛ قابل بالانجيل : متى ٧ : ١٥ ؛ ١٥:٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ؛ ٢٣:٣ ، ٤ ، ١٤ ، ٢٤ – ٢٨ .

٢٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١:٢٧٧ .

٢٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١:٥٨ ؛ وفي الانجيل : « الويل للعالم من الشكوك ، فلا بد من الشكوك ، ولكن الويل للانسان الذي تقع الشكوك عن يده . » متى ، ١٨:٧ ؛ مرقس ، ٩:٢ ؛ لوقا ، ١٧:١–٢ .

٢٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٥٦ ؛ وفي الانجيل : « لا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال بل على المنارة لينير على كل من في البيت » ، متى ، ٥:١٥ ؛ مرقس ٤: ٢١ ؛ لوقا ٨:١٦ ؛ ١١:٣٣ .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق أقول لكم ان قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حققها بعمله[٣٠] .

قال عيسى بن مريم عليها السلام : يا معاشر الفقهاء تعدتم على طريق الآخرة فلا انتم مشيتم فوصلتم اليها ولا انتم تركتم احداً يجوزكم اليها فالويل لمن اغترّ بكم[٣١] !

روي عن عيسى عليه السلام : العلماء ثلاثة ، عالم بالله وبامر الله ، وعالم بالله ليس عالماً بامر الله ، وعالم بامر الله وليس عالماً بالله[٣٢] .

روي عن وهب بن منبّه ان عيسى بن مريم عليه السلام قال : ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الاعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه اذ لم يعمل به . ما اكثر اثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل وما اكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم ! فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤوسهم للارض يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب ! قولهم يخالف فعلهم . من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين ، كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب الا زوراً لان البعير اذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع الى وطنه واهله ، وان العلم اذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطّله ، وإن الزرع الا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل .

ويلكم يا عبيد الدنيا ان لكل شيء علامة يُعرف بها ويشهد له او عليه . وان للدين ثلاث علامات يُعرف بهن : الايمان والعلم والعمل[٣٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا

---

٣٠) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ .

٣١) ابن العربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ٢ : ٢٣ .

٣٢) كتاب الترمذي ، مكتبة الاسكوريال ، عدد ١٨٦٠ صفحة ٥٤ ذكره اسين بلاثيوس ، عدد ٢٣٥ في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٦٠١ .

٣٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٢٩ ، قابل بالانجيل ، « هل يجتنى من الشوك عنباً ومن العوسج تيناً ؟ » متى ٧ : ١٦ .

تمنعوها اهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء . من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم . ان للحكمة حقاً وان لها اهلاً فاعطِ كل ذي حق حقه[٣٤] .

قال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير[٣٥] .

قال المسيح عليه السلام : ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر. ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجّه ، ومن طأطأ أظلّه وأكنّه[٣٦] .

روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل : اين ينبت الزرع ؟ قالوا: في التراب ، فقال : بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب[٣٧] .

يروى ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : لست اعلمكم لتعجبوا انما اعلمكم لتعملوا ، ليست الحكمة القول بها انما الحكمة العمل بها[٣٨] .

٣٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٢٥٣ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٣ ؛ ابو طالب المكي ، ٢ : ٣٢ ؛ قابل بالانجيل : « أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله . » ، متى ٢٢ : ٢١ .

٣٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٤٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١ : ٣٤٣ ؛ الغزالي ، فاتحة العلوم ، ٦٢ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ٣٠٢ ؛ قابل بالانجيل : « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم . » متى ، ٧ : ٦ .

٣٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٦٢ ؛ قابل بانجيل مثل الزارع الذي القى حبه على ارض حجرة ، وعلى الطريق ، وفي ارض طيبة ترابية ، متى ١٣ : ٣ – ٢٣ ؛ مرقس ٤ : ١٣ – ٢٠ ؛ لوقا ٨ : ٥ – ٨ ؛ وكلامه الآخر : « من ارتفع اتضع ومن اتضع ارتفع » .

٣٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٥٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٧٧ ؛ قابل بالانجيل مثل الزارع : « اما الذي زرع في الارض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم فيعطي ثمرة . » ، متى ١٣ : ٢٣ ؛ لوقا : ٨ : ١٥ .

٣٨) ابن عبد البر القرطبي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ، ١٠٠ ، قابل بالانجيل :

روي عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال : كل كلام ليس بذكر الله فهو لغو ، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة ، وكل نظر ليس بعبرة فهو لهو. فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله وسكوته تفكرا ونظره عبرة[٣٩] .

قال المسيح عليه السلام : الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراثون[٤٠] .

روي عن عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليها انـه قال : يا معشر العلماء زغتم عن الطريق واحببتم الدنيا. فكما ان الملوك تركوا الحكمة عندكم فاتركوا ملكهم عليهم[٤١] .

قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع ، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تُركب وتُمتهن تصعب ويتغير خلقها ، كذلك القلوب اذا لم تُرقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ان الزقّ ما لم ينخرق او يتحل يوشك ان يكون وعاء العسل ، كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسّيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[٤٢] .

قال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن

« اما الذي يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات ... ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات » متى ٥ : ١٩ ؛ ٧ : ٢١ .

٣٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٨ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ٣٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ ؛ الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

٤٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٩٤ ؛ وفي الانجيل : « الحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزؤان هو بنو الشرير ، والعدو الذي زرعه هو ابليس والحصاد هو منتهى الدهر ، والحصادون هم الملائكة . » متى ١٣ : ٣٨-٣٩ .

٤١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٩٠ ؛ قابل بالانجيل : « اوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » متى ٢٢ : ٢١ .

٤٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١١ .

كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد[٤٣] .

قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم[٤٤] .

قال المسيح صلعم : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . قالوا : يا نبي الله انا نريد ان نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعاً نبني فيه ، فقال : تعالوا . فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال: ابنوا ههنا . فقالوا: نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعوننا فيها ؟ فقال : كذلك الدنيا مدرجة للموتى وانتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها[٤٥] .

قيل لعيسى عليه السلام: ألا تبني بيتاً ؟ قال: ابني على طريق السيل[٤٦] .

قال عيسى عليه السلام : مثل الدنيا في الآخرة كمثل رجل له ضرتان ان ارضى احديهما أسخط الأخرى[٤٧] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : يا بني اسرائيل اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم ، كلما اقبلتم الى المشرق بعدتم

---

٤٣) الغزالي، احياء علوم الدين، ٣: ١٤٠ ؛ الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٨: ٨٦ ؛ وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله والمال » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ ١٩ : ٢١ — ٢٦ ؛ لوقا ١٦: ١٣ .

٤٤) الغزالي، احياء علوم الدين، ٤: ١٤٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣: ١٨ .

٤٥) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣: ١٧٨ — ١٧٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ١٥٨ ، الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٣٢ ، وفي الانجيل : « وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيته على الرمل » ، متى ٧: ٢٦ ، لوقا ٦ : ٤٧ — ٤٩ .

٤٦) عن سفيان الثوري، الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ٩: ٣٣٢، ابو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء ، ٧: ٢٧٣ .

٤٧) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٥٧ شمالاً ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٥١ ، وفي الانجيل : « لا يمكنكم ان تعبدوا ربين الله تعالى والمال » ، متى ٦: ٢٤ .

من المغرب ، وكلما اقبلتم من المغرب ازددتم من المشرق بعداً . اوصاهم بهذا المثل ان يقربوا من الآخرة بالاعمال الصالحة[٤٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض اصحابه يوصيه: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وكن كالمداوي جرحه بالدوا. خشية ان يثقل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت فان الموت يأتي الى المؤمن بخير لا شر بعده ، والى الشرير بشر لا خير بعده[٤٩] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض مواعظه لبني اسرائيل: يا ايها العلماء وايها الفقهاء. تعدتم على طريق الآخرة فلا انتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة ولا تتركون احداً يجوزكم اليها ، وان الجاهل اعدل من العالم وليس لواحد منهما عذر[٥٠] .

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله[٥١] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه[٥٢] .

قال الحواريون : يا عيسى من هم اوليا. الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسى عليه السلام : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والذين نظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى

٤٨) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، « من يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها لحياة الابد » يوحنا ١٢ : ٢٥ ؛ والمزمور ١٠٣ : ١٢ : « بمقدار بعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا » .

٤٩) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٥٦٥ ؛ وفي المزمور ٣٣ : ٢٢ : « موت الخطاة بالسيئات » .

٥٠) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٤:٥٦٧ .

٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ رسالة الى ماكشاه ، ٧٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١١ .

٥٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٣٣٢ .

عاجلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يشينهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً وذكرهم اياها فواتاً وفرحهم بما اصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نيلها رفضوه ، وما غارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، وخلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها ، وخربت بيوتهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات وأحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله عز وجل ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به . لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب وبهم عُلم الكتاب وبه عملوا ، وليس يرون نائلاً مع ما نالوا ولا اماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون[٥٣] .

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيداً . اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .

وقال عليه افضل الصلاة والسلام : يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عُصي الله فيها ، وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تُدرك الا بتركها . ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزناً طويلاً .

وقال ايضاً : بطحتُ لكم الدنيا على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة .

وقال ايضاً : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى

---

٥٣) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١ : ١٠ ؛ قابل جزئياً بابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بمواعظ المسيح المديدة في الانجيل عن متاركة العالم وبطلانه وعن قهر الذات .

يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه[٥٤] .

قال المسيح عليه السلام : يا طالب الدنيا ليبرّ بها ، تركك لها أبرّ .

وقال : أقلّ ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله ، وذكر الله اكبر وافضل[٥٥] .

قيل لعيسى عليه السلام : علّمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه . قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى .

قال عيسى عليه السلام : اوحى الله الى الدنيا : من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه[٥٦] .

قال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر ، والله تعالى يرزقها يوماً بيوم ، فان قلتم نحن أكبر بطوناً ، فانظروا الى الإنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق[٥٧] .

---

٥٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ١٣٩ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨: ٨٢ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٦ ؛ ويزيد ابو نعيم الاصبهاني بعد « لا تعمروها » نقلاً عن وهيب بن الورد : « وان هذا الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة » ؛ وفي الانجيل : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون . لا يقدر احد ان يعبد ربين لانه إما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويرذل الاخر ، لا تقدروا ان تعبدوا الله والمال » ، متى ٦: ١٩ ، ٢٠–٢٤ ؛ « هذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلاة » ، متى ١٧ : ٢٠ ؛ « انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم » ، يوحنا ١٦ : ٣٣ ؛ « الكبرياء اول الخطاء » ، سفر يشوع بن سيراخ ١٠: ١٥ .

٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣: ١٤٢، ٢٢٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٩٠ ، ٣٢١ .

٥٦) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٣ ؛ قابل بانجيل لوقا ١٢: ٢٩ – ٣١ .

٥٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ١٩٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٤٧٧ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٣: ٦ .

قال عيسى عليه السلام : اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم . انظروا الى هذا الطير يغدو ويروح لا يحرث ولا يحصد الله تعالى يرزقها ، فان قلتم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا الى هذه الاباقر من الوحش والحُمر تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها ، اتقوا فضول الله فان فضول الدنيا عند الله رجز[٥٨] .

كان عيسى عليه السلام يقول للدنيا : اليك يا خنزيرة[٥٩] .

قال الحواريون : روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما امرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي انت . فقال : اخبروني كيف حبكم للدنيا . قالوا : انا لنحبها . فقال : ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر .

وفي خبر آخر انه رفع حجراً فقال : ايها احب اليكم هــذا او الدينار والدرهم ؟ قالوا : الدينار ، قال : فانهما عندي سواء[٦٠] .

روي عن طريق عبد الواحد بن زيد قد قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم[٦١] .

قيل لعيسى عليه السلام : لِمَ لا تشتري حماراً فتركبه ؟ فقال : انا اعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار[٦٢] .

قال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : انا الذي كفأت الدنيا على

---

٥٨) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٧٧ ؛ وفي الانجيل : « انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر وابوكم السماوي يقوتها » ، متى ٦ : ٢٦ .

٥٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ٢ : ١٦١ ، يشبه هذا قول المسيح للشيطان الذي جرّبه في شخص بطرس : « اليكَ عني يا شيطان » ، مرقس ٨ : ٣٣ .

٦٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٩٠ ؛ قابل بسفر الحكمة ، ٧ : ٩ .

٦١) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٥ ؛ ١٠ : ٢٢٣ ؛ وهذا بيت معروف لابي العتاهية : « لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب » .

٦٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٣٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٤١٤ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ٢ : ٢٥١ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ان طعامي هو ان اعمل مشيئة من ارسلني » ، يوحنا ٤ : ٣١-٣٤ .

وجهها فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب[٦٣] .

قال عليه السلام للحواريين : اتخذوا المساجد بيوتاً والبيوت منازل وكلوا بقل البرية واشربوا الماء القراح وانجوا من الدنيا سالمين[٦٤] .

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منهـا ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر ، فقال لاصحابه : ايهما احلى في قلوبكم؟ قالوا : الذهب . قال : فانهما عندي سواء[٦٥] .

قال المسيح عليه السلام : معاشر الحواريين ، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا . بحق أقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل[٦٦] .

روينا عن عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة خلقت يُعبر اليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها[٦٧] .

روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ورآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجتِ ؟ قالت : لا احصيهم . قال : فكلّهم مات عنك ام كلهم طلّقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر[٦٨] .

قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخـذه في غير حلّه . فقيل : إن أخذ من حلّه ؟ فقال : يضعه في غير حقّه . فقيل : إن

٦٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٩٤ .

٦٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ .

٦٥) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ .

٦٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٣٢ ، ١٦٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٤٩ ، ٣٥١ ؛ عبيد الضرير ، ترمة الناظرين ، ٢٤٣ .

٦٧) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٨ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١١٠ .

٦٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٨ ؛ رسالة الى ملكشاه ، ٧٣ ؛ التبر المسبوك ، ٣٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ٨ : ١٠٧ ؛ عبيد الضرير ، ترمة الناظرين ، ٣٠٩ .

وضه في حقه ؟ فقال : يشغله اصلاحه عن الله تعالى[٦٩] .

قال عيسى عليه السلام : من عمل بغير مشورة باطلاً يتمنى[٧٠] .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل : وما هو ؟ قال : المعروف[٧١] .

قد قال العدل عيسى عليه السلام : قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء.[٧٢]

ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال لاصحابه : ايهما احلى في قلوبكم ؟ قالوا : الذهب . فقال : فانهما عندي سواء.[٧٣] .

ورد في الانجيل : اذا تصدقتَ فتصدقْ بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك[٧٤] .

قال عيسى المسيح صلعم : اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم . واذا اعطى بيمينه فليُخفِ عن شماله . واذا صلى فليُرخِ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق[٧٥] .

٦٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٥٦ .

٧٠) عن يزيد بن ميسرة ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣٧ .

٧١) الغزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ١٦٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ١٧٦ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦ : ١٩ وما بعدها .

٧٢) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٢ : ٨١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في انجيل متى ٦ : ١٩ — ٢١ .

٧٣) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٨٩ :

٧٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٤٢ ؛ ١ : ١٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٦٣٤ ؛ ٤ : ١١٢ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل تجد النص نفسه الا بعض الكلمات ، متى ٦ : ٣—٤ ، ٦ ، ١٧—١٨ .

٧٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٢٦٣ ، ٢٦٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٣—٤ .

قال مالك بن دينار : بلغني ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه : أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها لعل قلوبكم ان تعرف الله عز وجل[٧٦] .

قال عيسى عليه السلام : تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم . قالوا : يا روح الله فمن نجالس ؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله[٧٧] .

في اخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغوفاً بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه[٧٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام في ما حدثنا ابن الحمل الكاتب النصراني لتلامذته : علامتكم التي تعرفون بها انكم مني أن يودّ بعضكم بعضاً .

وقال عيسى ايضاً ليشوع تلميذه : اما الرب فينبغي ان تحبه بكل قلبك ثم تحب قريبك كما تحب نفسك . قيل له : بيّن لنا يا روح الله ما بين هاتين المحبتين حتى نستعدّ لهما بتبصرة وبيان— قال: ان الصديق تحبه لنفسك والنفس تحبها لربك ، فاذا صنت صديقك فلنفسك تصون ، واذا جدت بنفسك فلربك تجود[٧٩] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون اذ رأيتم اخاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا : نستره ونغطيه . قال : بل تكشفون

٧٦) ابو نعيم الاصبهاني ، ٢ : ٣٧٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٨٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ١ : ١٤٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٦–٨ .

٧٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١١٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ١٧٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٥٨ ؛ قابل بالانجيل ، يوحنا ١٥ : ١٨ الخ . . .

٧٨) الغزالي ، احياء علوم الدين، ٤ : ٢٢١ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٥٧٥ ؛ الذي يبدل «الفتى مشغولاً » « بالفتى مستغرقاً » ويزيد : « والمحب نه يحب النصب لله تعالى » .

٧٩) ابو حيان التوحيدي ، رسالة في الصداقة والصديق، ٦٤ ؛قابل بما ورد في الاناجيل في مواضع مختلفة ، يوحنا ١٣ : ٣٥ ؛ متى ٢٢ : ٣٥–٤٠ ؛ مرقص ١٢ : ٢٨–٣٤ .

عورته . قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟ فقال : احدكم يسمع بالكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها[٨٠] .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته[٨١] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره[٨٢] .

قال عيسى عليه السلام : اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة[٨٣] .

قيل لعيسى عليه السلام : دلنا على عمل ندخل به الجنة . قال : لا تنطقوا ابداً . قالوا : لا نستطيع ذلك . فقال : فلا تنطقوا الا بخير[٨٤] .

قال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس[٨٥] .

قال عيسى عليه السلام : من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال

---

٨٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٢ : ١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٦ : ٢١٤ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ١٢٧ ؛ قابل بما ورد في الكتاب المقدس ، سفر التكوين ٩ : ٢٠-٢٣ .

٨١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥٠ .

٨٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٤ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٣٥١ .

٨٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٧٤ ؛ منهاج العابدين ، ٣٤ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٤٣٣ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٢٨ .

٨٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٠ ؛ الزبيدي ، ٧ : ٥٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٢ : ٣٦-٣٧ ؛ ١٩ : ١٦ .

٨٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨١ ؛ الزبيدي ؛ اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٥٤ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٢ .

سقطت مروءته ، ومن كثر همّه سقم جسمه ، ومن ساء خلقه عذّب نفسه[٨٦] .

قيل مكتوب في الانجيل : من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان[٨٧] .

قال عيسى عليه السلام : من الذي يبني على موج البحر دارًا ؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا[٨٨] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارًا[٨٩] .

قال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة[٩٠] .

قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب[٩١] .

قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري ، البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية[٩٢] .

---

٨٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٨٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٧١ .

٨٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٢٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٤٥ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ، ٦ : ٢٨ .

٨٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٨ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ٢٦ ؛ لوقا ٦ : ٤٧–٤٩ : « وكل من يسمع كلامي ولا يعمل به يشبه رجلًا جاهلًا بنى بيته على الرمل . . . »

٨٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٠٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٤٢ .

٩٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٣٧ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٣٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٥٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٨ : ٤ ؛ ١٩ : ٢٨ ؛ ٢٣ : ١٢ ؛ ٥ : ٨ ؛ لوقا ١٤ : ١٠ .

٩١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨١ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٧ : ٢٥ .

٩٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨٣ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٧ : ١٥ .

قال عيسى عليه السلام : انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون[٩٣] .

رأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف ، وانا أقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحوّل اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فأعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين[٩٤] .

روي عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال : يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر[٩٥] .

قال عيسى عليه السلام : لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه . والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب ، لان في امراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان ، وفي امراض القلوب ضعفها عن اعمال الآخرة والايقان[٩٦] .

سئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له[٩٧] .

---

٩٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٥٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ١٦٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٦ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢:٨٧ ؛ عبيد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٣٢ حيث نجد : « لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون » .

٩٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٥٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٢٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥:٣٨-٤١ .

٩٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:١٢٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٣١ .

٩٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣:٣٥ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ٤:٢٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٥٢٧ .

٩٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤:٢٥٨ ؛ الزبيدي ، ٩ : ٦٨٢ ؛ قابل برسالة القديس بولس الاولى الى القرنثيين ، ١٣:١٣ .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم[٩٨] .

قال الحواريون لعيسى عليه السلام : يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل ؟ فقال : الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد . قالوا : فمن الناصح لله عز وجل ؟ قال : الذي يبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس ، واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بامر الله تعالى قبل امر الدنيا[٩٩] .

قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق فان يكن غد من آجالكم فسيأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم[١٠٠] .

قال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في اعمال الناس كأنكم ارباب وانظروا في اعمالكم كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية[١٠١] .

قال عليه السلام للحواريين : عجباً لكم تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بعمل[١٠٢] .

---

٩٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٢٢–٢٣ .

٩٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٧٣ ؛ منهاج العابدين ، ٦١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ٥–٦ ، ١٦–١٨ ، ٢٢–٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٣٤–٣٦ .

١٠٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٠ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل : « لا تهتموا بشأن الغد : فالغد يهتم بشأنه . يكفي كل يوم شره . » متى ٦ : ٣٤ .

١٠١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ ؛ قابل بالانجيل : « لا تدينوا لئلا تدانوا . . . ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » ، متى ٧ : ١ ، ٣ ؛ ١٢ : ٧ ؛ لوقا ٦ : ٣٧ .

١٠٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٧ ، ٣١٥ ؛ وفي الانجيل ، شيء يشبه هذا ، متى ١١ : ١٢ ؛ لوقا ١٦ : ٨ .

ومما انزل الله على المسيح في الانجيل شوقناكم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا ! يا صاحب الخمسين ما قدمت وما أخرت ، يا صاحب الستين قد دنا حصادك ، ويا صاحب السبعين هلم الى الحساب[١٠٣] !

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخاوق في الدنيا في اربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه . فاما المنزلة الاولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن . فاذا اخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره عليه اكراهاً ويوجر ايجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه . فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من ابويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤديه وهذا يكسوه . فاذا وقع في المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلاً خشي ان لا يرزق فيثب على الناس فيخون اماناتهم ويسرق امتعتهم وينصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى اياه[١٠٤] .

قد روينا عن المسيح صلعم انه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه[١٠٥] .

كان عيسى عليه السلام يقول : حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب ، يعني اعجابه وكبره ، وملء البطن جمام النفس ، يعني قوتها واجتماعها[١٠٦] .

قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا ملح الارض لا تفسدوا ،

---

١٠٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ : ٢٧٨ ؛ قابل بالانجيل : « زمرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا » متى ١١ : ١٧ ؛ لوقا ٧ : ٣٢ .

١٠٤) الجاحظ ، كتاب المحاسن والاضداد ، ١٦٧ .

١٠٥) ابن القوطيه ، تاريخ الاندلس ، ٤٠ ؛ ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٣٩ ، عدد ١٠٧ .

١٠٦) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢ : ١٧٩ ؛ قابل جزئياً بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٤٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٣٨١ .

فان الاشياء اذا فسدت انما تداوى بالملح وان الملح اذا فسد لم يُداوَ بشيء .

يا معشر الحواريين لا تأخذوا ممن تعلمون اجرًا الا كما اعطيتموني، واعلموا ان فيكم خصلتين من الجهل : والضحك من غير عجب والتصبح من غير سهر[١٠٧] .

ويقال مكتوب في الانجيل : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ، وارضَ بنصرتي لك فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك[١٠٨] .

قال (عيسى لبني اسرائيل) : لا تكافؤا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم[١٠٩] .

ذُكر عن عيسى بن مريم عليه السلام بهذا اللفظ : أربع لا تصير الا في مؤمن: الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وذكر الله تعالى ، وقلة الشر[١١٠] .

وفي الانجيل مكتوب : من يزرع السوء يحصد الندامة[١١١] .

وعن قتادة انه قال : ذكر لنا ان في الانجيل مكتوباً : يا ابن آدم كما ترحم فكذلك تُرحم وكيف ترجو ان يرحمك الله وانت ترحم عباده[١١٢] .

قال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه : بلغني أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون[١١٣] .

---

١٠٧) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٠ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥:٧٣ ؛ قابل بالانجيل، متى ٥ : ١٣ ؛ ٦ : ١-٢ ؛ ١٠ : ٨ ؛ مرقس ٩ : ٥٠ ؛ لوقا ١٤ : ٣٤-٣٥ .

١٠٨) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٣ .

١٠٩) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٥ ؛ قابل بالانجيل : « أما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشرير » ، متى ٥:٣٩ .

١١٠) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٧٧ ؛ قابل بالغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩:٣٣٤ .

١١١) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٥ ؛ قابل بمواضع عديدة من الكتاب المقدس ، سفر ايوب ٤:٨ ؛ سفر الامثال ٦ : ١٤ ؛ ١١ : ١٨ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٣ .

١١٢) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٦ : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ١٨ : ٣٥ ؛ مرقس ١١ : ٢٥ .

١١٣) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٣٩ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦:٥٨ .

حدثنا محمد بن الفضل عن سالم بن ابي الجعد رضي الله عنه قال : قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه : لا تخبئوا طعاماً لغد فان غداً يأتي ومعه رزقه وانظروا الى الذر ومن يرزقه ، فان قلتم بطون الذر صغار فانظروا الى الطائر ، فان قلتم للطائر اجنحة فانظروا الى الوحوش ما ابدنها واسمنها[١١٤] .

سأل رجل عيسى عليه السلام : اي الناس افضل فأخذ قبضتين من تراب وقال : أي هاتين افضل ؟ الناس خلقوا من تراب فاكرمهم اتقاهم[١١٥] .

روي عن ابراهيم بن ادهم ان عيسى عليه السلام قال : كرامة المؤمن على الله ان يقول للجبل تحرّك فتحرك[١١٦] .

روي عن معروف الكرخي ان عيسى عليه السلام قال : اذكر القطن اذا وضع على عينك[١١٧] .

كان سفيان الثوري يقول : قال رجل لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : أوصني . قال : انظر خبزك من أين هو[١١٨] .

ورد عن عيسى صلوات الله عليه : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين[١١٦] .

قول عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل بحق اقول لكم لا يلج ملكوت السموات والارض من لم يلد مرتين . انا والله ممن وُلد مرتين ، الايلاد الاول

---

١١٤) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ١٦٨ ؛ ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ٦ .

١١٥) عبد الضرير ، نزهة الناظرين ، ٢٥١ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٨ : ١-٥ ؛ مرقس ٩ : ٣٢-٤٠ ؛ لوقا ٩ : ٤٦-٥٠ .

١١٦) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٤٢٨ ؛ قابل بالانجيل ، متى ١٧ : ١٩ .

١١٧) تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ : ٥٧٦ .

١١٨) عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ١ : ٤١ .

١١٩) السهروردي ، عوارف المعارف ، ١ : ١٨٥ ؛ قابل بالانجيل قول المسيح لنيقوديموس : « الحق الحق اقول لك ان لم يولد احد ثانية فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله » ، يوحنا ٣ : ٣ .

ايلاد الطبيعة والايلاد الثاني ايلاد الروح في سما. المعارف[١٢٠] .

قال عيسى عليه السلام : طوبى لذرية المؤمن طوبى لهم كيف يُحفظون من بعده[١٢١] .

قال للحواريين حين اوصاهم وصية وفرغ منها : فاذا فعلتم ما امرتكم به كنتم غداً معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وانتم هناك ملتذون بجميع اللذات من غير اكل ولا شرب[١٢٢] .

قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ، كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسدهُ العجب[١٢٣] .

قال المسيح عليه السلام : ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه . عادة النوكي المجي‌ء في غير وقت والجلوس فوق القدر . اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة[١٢٤] .

قال عيسى عليه السلام : احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشراً[١٢٥] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال : ان الله تعالى يبغض الضحاك من

---

١٢٠) عبد الوهاب الشعراني ، لواقح الانوار القدسية ، ٢ : ٢٦ ؛ قابـل بالانجيل ، يوحنا ٣:٣ .

١٢١) عبد الوهاب الشعراني ، اليواقيت والجواهر ، ٢:١٩٥ ؛ وعن مجاهد عند ابي نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٣:٢٨٥ : « طوبى للمؤمن ثم طوبى له كيف يخلفه الله تعالى فيمن ترك بخير » .

١٢٢) اخوان الصفا ، رسائل ، ٤:٩٥ ؛ قابل بالانجيل : متى ١٥ : ١-١١ ، ١٧-٢٠ ؛ ٢٣ : ٢٥-٢٨ ؛ مرقس ٧ : ١-٢٣ ؛ لوقا ١١ : ٣٩ ؛ ٢ قورنثيين ، ٧ : ١ .

١٢٣) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٦٣ .

١٢٤) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ٢٠٤ ؛ قابـل بالانجيل « طوبى للمتواضعين . . . » ، متى ٥ : ٤ . . .

١٢٥) ابو الحجاج البلوي ، كتاب الف باء ، ١ : ٤٦٤ ؛ قابل بالانجيل ، لوقا ٦ : ٢٨ ، ٤٥ ؛ متى ١٢ : ٢٤-٣٥ .

غير عجب المشأ. من غير ارب ، وذكر فرق بين المداعبة والمزاح[١٣٦] .

من كتاب التراجم عن عيسى عليه السلام قال : عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم[١٣٧] .

قال عيسى : ان استطعتم ان تكونوا بلهاء في الله مثل الحمام فافعلوا . قال وكان يقال ليس شيء. ابله من الحمام انك تأخذ فرخيه من تحته فتذبحها ثم يعود الى مكانه فيفرخ فيه[١٣٨] .

قال عيسى : كلموا الله كثيرًا وكلموا الناس قليلًا. قالوا : كيف نكلم الله كثيرًا ؟ قال : اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه[١٣٩] .

وهذا معنى قول المسيح بن مريم، وكان في يده اليمنى ما. وفي يده اليسرى خبز : هذا ابي وهذا امي ، فجعل الماء اباً وجعل الطعام اماً ، لان الماء من الارض يقوم مقام النطفة من المرأة هذه تنبت هذا وهذه تحبل عن هذا[١٤٠] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : استحيوا من الله عز وجل في سريرتكم كما تستحيون منه في علانيتكم[١٤١] .

في الانجيل : انا رأس الحياة وطرق الحق من عرفني ثم مات فما مات

---

١٣٦) السهروردي ، عوارف المعارف ، ٣ : ٤٨ .

١٣٧) ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ٢ : ٣ .

١٣٨) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن يزيد بن ميسره ، ٥ : ٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل : « كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام » متى ١٠ : ١٦ .

١٣٩) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، عن رباح عن عمرو القيسي ، ٦ : ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل : « اما انت اذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصلّ الى ابيك في الخفية وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك » متى ٦ : ٦ .

١٤٠) ابن سيده المرسي ، كتاب المخصص ، ١٣ : ١٧٣ ، ذكره اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية ، ١٩ : ٥٦٨ ، عدد ١٥٩ .

١٤١) ابو سعيد المركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ ، صفحة ٢٣٧ يمينا ؛ ذكره اسين بلاثيوس في المرجع نفسه ، عدد ١٦١ ؛ قابل بانجيل متى ٦ : ٦ .

موتاً انما حيّ حياة[١٣٢] .

قيل لعيسى عليه السلام : لو اتخذت بيتاً يكنك . قال : يكفينا خلقان من كان قبلنا[١٣٣] .

قال عيسى عليه السلام لرجل من اصحابه وكان غنياً : تصدق بمالك ، فكره ذلك ، فقال عيسى عليه السلام : ما يدخل الغني الجنة[١٣٤] .

وقال ... : ويلكم غرماء السوء تبدأون بالهدية قبل قضاء الدّين . بالنوافل تتطوعون وما أمرتم لا تؤدّون ، ان رب الدين لا يقبل الهدية حتى يقضى دينه[١٣٥] .

قال ابو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى مريم صلعم بالفقر ، فقال : من الغنى اتيتم[١٣٦] .

كان المسيح عليه السلام يقول : ان احببتم ان تكونوا اصفياء الله ونور بني آدم فاعفوا عن من ظلمكم وعودوا من لا يعودكم واقرضوا من لا يجزيكم وأحسنوا الى من لا يحسن اليكم[١٣٧] .

---

١٣٢) ابن جهضم الهمداني ، كتاب بهجة الاسرار ، مخطوطة دمشق ، عدد ٥٤ ، دون تصفيح ؛ وهو مأخوذ عن كلام المسيح في الانجيل : « انا الطريق والحق والحياة » ، يوحنا ١٤ : ٦ ؛ « من يؤمن بي وان مات فسيحيا » ، يوحنا ١١ : ٢٥–٢٦ .

١٣٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٦٧ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٨٦ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٨ : ٢٠ .

١٣٤) عن خيثمه بن عبد الرحمن ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ١١٩ ؛ وهي قصة الشاب الغني الذي قال له المسيح : « اذهب فبع كل مالك واعطه للمساكين . . . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . » ، راجع الانجيل ، متى ١٩ : ١٦–٢٢ ؛ مرقس ١٠ : ١٧–٢٢ ؛ لوقا ١٨ : ١٨–٢٣ .

١٣٥) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٤١ .

١٣٦) الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ٣ : ١٥٥ .

١٣٧) عن يزيد بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٣٨–٢٣٩ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٤٢–٤٦ ، لوقا ٦ : ٢٧–٢٩ .

مكتوب في الانجيل : الحجر في البنيان من غير حلّ عربون خرابه[١٣٨] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ان اعظم الذنوب ان يقول الرجل : الله يعلم اني صادق والله يعلم انه كاذب[١٣٩] .

قال عيسى عليه السلام : كونوا اوعية الكتاب وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم[١٤٠] .

يا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم عن الزنا ونعم ما نهاكم عنه ، فاني انهاكم ان تحدثوا به انفسكم ، فان مثل من حدث به نفسه ولم يعمل به مثل بيت من خزف يوقد فيه فان لم يحترق اسودّ من دخانه . ويا معشر بني اسرائيل ان موسى عليه السلام نهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين ونعم ما نهاكم عنه ، واني انهاكم ان تحلفوا بالله كاذبين او صادقين[١٤١] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين : كما ترك لكم الملوك الحكمة فدعوا لهم الدنيا[١٤٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : لن تنالوا ما عند الله حتى تلبسوا الصوف على لذة ، وتأكلوا الشعير على لذة ، وتفترشوا الارض على لذة[١٤٣] .

قال عيسى عليه السلام : ان الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه عند الهوى واستكماله عند الشهوات[١٤٤] .

---

١٣٨) عن ثور بن زيد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٩٥ ؛ اما كلام الانجيل فهو : « الحجر الذي رذله البناؤون صار رأساً للزاوية » ، متى ٢١ : ٤٢ ؛ اعمال الرسل ٣٣:٢ ؛ مزمور ١١٨ : ٢٢-٢٣ .

١٣٩) عن سعيد بن عبد العزيز ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ١٢٥ .

١٤٠) عن سفيان الثوري ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٧ : ٢٧٤ ؛ وفي الانجيل : « يكفي كل يوم شره » ، متى ٦ : ٣٣ .

١٤١) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٥ — ١٤٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل ، متى ٥ : ٢٧-٣٦ .

١٤٢) عن خلف بن حوشب ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٣) عن ضرار بن مرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٩٢ .

١٤٤) عن يونس بن ميسرة ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٢٥٢ .

ان عيسى عليه السلام قال للحواريين : بحق اقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة . قالوا : يا رسول الله فسّر لنا هذا الامر ، فانا قد كنا نرى انّا نريد احداهما . قال : لو اردتم الدنيا أطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فاعطاكم ، ولو اردتم الآخرة اطعتم رب الآخرة الذي يملكها فاعطاكموها ، ولكن لا هذه تريدون ولا تلك[١٤٥] .

قال عيسى عليه السلام للحواريين : بحق اقول لكم ان اشدكم جزعاً على المصيبة اشدكم حباً للدنيا[١٤٦] .

قال رجل لعيسى عليه السلام : احملني معك في سياحتك . فقال : أخرج مالك والحقني . فقال : لا استطيع . فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ، اوقال : بشدة[١٤٧] .

قال المسيح صلوات الله عليه وسلامه : اني لاحب المسكنة وابغض المال للغني ، وان في المال داء كثيراً قيل : يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٨] .

كان احب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له : يا مسكين . وكان يقول : من شر الغنى ان العبد يعصى ليستغني ولا يعصى

---

١٦٥) عن حيلان بن فروه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٦ : ٥٨ .

١٤٦) عن وهب بن منبه ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٦٧ .

١٤٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٧ ، ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٢٧٧ ؛ قابل في الانجيل قصة الشاب الغني الذي جاء يسأل يسوع عن الصلاح لدخول الحياة الابدية : « قال له يسوع ان كنت تريد ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل شيء لك وأعطه المساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً لانه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه : الحق اقول لكم : انه لاسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت السماوات » متى ١٩ : ١٦–٢٤ ؛ مرقس ١٠ : ٢٣ ؛ لوقا ١٨ : ٢٤ ؛ وتجد شبهاً يكاد يكون حرفياً بين الآية الاخيرة من الانجيل وبين واحدة في القرآن : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، سورة الاعراف ، ٧ : ٤٠ .

١٤٨) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ١٨٩ .

ليفتقر . اني لاحب المسكنة وابغض المال للغنى ، وانّ في المال داء كثيراً . قيل : يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال ؟ قال : يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى[١٤٩] .

يروى عن نبيّنا وعن المسيح عليهما السلام : أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشي.[١٥٠] .

كان المسيح صلعم يقول : يا بني اسرائيل : عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ، واياكم وخبز البرّ فانكم لن تقوموا بشكره[١٥١] .

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدني. الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني. الدين مع سلامة الدنيا[١٥٢] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام:ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها . وتغره ويأمنه ويثق بها وتخذله ، وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه[١٥٣] .

قال عيسى عليه السلام : ما عجزت عن احياء الموتى ولكن عجزت عن

١٤٩) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٢: ١٨٩ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤: ١٤٠ ؛ مكاشفة القلوب ، ٨١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٢٧٧ .

١٥٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٥٩ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩: ٣٣٤ ؛ ابو طالب المكي ، ٢: ١٩٤ .

١٥١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ١٦٤ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٥١ .

١٥٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨: ٦٠ ؛ وفي الانجيل : « من وجد نفسه جلكها ومن اهلك نفسه يجدها » ، متى ١٠ : ٣٩ ؛ « ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ، متى ١٦: ٢٦ .

١٥٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٤١ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨: ٨٧ ؛ وفي الانجيل : « الويل لكم ايها الاغنياء فانكم قد نلتم عزاءكم. الويل لكم ايها المشبعون فانكم ستجوعون ، الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستنوحون وتبكون . » لوقا ٦: ٢٤-٢٥ .

معالجة الاحمق[١٥٤] .

قال عيسى عليه السلام : ان من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد أن الله يعلم لما لا يعلم[١٥٥] .

قال عيسى بن مريم: انما زلة الاقدام ثلاثة اشيا. ، قلة الشكر على مواهب الله تعالى ، وخوف غير الله ، وامل المخلوقين[١٥٦] .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : الدنيا ثلاثة ايام : امس مضى ما بيدك منه شي. ، وغد لا تدري أتدركه ام لا ، ويوم انت فيه فاغتنمه[١٥٧] .

قال عيسى عليه السلام : الامور ثلاثة : امر استبان رشده فاتبعه ، وامر استبان غيه فاجتنبه ، وامر أشكل عليك فكله الى عالمه[١٥٨] .

قال الحواريون لعيسى بن مريم : يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك؟ فقال : نعم من كان منطقه ذكرًا وصمته فكرًا ونظره عبرة فانه مثلي[١٥٩] .

روي عن عيسى عليه السلام انه قال: البر في ثلاثة ، في النطق والنظر والصمت ، فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها[١٦٠] .

---

١٥٤) الغزالي ، احيا الوالد ، ٣٥ ؛ قابل ببعض فقرات في الكتاب المقدس ، سفر الامثال ٢٣ : ٩ ؛ ٢٦ : ٤ ؛ سفر يشوع بن سيراخ ، ٨ : ٨ ؛ ٢٢ : ٧ .

١٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٩٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٣١ .

١٥٦) ابو سعيد الخركوشي ، تهذيب الاسرار ، مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩، صفحة ٢٦٧ شمالًا ذكرها اسين بلاثيوس في الموسوعة الشرقية، ١٩ : ٥٦٨، عدد ١٦٣ .

١٥٧) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٢٨ .

١٥٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٠ .

١٥٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٠٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٦٣ .

١٦٠) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ٥٨ ؛ الجاحظ ، كتاب البيان والتبيين ، ١ : ٢٩٧ .

وكان عيسى عليه السلام اذا ذُكر الموت عنده يقطر جلده دماً[١٦١] .

روى ابن عساكر عن الشعبي قال : كان عيسى اذا ذكر عنده الساعة صاح ، ويقول : لا ينبغي لابن مريم ان يُذكر عنده الساعة فيسكت[١٦٢] .

قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة ، يعني الموت ، فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت[١٦٣] .

قال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غداً بين اطباق النار يصيح[١٦٤] .

روي عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انه قال : ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا[١٦٥] .

اني رأيت في انجيل عيسى عليه السلام : من ساعة ان يوضع الميت على الجنازة الى ان يوضع على شفير القبر يسأل الله تعالى بعظمته منه اربعين سؤالاً . الاول يقول الله تعالى : يا عبدي طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظري ساعة ، وكل يوم انظر في قلبك يا عبدي ما تصنع بغيري وانت محفوف بخيري

١٦١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٢٥ ؛ مكاشفة القلوب ، ٩٦ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ لا شك في ان اصل هذا الحديث هو في ما يروي الانجيل عن نزاع المسيح في بستان الزيتون ، ليلة صلبه ، حيث تحدّر دمه من عروقه ، لوقا ٢٢ : ٤٤ .

١٦٢) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٣١ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٤ : ٣١٣ .

١٦٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٣٢ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٢٥٩ ؛ قابل بالانجيل كلام المسيح وقت نزاعه : « ان نفسي حزينة حتى الموت اسهروا معي » ، متى ٢٦ : ٣٧ — ٤٣ .

١٦٤) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٣٨٣ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ١٠ : ٥٢٠ .

١٦٥) السمرقندي ، تنبيه الغافلين ، ٢٣٠ ؛ قابل بالانجيل : « ما أضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » ، متى ٧ : ١٤ .

اما انت الاصم فلا تسمع(١٦٦) .

قال الحواريون للمسيح عليه السلام : انظر الى هذا المسجد ما احسنه ، فقال : امتي ، امتي ، بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر الا أهلكه بذنوب اهله ، ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً ، وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك(١٦٧) .

قال عيسى عليه السلام : ان لي حبيبين اثنين ، فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني : الفقر والجهاد(١٦٨) .

ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن يبكي من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته(١٦٩) .

قال عيسى عليه السلام : ذكر خلود الخالدين يقطع قلوب الخائفين(١٧٠) .

كان عيسى بن مريم عليه السلام اذا سمع موعظة صاح صياح الثكلى(١٧١) .

---

١٦٦) الغزالي ، ايها الولد ، ١٠ قابل بالانجيل : « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه اما قلبه فبعيد عني » ، متى ١٥ : ٨ .

١٦٧) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ٢٨٨ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٨ : ٤٨٦ ؛ قابل بكلام المسيح في الانجيل : « ثم خرج يسوع من الهيكل ومضى ، فتقدم تلاميذه ليروه بناء الهيكل فاجاب وقال لهم : انظروا هذا كله . الحق اقول لكم انه لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض » ، متى ٢٤ : ١ – ٢ ؛ مرقس ١٣ : ١ – ٢ ؛ لوقا ٢١ : ٥ – ٦ .

١٦٨) الغزالي ، مختصر احياء علوم الدين ، ٢٦٦ ؛ وفي الانجيل قول المسيح : « لا يستطيع احد ان يعبد ربين ، فاما ان يبغض الواحد ويحب الآخر ، واما ان يلازم الواحد ويرذل الاخر » ، متى ٦ : ٢٤ ؛ لوقا ١٦ : ١٣ .

١٦٩) الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين ، ٧ : ٥٦ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٢٥ : ١١ .

١٧٠) الغزالي ، منهاج العابدين ، ٩٥ ؛ قابل بالكتاب المقدس ، سفر يشوع بن سيراخ ٧ : ٤٠ ؛ ٢٨ : ٦ ؛ يوئيل ٢ : ١٣ .

١٧١) عن زيد الايامي ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٥ : ٣٣ .

وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام : اني اطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد . وفيه ايضاً على لسانه : فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي ، اي بالنبوة ، يعلّمكم جميع الاشياء. ويذكّركم ما قلتُه . واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به .

وفيه ايضاً : اقول لكم الآن حقاً ، انطلاقي عنكم خير لكم ، فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط ، وان انطلقت ارسلت به اليكم ، فاذا جاء يفيد العالم ويزنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبرّ ، بروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبّر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعةً من تلقاء نفسه[١٧٣]

---

١٧٣) دحلان ، السيرة النبوية ، على هامش الحلبي ، انسان العيون ، ٣ : ٣٣٩ ؛ وهذا النص يكاد ، لولا بعض التشويش ، يكون نقلاً حرفياً عن الانجيل ، يوحنا ١٤ : ١٦-١٧ ؛ ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ٧-١٥ ؛ لاحظ كيف ان النص الاسلامي يبدل كلمة « ابي » على لسان المسيح في الانجيل بكلمة « ربي » ، وهكذا ايضاً كلمة « ابيكم » بكلمة « ربكم » . في الاعتقاد المسيحي ان الفارقليط هو الروح القدس ، الاقنوم الالهي الذي حلّ على الحواريين في علية صهيون ، بعد صعود المسيح الى السماء ، وهو ثابت الى الابد مع خلفاء الحواريين ، الاحبار ، ليحمي الكنيسة جمعاء من الضلال - والفارقليط كلمة يونانية لها معان مختلفة مثل المرشد ، المؤيّد ، المعزّي ، المحامي ، وكلها صفات الروح القدس الذي وعد به المسيح قبيل صعوده وتمّ الوعد بحلوله . ولقد حاول البعض ابدال كلمة فارقليط [illegible] بكلمة [illegible] وترجمة هذه الاخيرة بمعنى « احمد » لكي تناسب آية القرآن ، سورة الصف ، ٦١ : ٦ : « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد . » ومن المؤسف حقاً ان يتقبل بعض المسلمين هذه الخدعة التي تسيء اليهم حين تفضح جهلهم للغة اليونانية . ويكفيهم ان يرجعوا الى مخطوطات الانجيل القديمة ، ومنها مخطوط يرقى الى ما قبل الاسلام باجيال ، ليتثبتوا من هذه الخدعة التي ارتُكبت على حساب الانجيل والمسيحية والتي تسيء الى القرآن والاسلام اكثر مما تفيدهما .

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الثامن) : وما حديثهم ونجواهم(٤٨) ؟

(٤٨) «بحسب الاسم الذي يقيمهم ؛ فلا يتعين علينا تعينه.» (الجواب المستقيم ورقة ٢٠٢ ر).

قلنا في الجواب : بحسب «الاسم» الذي يقيمهم ؛ فلا يتعيّن علينا تعينه. ولكن الاصول الالهية محفوظة . وذلك ان حديث اهل الحضرة الاولى في مجالستهم فيها . والمجلس الاول ، الذي بين المثلين ، من اسمه الظاهر ، والمبدئ ، والباعث. وكل اسم ، يعطي البروز ووجوه الاعيان ، يحادث الحق فيه بلسان حياة الارواح ، وحياة الهياكل السفلية في البرازخ وعالم الحس والمحسوس والعقل والمعقول ؛ — وبلسان من ضاع عن الطريق ، وانجبر اليه بعدما انكسر خاطره وخاف الفوت ؛ — وبلسان «اعطى كل شيء خلقه ثم هدى» ، أي بيّن انه أعطى كل شيء خلقه .

ففرق بين قوله (تعالى) : «واغلظ عليهم» ، وقوله له بعينه : «فبما رحمة ، من الله ، لنت لهم ؛ ولو كنت فظًّا ، غليظ القلب لا نفضوا من حولك» . وقال لموسى وهارون : «فقولا له قولًا لينًا» ، ليقابل به غلظة فرعون فينكسر لعدم المقاوم . اذ لم يجد قوة تصادم غلظته ، فعاد اثرها عليه فاهلكته بالغرق . فباللين هلك فرعون .

و«أعطى كل شيء خلقه» في وقته : فيحدث نشأة الانسان مع الانفاس ، ولا يشعر . وهو قوله ، تعالى : «وننشئكم فيما لا تعلمون» ، يعني مع الانفاس . وفي كل نَفَس ، انه فينا ، انشاء جديد بنشأة جديدة . ومن لا علم له بهذا ، فهو «في لبس من خلق جديد». لان الحس يحجبه بالصورة ، التي لم يحس بتغيرها ، مع ثبوت عين القابل للتغير مع الانفاس.

و(يحادث الحق) بلسان طلب الاستقامة في المزاج ، ليصح نظر العقل في فكره . ومزاج الحواس فيما تنقل اليه ؛ ومزاج القوى الباطنة فيما تؤديه من الامور للعقل .

فانه اذا اختل المزاج ، ضعفت الادراكات عن صحة النقل : فنفنت بحسب ما له انتفت ، فكانت الشُّبَهُ والمغالط . فعَقَلَ العقلُ للجهل علماً ، فيصير العدم وجوداً .

و(يحادث الحقُّ) بلسان ازاحة الامور ، التي توجب عدم المواصلة والمراسلة .

ففي الحضرة الاولى اربعة مجالس ، مما تشاكل ما ذكرناه . ومثلها في الثانية والرابعة . واما في الحضرة الثالثة ، من هذه المجالس ، فثلاثة . وفي الخامسة اثنان . وفي السادسة واحدة ، على هذه المشاكلة . لكن ، في كل حضرة فنون مختلفة . ولكن ، لا تخرج عن هذا الاسلوب .

واما مجالس الراحات ، في الحضرة الاولى والثانية والرابعة ، (ف) هي ستة مجالس . فيها احاديث معنوية ، عن مشاهدة كما قيل :

تَكلَّمُ (= تتكلَّمُ) منا في الوجوه ، عيونُنا فنحن سكوت ، والهوى يتكلم !

وكما قلنا ، في هذا الشكل :

والهوى ، بيننا ، يسوق حديثاً طيباً ، مطرباً ، بغير لسان !

وهي المجالس التي بين الضدين ، يحصل منها علم الاعتاد ، و«الكشف عن الساق » والبرزخ ، الذي بين الضدين : كالفاتر ، بين الحار والبارد ؛ وكالاسماع ، بين المخافتة والجهر ؛ وكالتبسم ، بين الضحك والبكاء . وكل (مجلس بين) ضدين « بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأي الآء ربكما تكذبان » — فهو مجلس راحة . وليس بين النفي والاثبات برزخ وجودي ؛ فصاحبه ينقطع ، في الحال ، لاحد الطرفين لانه لا يجد حيث يستريح . فالبرازخ مواطن الراحات ؛ ألا ترى ان الله جعل « النوم سباتاً » ، اى راحة ، لانه بين الضدين : الموت والحياة ؛ فالنائم لا (هو) حي ولا (هو) ميت .

فأمثال هذه العلوم ، هي التي يقع لها الحديث لهم و(هي) نجواهم . وفي الحضرة الثالثة والخامسة مجلس واحد ، في كل حضرة . والحضرة السادسة لا مجلس فيها من مجالس الراحة .

واما مجالس الفصل بين العبد والرب ، فقد ذكرنا من حديثه طرفاً آنفاً ، في السؤال الرابع من هذه السؤالات .

واما الحضرة السادسة والخامسة ، فليس فيها ، من هذه المجالس ، مجلس البتة .

واما مجالس الفصل الثاني بين العبد والرب ، فهي ستة مجالس ، لا سابع لها . في كل حضرة ، من (الحضرات) الست مجلس (الاصل : مجالس) واحد يفصل به بين العبد والرب ، من حيث ما هو العبد عبد ، ومن حيث ما هو الرب رب . ومجالس الفصل الاول بين العبد والرب (يفصل بما بينهما) من حيث ما هو عبد لهذا الرب ، ومن حيث ما هو رب لهذا العبد . فهو فصل في عين وصل ! وهذه المجالس الاخر ، فصل في فصول لا وصل فيها . فيحصل له ما يشاء . كل هذا الفنّ من العلم الالهي ، اذ كنت لا تعلمه الا من نفسك ولا تعلم نفسك

(السؤال التاسع) : وباي شيء يفتتحون المناجاة[٤١] ?

الا منه ، فهو يشبه الدور ولا دور ، بل هو علم محقق .

واما الاثنا عشر مجلساً ، التي يراها الترمذي الحكيم ، صاحب هذه السؤالات ، وبها تكمل الثانية والاربعون من المجالس — فان الارواح العلوية لا تعلمها ، وليس لها فيها قدم مع الله ؛ وهي مخصوصة بنا من اجل الدعوى . فاذا تجسدت الارواح العلوية ، تبعت الدعوى جسديتها . فربما تدّعي ؛ فان ادعت ابتليت ! وفي قصة آدم والملائكة تحقيق ما ذكرناه . فابتليت (الملائكة) بالسجود جبراً لما اخذت ، من طهارتها ، الدعوى . فكان ذلك للملائكة ، كالسهو في الصلاة للمصلي : فأمر المصلي ان يسجد لسهوه ، كذلك امرت الملائكة ان تسجد لدعواها : فالدعوى سهو في حقها . فكان ذلك ترغيماً للدعوى لا لهم . كما كان سجود السهو ، منا ، ترغيماً للشيطان لا لنا . فاعلم ذلك !

فاما هذه المجالس الاثنا عشر ، فستة منها تلتحق بالمجلس الذي بين المثلين . والستة الباقية ، تلتحق بمجالس الفصل الثاني بين العبد ؛ من حيث ما هو عبد ، وبين الرب ، من حيث ما هو رب . لكن تختلف الاذواق في ذلك .

(و)آيات هذا السؤال من القرآن : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر » ؛ وقوله (تعالى) : « والقمر قدرناه منازل » ؛ وقوله (تعالى) : « فلا اقسم بالخنس » ؛ وقوله (تعالى) : « والسماء ذات البروج » الى آخرها . — والمدار على القطب !

(فتوحات : ٢ : ٤٥–٤٧)

٤٩) « بحسب الباعث والداعي لها » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ ب)

قلنا في الجواب : بحسب الباعث والداعي لها . وذلك ان الحق ، اذا اجلسهم هذه المجالس ، التي ذكرناها ، — فانما يجلسهم الحق فيها بعد قرع ، وفتح ، واستفتاح . وذلك انهم سمعوا الحق يقول : « يا ايها الذين آمنوا ، اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » ؛ ثم قال (تعالى) : « أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ? » .

— وقال (تعالى) ، في انزال الرسول منزلة الحق نفسه : « يا ايها الذين آمنوا ، استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم » . وقال : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » . لانه (= الرسول) به (= الله) يدعو اليه ، سبحانه ! —

وقال ، صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الطيبة صدقة » وقال : « يصبح على كل سُلامَى ، من ابن آدم ، صدقة » . — وافضل الصدقات تصدق الانسان بنفسه ؛ وافضل ما يخرجها عليه من يخرجها على نفسه .

فاذا اراد العبد نجوى ربه فليقدم ، بين يدي نجواه ، نفسه لنفسه ! فان النجوى سامع

(السؤال العاشر) : وباي شيء يختمونها(٥٠) ؟

ومتكلم . والعبد ان لم يكن الحق سمعه ، فن المحال ان يطيق فهم كلام الله . وان لم يكن الحق لسان العبد ، عند النجوى ، فن المحال ان تكون نجواه صادقة الصدق الذي ينبغي ان يخاطب به الله . فاذن ، الحق ناجى نفسه بنفسه . والعبد محل الاستفادة . لانها امور وجودية ، والوجود كله هو عينه . والعبد يتصدق (الاصل: يصدق) بنفسه على نفسه، لانها افضل الصدقات ، استفتاحاً لنجوى ربه . فكانت المناسبة ، بين النجوى وما افتتحت به ، كونَ الصدقة رجعت اليه وكونَ الحق كانت نجواه بينه وبينه : فما سمع الحقَ الا الحق ! ولا تصدّق العبد الا على العبد ! فصحّت الاهلية . فن كان استفتاحه هكذا ، كان من اهل المجالس والحديث .

واما مذهب الترمذي ، فان الذي يفتتحون به المناجاة انما هو تلبسهم بالكبرياء ؛ ثم يتبرّون من بعضه بوجه خاص ، ويبقون عليهم ما يليق ان يسمع به كلام الحق ويكلم به الحق ، لتصح النجوى . فيكون الابتداء من العبد ، فتكون له الاولية في هذا الموطن . وهو وجه صحيح ، وهذا هو الباعث الوضعي .

والذي ذكرناه ، اولاً ، هو الباعث الذاتي . فان نجوى هذه الطائفة ، في هذا الحال ، بمنزلة الصلاة في العامة . فانه ، من هذه الحضرة التي ذكرناها ، خرج التكليف بها على السنة الرسل للعباد ، وشرع فيها التكبير لما ذكرناه . والصلاة مناجاة . ومن اهل الله ، من يجعل عاقبة الامور استفتاحاً ، فيبدؤها اولاً اذ كان المطلوب عين العواقب . كمن يطلب الاستظلال ، فأول ما يقع عنده وجود السقف ، وهو آخر ما يقع به الفعل لان وجوده موقوف على اشياء .

فاذا كان (نجوام) من الامور التي لا توقف لوجودها على شيء ، كان عين العاقبة عين السابقة . فيكون استفتاح العمل بالعاقبة . وهي طريقة عجيبة ، عملنا عليها وناجينا بها ، في هذا المقام . ولكن لا بد ان تكون النجوى ، كما قررنا ، يسمع الحق وكلام الحق . لان الحقيقة تأبى ان يكلمه غيرُ نفسه، او يَسمعه غيرُ نفسه ! — فقد اعلمتك بماذا يفتتحون المناجاة ، اهلُ المجالس والحديث . (فتوحات : ٢: ٤٧) .

٥٠) « بحسب الوقفة التي بين الاسمين ، مما يلي الاسم الذي عنه ينفصل » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٢ ا) .

فلنقل في الجواب : بالمنزلة التي تعطيهم ذلك الاستفتاح . والافتتاح مختلف ، فالختام مختلف ايضاً فلا يتقيد . غير انه ، ثَمَّ ، امر جامع : وهو الوقفة بين الاسمين ، بين الاسم الذي ينفصل عنه ، وبين الاسم الذي يأخذ منه . فان بينها اسماً الاهياً خفياً به يقع الختم ، ولا يشعر به الا اهل المجالس والحديث .

(السؤال الحادي عشر) : وبماذا يجابون[١] ؟

– وهو وجود سار في جميع الموجودات ، لكن لا يشعر لدقته : كالخط الفاصل بين الظل والشمس ، يعقل ولا يدرك بالحس . وهي الحدود بين الاشياء ، لها – لكل من هي بينها – وجه خاص ، مع كونها لا تنقسم . فهي ، بذاتها ، مع كل محدود . ولهذا يعزّ العثور على الحدود الذاتية ، بخلاف الحدود الرسمية واللفظية ، التي بأيدي العلماء . –

فقد يكون ذلك ، الذي يختم به ، دليلَ كون ؛ وقد يكون دليل عين ؛ وقد يكون دليل ذات لا تقبل المظاهر . وهذا اعلى ما تختم به النجوى عندهم ؛ ودونه دليل كون ، وهو ما يعطي مظهرًا ما ؛ ودونه دليل عين ، وهو الذي لا يقبل التعبير وهو المعبر عنه بباطن المظهر .

واعلم ان الامر في النجوى دائرة تنعطف بطلب أولها : فيكون عين الختم هو عين الافتتاح . فتنقسم بين اول ، وآخر ، وظاهر ، وباطن . فاذا ابتدأ ، فهو الظاهر . واذا (الاصل : فاذا) انتهى ، صار الظاهر باطنًا وعاد الباطن ظاهرًا ، فان الحكم له . فيبطن الختم ، في الافتتاح ، عند البدء ؛ ويبطن الافتتاح ، في الختم ، عند النهاية .

قيل في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : انه « خاتم النبيين » . فبطن ، بظهور ختمه ، كونُه « نبيًا وآدم بين الماء والطين » . ولما ظهر كونه « نبيًا وآدم بين الماء والطين » واستفتح به مراتب البشر – كان كونُه « خاتم النبيين » باطنًا في ذلك الظهور .

واما الالهية ، فالوجود منها (الاصل : منه) : « واليه يرجع الامر كله : فاعبده » بينها « وتوكل عليه » فيها « وما ربك بغافل عما تعملون » حيث انتم مظاهر اسمائه الحسنى ، وبها تسمدون وتشقون . – « والله معكم ، ولن يتركم اعمالكم » . فسلّم الامر اليه ، واستسلم ، تكن موافقًا لما هو الامر عليه في نفسه : فتستريح من تعب الدعوى ، بين الافتتاح والختم !

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » (فتوحات : ٢ : ٤٧–٤٨) .

(١) « بحسب سؤالهم ، وعلى وفقه . وسؤالهم بحسب حالهم ووقتهم . ووقتهم بحسب الاسم ». (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٣ب–٣٦٣ا) .

« الجواب : بحسب حالهم ووقتهم . وحالهم ووقتهم بحسب الاسم الذي هو حاكم فيهم بين الافتتاح والختم . فانه ، بين الختم والافتتاح ، تكون اسماء كثيرة الاهية ، هي الناطقة في تلك الاعيان ، من اهل المجالس والحديث . فيكون الجواب بحسب ما وقع به حكم الاسم ؛ ولكن ما يجابون الا باسم ولا بد .

فان كان الحديث معنويًا ، عن شهود ، فقد يقع الجواب بالذات ، معرّاة من الاسماء ؛

(السؤال الثاني عشر) : وكيف يكون صفة سيرهم [٢] ؟

وهو بمنزلة المجاز من الحقيقة . ويجتمع هذا مع الحديث ، في الافادة والاستفادة . فإن راعى الاستفادة والافادة، ألحق هذا المقام بأهل المجالس والحديث . وهو الذي قصده الترمذي ، لكونه قال : « أهل المجالس والحديث » ، ولم يقل اهل الحديث ، خاصةً . ومن الناس من لا يراعي سوى الحديث ، فلا يجعل ، في هذه الحضرة حكماً لحديث معنوي حالي . فانه يقول : مطلي الحقائق ، ولكنه ، (أعني) صاحب هذا القول ، كأنه غير محقق ؛ وما أوقعه في ذلك الا تقيّد الحديث بالالفاظ . واما نحن ، فعلى مذهب الترمذي في ذلك . فإنا ذقناه ، في المجالسة، حديثاً معنوياً في غاية الافهام، معرّى عن الأحتمال والاجمال . بل هو تفصيل محقق ، في عين واحدة . وهو الذي يعوّل عليه ، في هذا الفصل .» (فتوحات : ٢ : ٤٨)

٥٢) « بالهمم المجردة عن السوى» (الجواب المستقيم ، ورقة : ٢٤٣ ب) .

« قلنا في الجواب : بالهمم المجردة عن السوى . وبسط ذلك ما نقول : وهو ان الامور المعنوية ، التي لا تقبل المواد ولا تحدّدها ، لا يصح السير الى تحصيلها او تحصيل ما يكون منها بقطع المسافات وتوزيع المساحات . ولكن قد يقترن بالهمة حركات مادية ، مبناها على علم او ايمان ، بشرط التوحيد فيها .

فاما سيرهم ، من حيث ما هم علماء ، بتصفية النفوس من كدورات الطبيعة ، واتخاذ الخلوات لتفريغ القلوب عن الخواطر المتعلقة باجزاء الكون ، الحاصلة من ارسال الحواس في المحسوسات . — فتتخلى خزانة الخيال ، فتصور القوة المصورة (الاصل : المصور) منها بحسب ما تمشت به من ذلك ، فتكون هذه الصور حائلة بينهم (الاصل: بينه) وبين حصول هذه المرتبة الالهية . — فيجنحون الى الخلوات والاذكار ، على جهة المدح ، لمن بيده الملكوت . فاذا صفت النفس ، وارتفع الحجاب الطبيعي الذي بينها وبين عالم الملكوت ، انطبع في مرآتها جميع ما في صور عالم الملكوت (من) العلوم المنقوشة . فيطلع الملأ الأعلى على هذه النفس ، التي بهذه المثابة ، فيرى فيها ما عنده فيتخذها مجلى ظهور ما فيه . فيكون الملأ الاعلى معنياً لها (الاصل : له) على استدامة ذلك الصفاء ، ويحول بينها (الاصل : بينه) وبين ما يقتضيه حجاب الطبع . فتتلقى هذه النفس ، من العالم العلوي ، بقدر مناسبتها منهم من العلم بالله . فيؤديهم ذلك العلم الى التلقي من الفيض الالهي ، ولكن بوساطة الارواح النورية ، لا بد من ذلك . فيسمون ذلك : سيراً ؛ ولا بد من تجريد الهمم ، في الطلب ، لذلك . ولولا تعلق الهمة بتحصيل ما تقرر عندها مجملاً ، ما صح لها (الاصل : له) توجه الى الملأ الاعلى .

ث سيدم ٧ .

فان اتفق ان يكون هذا الرجل ، في سيره مع علمه ، مؤمناً ، او يكون صاحب ايمان من غير علم – فان همته لا تتعلق الا بالله . فان الايمان لا يدلّه الا على الله . والعلم انما يدله على الوسائط ، وترتيب الحكمة المعتادة في العالم . فصفة سير اصحاب الايمان (انه) ما لهم طريق الى ذلك الا بزمام الامور المشروعة ، من حيث ما هي مشروعة . وهم (في ذلك) على قسمين . طائفة منهم ، قد ربطت همتها على ان الرسول انما جاء منبهاً ومعلماً بالطريق الموصلة الى جناب الحق ، تعالى . فاذا اعطى العلم بذلك ، زال (شخص الرسول) من الطريق ، وخُلّي بينهم وبين الله . فهؤلاء اذا سارعوا ، او سابقوا الى الخيرات وفي الخيرات – لم يروا امامهم قدم احد من المخلوقين، لانهم قد ازالوه من نفوسهم وانفردوا الى الحق ، كرابعة العدوية . فهؤلاء ، اذا حصلوا في المجالس والحديث خاطبهم الحق بالكلام الالهي ، من غير وساطة لسان معيّن .

واما الطائفة الاخرى ، فهم قوم جعلوا في نفوسهم انهم لا سبيل لهم اليه ، تعالى ! الا والرسول هو الحاجب . فلا يشهدون منه امرًا الا ويرون في سيرهم قدم الرسول بين ايديهم ، ولا يخاطبهم الا بلسانه ولغته ، كمحمد اللواني (الاصل : الأواني) . قال : تركت الكل ورائي ، وجئت اليه فرأيت امامي قدماً ، فنفرْتُ وقلت : لمن هذا ؟ – اعتقادًا مني انه ما سبقني احد ، واني من اهل الرعيل الاول . – فقيل لي : هذه قدم نبيك ! فسكن روعي . – والحالة هي حالة عبد القادر ، وابي السعود بن الشبل ، ورابعة العدوية ، ومن جرى مجراهم .

واصحاب الايمان ، اذا كانوا علماء – جمع لهم بين الامرين ، فهم اكمل الرجال . إلّا انهم (الاصل : بشرط انهم) ، اذا ساروا اليه واخذوا مجالسهم عنده ، بالحديث المعنوي كما تقدم وحديث السمع – رأوا سريان سرّه ، تعالى ، في الموجودات من قوله : « من تقرّب اليّ شبرًا تقربت منه ذراعاً » ، ومن كونه « ينزل الى السماء الدنيا » التي لا اقرب منها ، فانها « اقرب من حبل الوريد » . فالتحق عندهم (الاصل : عنده) ، عالم الطبع بالعالم الروحاني ، وعاد الوجود عندهم كله ملأ اعلى ومكانة زُلفى . فلم يحجبهم (الاصل : يحجبه) كون ، ولا شغلهم (شغله) عين ؛ واستوى عندهم (عنده) الأين وعدم الأين ، وكان وما كان . فرأوه (فرآه) في الحجاب والحس ، وسمعوا (وسمع) كلامه وحديثه في النت (الاصل : النث) والجرس !

هذا صفة سيرهم ، على طبقاتهم . – ومنهم من كان سيره فيه باسمائه . فهو صاحب سير : منه ، واليه ، وفيه ، وبه ! فهو سائر في وقوفه ، وواقف في سيره ! والخضر والافراد من اهل هذا المقام . ومن هنا كانت « قرة عينه » ، صلى الله عليه وسلم ، « في الصلاة » . لانه مناج مع اختلاف الحالات المحصورة ، من قيام وركوع وسجود وجلوس . ما ثَمّ اكثر من هذه الاركان ، وهي حالات تربيع روحانيّ ، فاشبهت العناصر في التربيع ، فحدثت صور المعاني من امتزاج هذه الحالات الاربعة ، كما حدثت صور المولدات الجسمية الطبيعية من امتزاج هذه العناصر » . (فتوحات : ٢ : ٤٨–٤٩)

(السؤال الثالث عشر) : ومن الذي[ج] يستحق خاتم الاولياء[ح] كما استحق محمد ، صلى الله عليه وسلم ، «[خ] خاتم النبوة[خ]» [٥٣]؟

٥٣) « المستحق لذلك ، رجل يشبه اباه . وهو اعجمي . هو نسق في خلقه ؛ وهو ربعة (في الاصل : ربعة) من الرجال . ختم به دورة الملك ؛ وتختتم به الولاية . وله وزير اسمه يحيى . – روحاني المحتد ، انسي المشهد . » (الجواب المستقيم ؛ ورقة : ٣٤٢ ب).

« فلنقل في الجواب : الختم ختمان . خَتْمٌ يَختمُ الله به الولاية (العامة) ، وختم يختم الله به الولاية المحمدية . فاما ختم الولاية ، على الاطلاق ، فهو عيسى ، عليه السلام . فهو الولي بالنبوة المطلقة ، في زمان هذه الامة . وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة . فينزل في آخر الزمان ، وارثاً خاتماً لاولي بعده ، بنبوة مطلقة .

كما ان محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبوة ، لا نبوة تشريع بعده . وان كان بعده مثل عيسى ، من أولى العزم من الرسل وخواص الانبياء . ولكن زال حكمه ، من هذا المقام (= نبوة التشريع) لحكم الزمان عليه ، الذي هو لغيره . فينزل وليًا ذا نبوة مطلقة ، يشركه فيها الاولياء المحمديون . فهو (عيسى عليه السلام) منا وهو سيدنا !

فكان أوّل هذا الامر نبيٌّ ، وهو آدم ، وآخره نبيٌّ ، وهو عيسى – أعني نبوة الاختصاص . فيكون له (لعيسى عليه السلام) ، يوم القيامة ، حشران : حشر معنا وحشر مع الرسل والانبياء . (الاصل : وحشر مع الانبياء) .

واما ختم الولاية المحمدية ، فهي لرجل من العرب ؛ من اكرمها اصلًا ويدًا . وهو في زماننا اليوم موجود . عُرِّفتُ به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ورأيت العلامة التي له قد اخفاها الحق فيه عن عباده ، وكشفها لي بمدينة فاس ، حتى رأيت خاتم الولاية منه – وهو خاتم النبوة المطلقة – لا يعلمها كثير من الناس . وقد ابتلاه الله باهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به . وكما ان الله ختم بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية ، التي تحصل من الورث المحمدي ، لا التي تحصل من سائر الانبياء ، فان من الاولياء من يرث ابراهيم وموسى وعيسى ؛ فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي ؛ وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم : هذا معنى خاتم الولاية المحمدية .

واما ختم الولاية العامة ، الذي لا يوجد بعده ولي ، فهو عيسى ، عليه السلام . ولقينا جماعة ممن هم (الاصل : هو) على قلب عيسى عليه السلام ، وغيره من الرسل . وقد جمعت بين صاحبيَّ : عبدالله (بدر الحبشي) واسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم (= خاتم الولاية المحمدية) ودعا لهما وانتفعا به . – والحمد لله ! » (فتوحات : ٢ : ٤٩) .

ج – V ، و س ذا الذي F . ح الولاية V .
خ – خ – V .

(السؤال الرابع عشر) : وبأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك[٥٤] ?

٥٤) « بصفة الامانة : فبيده مفاتيح الانفاس ، وحاله التجريد والحركة (في الاصل: الخوله) . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ب) .

« الجواب : بصفة الامانة ؛ وبيده مفاتيح الانفاس ، وحاله التجريد . وهذا هو نعت عيسى ، عليه السلام ؛ كان يحيى بالنفخ ؛ وكان من زهاد الرسل ، وكانت له السياحة ، وكان حافظاً للامانة ، مؤدياً لها ، - ولهذا عادته اليهود ، ولم تأخذه في الله لومة لائم . كنت كثير الاجتماع به في الوقائع ؛ وعلى يده تبت ؛ ودعا لي بالثبات على الدين ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؛ ودعاني بالحبيب ، وامرني بالزهد والتجريد .

واما الصفة التي استحق بها ختم الولاية المحمدية ان يكون خاتماً، فبتمام مكارم الاخلاق مع الله . وجميع ما حصل للناس من جهته من الاخلاق، فمن كون ذلك الخلق موافقاً لتصريف الاخلاق مع الله . وانما كان ذلك كذلك ، لان الاغراض مختلفة . ومكارم الاخلاق ، عند من يتخلق بها معه ، عبارة عن موافقة غرضه ؛ سواء حمد ذلك عند غيره أو ذم . فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم بالجميل ، الذي هو عنده جميل، نظر في ذلك نظر الحكيم ، الذي يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي . فنظر في الموجودات ، فلم يجد صاحباً مثل الحق ، ولا صحبة احسن من صحبته . ورأى ان السعادة في معاملته وموافقة ارادته. فنظر فيما حده وشرعه ، فوقف عنده واتبعه .

وكان من جملة ما شرعه ، ان علمه كيف يعاشر ما سوى الله ، من ملك مطهر ، ورسول مكرم ، وامام جعل الله امور الخلق بيده - من خليفة وعريف وصاحب ، وصاحبة ، وقرابة ، ودابة وحيوان ، ونبات ، وجماد - في ذات وعرض وملك ، اذا كان مما (الاصل: ممن) يملك . فراعى جميع من ذكرناه، بمراعاة الصاحب الحق : فما صرف الاخلاق الا مع سيده .

فلما كان بهذه المثابة ، قيل فيه ، مثل ما قيل في رسوله : « وانك لعلى خلق عظيم » . قالت عائشة : « كان القرآن خلقه » . يحمد ما حمد الله ؛ ويذم ما ذم الله ، بلسان حق ، «في مقعد صدق ، عند مليك مقتدر» . فلما طابت اعراقه ، وعم العالم اخلاقه ، ووصلت الى جميع الآفاق ارفاقه ، استحق ان يختم بمن هذه صفته ، الولاية المحمدية ، من قوله : « وانك لعلى خلق عظيم ! » .

جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه ، ووفقه للمشي عليه ، وهداه ! » .

(فتوحات : ٢: ٤٩ ، ٥٠)

د كذلك V .

(السؤال الخامس عشر) : وما سبب الخاتم [ذ] ، وما معناه [ذ] [٥٥] ؟

(« السادس عشر) : وكم مجالس الملك ، حتى يوصل الى ملك الملك [٥٦] ؟

---

٥٥) « الجواب : لكمال المقام واستيفائه (في الاصل : واستيفايه) . واما معناه : فهو خصوص امر على امر لا يوصل اليه الا بعد ازالة ذلك الامر . فمعناه الحجر والمنع . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٢ ب).

« فلنقل في الجواب : كمال المقام سببه ، والمنع والحجر معناه . وذلك ، ان الدنيا لما كان لها بدء ونهاية – وهو ختمها – قضى الله ، سبحانه ، ان يكون جميع ما فيها بحسب نعتها : له بدء وختام . وكان من جملة ما فيها تنزيل الشرائع ؛ فختم الله هذا التنزيل بشرع محمد ، صلى الله عليه وسلم : فكان « خاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » . وكان من جملة ما فيها الولاية العامة – ولها بدء من آدم – ؛ فختمها الله بعيسى : فكان الختم يضاهي البدء = « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » . فختم بمثل ما به بدء : فكان البدء ، لهذا الامر ، بنبي مطلق وختم به ايضاً .

ولما كانت احكام محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عند الله ، تخالف أحكام سائر الانبياء والرسل – في البعث العام ، وتحليل الغنائم ، وطهارة الارض ، واتخاذها مسجداً ، واوتي جوامع الكلم ، ونصر بالمنى – وهو الرعب – ، واوتي مفاتيح خزائن الارض ، وختمت به النبوة – عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي ؛ فانزل في الدنيا من مقام اختصاصه . واستحق ان يكون لولايته الخاصة ختم ، يواطئ اسمه اسمه ، صلى الله عليه وسلم ، ويحوز خلقه . وما هو بالمهدي ، المسمى ، المعروف ، المنتظر ؛ فان ذلك من سلالته وعترته . والختم ليس من سلالته الحسية ، ولكنه من سلالة أعراقه واخلاقه ، صلى الله عليه وسلم !

اما سمعت الله يقول ، فيما اشرنا اليه : « ولكل امة اجل » ؟ وجميع انواع المخلوقات في الدنيا أمم . وقال (تعالى) : « كل يجري الى اجل مسمّى » ، في اثر قوله : « يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر ؛ كل يجري الى اجل مسمى » . فجعل لها ختاماً ، وهو انتهاء مدة الاجل . – « وان من شيء الا يسبح بحمده » . فما من نوع الا وهو امة . فافهم ما بيناه لك فانه من اسرار العالم المخزونة ، التي لا تعرف الا من طريق الكشف .

والله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ! » (فتوحات : ٢ : ٥٠) .

٥٦) « على عدد الحقايق الانسانية ، واستحقاقاتها في الانسان الكامل . وعند حلوسه

ذ – ذ ومعناه V . ز + ملك F .

في آخر مجلس منها ، يصل الى ملك الملك . الله المالك ، وانت الملك . نظهر آثاره فيك ، فتستدعي تلك الآثار توجه الاسماء عليك بما تقتضيه (في الاصل : بسميه) . فيكون ملكاً لك وانت ملك في اصلك . فكان ذلك ملك الملك . وهو قوله تعالى : « الا تتخذوا من دوني وكيلا » اشارة وتحقيقاً » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٢) .

« الجواب : على عدد الحقايق الملكية والنارية والانسانية ، واستحقاقاتها الداعية لاجابة الحق فيما سألته منه . بسط ذلك :

أعلم ، أولاً ، انه لا بد من معرفة ملك الملك ، ماذا ارادوا به ؟ ثم بعد هذا تعرف كمية مجالسه ، ان كان لها كمية محصورة . — فالملك هو الذي يقضي فيه مالكه ومليكه بما شاء ولا يمتنع عنه ، جبراً فيسمى كرهاً ، او اختياراً فيسمى طوعاً . قال تعالى : « وله يسجد من في السموات ومن في الارض طوعاً وكرهاً » . « فقال لها وللارض : ائتيا طوعاً او كرهاً » . والمأمور هو الملك ، والآمر هو المالك . ولا بد من اخذ الارادة في حد الامر ، لانه اقتضاء وطلب من الآمر بالمأمور ، سواء كان المامور دونه او مثله او أعلى (منه) . وفرّق الناس بين امر الدون وبين امر الاعلى . فسموا امر الدون ، إذا امر الاعلى ، طلباً وسؤالاً ، مثل قوله تعالى : « اهدنا » . فلا يشك انه امر من العبد لله ، فسمى دعاء .

واذا فهمت هذا ، وعلمت ان المأمور هو بالنسبة الى الآمر ملك ، والآمر مليك ، — ثم رأيت المأمور وقد امتثل امر آمره واجابه فيما سأل منه ، او اعترف بانه يجيبه ، اذا دعاه لما يدعوه اليه ان كان المدعو اعلى منه — : فقد صيّر نفسه — هذا الاعلى — ملكاً لهذا الدون ؛ وهذا الدون هو تحت حكم هذا الاعلى وحيطته وقهره وقدرته وامره : فهو ملكه بلا شك . وقد قررنا ان الدون ، الذي هو بهذه المثابة ، قد يأمر سيده فيجيبه السيد لأمره ؛ فيصير ، بتلك الاجابة ، ملكاً له — وان كان عن اختيار منه . فيصح ان يقال ، في السيد : انه ملك الملك لانه اجاب امر عبده ، وعبده ملك له .

ومن أمرَ فأجاب ، فقد صح عليه اسم المأمور ، وهو معنى الملك . فاذا أجاب السيد امر عبده — وهو ملك — فباجابته صيّر نفسه ملك ملكه ! وهذا غاية التزول الالهي لعبده ، اذ قال له : « ادعوني ، استجب لكم (الاصل : لك) » : فيقول له العبد : اغفر لي ، ارحمني ، انصرني ، اجبرني . فيفعل . ويقول الله له : ادعني ، أتمّ الصلاة ، آت الزكاة ، « اصبروا ورابطوا » ، « جاهدوا » . فيطيع (العبد) ويعصى . واما الحق ، سبحانه ، فيجيب عبده لما دعاه اليه ، بشرط تفرّغه لدعائه .

وقد يكون اثر المؤثر فعلاً من غير امر ، كالعبد يعصى فيثير كونه عاصياً غضباً في نفس السيد فيوقع به العقوبة . فقد جعل العبدُ سيده يعاقبه بمعصيته ؛ ولو لم يعصه بما ظهر من

(السؤال السابع عشر) : واين مقام الرسل «ز من مقام الانبياء.»(ز٢٠) ؟

السيد ما ظهر ؛ – او يغفر له . وكذلك في الطاعه يثيبه . فيكون ، من هذه النسبة أيضاً، ملك الملك ، اي مالكاً لمن هو ملكه . وبهذا وردت الشرائع كلها .

واما قوله : كم مجالسه ؟ – فانها لا تنحصر عقلاً ؛ فانها حالة دوام من سيد لعبد ، ومن عبد الى سيد . فسؤاله ، لا يخلو اما ان يريد ما قلنا : من انها لا تنحصر عقلاً – فان اجاب بانحصار في كمية معلومة ، علم أنه لا علم عنده – او يريد مجالسه من حيث ما شرع ، فهي مجالس في الدنيا محصورة وفي الآخرة غير محصورة . لان الآثار الواقعة في الآخرة كلها اصلها من الشرائع ، فلا ينفك حكم الشرع في الدنيا والآخرة . فان الخلود في الدارين من حكم الشرع ؛ وما يكون من الحق فيهم (هو) من حكم الشرع (أيضاً) .

فإذن ، مجالس ملك الملك ، من جهة الشرع ، لا تنحصر .

فان اراد السائل عن هذا ، حالة الدنيا خاصة – فعددها عدد انفاس الخلائق عقلاً . وان اراد ما اقترن به الامر ، من العبد خاصة – فعلى قدر ما دعا العبد ربه ، من حيث ما امره ان يدعوه به . وهي من كل داع بحسب ما سبق في علم الله ، من تكليفه لكل عين عبد ان يدعوه . وخلق الله ، الذين هم بهذه المثابة، يفوتون التلفظ باسم العدد الذي يحصرهم؛ فانه يدخل ، في ذلك ، الملائكة والجن والانس . فحصر كمياتها ، ما دام زمان الدنيا الى ان ينقضي ، في حق الملك . والجن والانس محصور الكمية ، غير متصور التلفظ به لانه قال (تعالى) : « وما يعلم جنود ربك الا هو » . وهم من الملك ، الذي يدعو ربه ؛ فيصيره بدعائه ملكاً له . فكمياتها – وان كانت محصورة – غير معلومة . وان علمت ، فهي غير مقدورة للتلفظ بها لما في ذلك من المشقة .

ولكن ، من وقف على ما رقم في اللوح المحفوظ – عرف كمياتها ، بلا شك ، وان تعذر النطق بها . فمن كل وجه ، لا يتصور الجواب عنها باكثر من هذا . وانما جاء الترمذي ، على سبيل الامتحان ! فانه جاء بمسائل لا يصح الجواب عنها ؛ ليعلم ان المسئول اذا اجاب عنها ، انه مبطل في دعواه علم ذلك . اذ لو علم ذلك ، لكان من علمه به انه مما لا يجاب عنه . فيعلم صدق دعواه . وسيأتي من ذلك ما نقف عليه ، في هذه السؤالات ، ان شاء الله . – والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ! »

(فتوحات : ٢ : ٥٠–٥١)

٥٧) « هو بالإزاء ، الا انه في المقام الرابع . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٢ ب) .

« الجواب : هو بالازاء ، الا انه في المقام الرابع من المراتب . فان المراتب اربع ،

التي تعطي السعادة للانسان : وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة. – واما (مقام الرسل) من مقام الانبياء. فهم من انبياء التشريع في الرتبة الثانية ، ومن مقام الانبياء في الرتبة الثالثة.

والعلم من شرائط الولاية ، وليس من شرطها الايمان . فان الايمان مستنده الخبر ، فلا يحتاج اليه من الخُبْر : اما بالمحال ، كالالهية لله ؛ او بالامكان ، وهو الاخبار ببعض المغيبات ، التي يمكن ان يُنسَب اليها المخبر ما نسب . فاول رتبة العلماء بتوحيد الله الأولياء ، فان الله ما اتخذ وليّاً جاهلاً . وهذه مسألة عظيمة ، اغفلها علماء الرسوم . فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحّد لله ، بأي طريق كان ؛ وهو المقام الاول . ثم النبوة ؛ ثم الرسالة ، ثم الايمان .

فهي فينا – اعني رتبة الولاية – على ما رتبناه . وهي هناك : ولاية ، ثم ايمان ، ثم نبوة ، ثم رسالة . وعند علماء الرسوم ، وعامة الناس الخارجين عن الطريق الخاص : المرتبة الاولى ايمان ، ثم ولاية ، ثم نبوة ، ثم رسالة . فاجبنا فيها على ما تعرفه العامة وعلماء الرسوم ؛ وبينا المراتب كيف هي ، بالنظر الى جهات مختلفة .

فالموحدون ، بأي وجه كان ، (هم) اولياء الله تعالى ؛ فانهم حازوا اشرف المراتب ، التي اشرك (الاصل: شرك) اللهُ اصحابَها من اجلها ، مع الله فيها ؛ فقال (تعالى) :« شهد الله انه لا اله الا هو » – ففصل لتمييز شهادة الحق لنفسه ، مِن شهادة مَنْ سواه له بما شهد به لنفسه ؛ فقال ، وعطف بالواو :« والملائكة » . فقدّم للمجاورة في النسبة من كونه الاهاً . – والجار الأقرب ، في الشرع وفي العرف – عند ارباب الكرم والعلم – مقدم على الجار الابعد بكل وجه ، اذا اتحدا في ذلك الوجه . وفي هذا من رحمة الله بخلقه ما لا يقدّره الا العارفون به ، في قوله : « ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون » .

« فنحن اقرب » جارٌ ؛ وللجار حق مشروع يعرفه اهل الشريعة . وكذلك قوله (تعالى) :« ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . فينبغي للانسان ان يحضر هذا الجوار الالهي عند الموت ، حتى يطالب من الحق ما يستحقه الجار على جاره ، من حيث ما شرع . وهو قوله (تعالى) لنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ان يقول :« قل : رب ! احكم بالحق » اي الحق الذي شرعته لنا ، فعاملنا به حتى لا تنكر شيئاً منه مما يقتضيه الكرم . فلو عام الناس ما في هاتين الآيتين من العناية بالعباد ، لكانوا على احوال لا يمكن ان تذاع ! يقول تعالى :« قل : كل يعمل على شاكلة » . وقال ، صلى الله عليه وسلم ، في مثل هذا المقام : « افلا اكون عبداً شكوراً ؟ » –

ثم قال ، تعالى :« وأولو العلم » يعني من الجن والانس ، ومن شاركهم من الامهات والمولدات ، العلماء بالله . فجعلهم جيران الملائكة ، لتصح الشفاعة فينا ، لحق الجوار – « انه لا اله الا هو » . الضمير في « انه » يعود على الله ، من « شهد الله » . فشهادتهم

(السؤال الثامن عشر : وأين مقام الانبيا. من مقام الاوليا.[٥٨] ؟

بتوحيده على قدر مراتبهم في ذلك ؛ فلذلك فصل بين شهادته لنفسه وشهادة العلماء له . ثم قال (تعالى) : « قائماً بالقسط » ، اي بالعدل فيما فصل به بين الشهادتين . ثم قال بنفسه : « لا اله الا هو » ، نظير الشهادة الاولى التي له . فحصلت شهادة العالم له بالتوحيد ، بين شهادتين الاهيتين ، احاطتا بها حتى لا يكون للشقاء سبيل الى القائل بها . ثم تمم بقوله (تعالى) : « العزيز » ، ليعلم ان الشهادة الثالثة له ، (هي) مثل الاولى لاقتران العزة بها ، اي لا ينالها الا هو ، لانها منيعة الحمى بالعزة . ولو كانت هذه الشهادة من الخلق ، لم تكن منيعة الحمى عند الله . فدل اضافة العزة لها ، على انها شهادة الله لنفسه . وقوله : « الحكيم » ، لوجود هذا الترتيب في اعطاء السعادة لصاحب هذه الشهادة ، حيث جعلها بين شهادتين منسوبتين الى الله ، من حيث الاسم « الاول » و« الآخر » — وشهادة الخلق بينهما .

فسبحان من قدّر الاشياء مقاديرها ، وعجز العالم ان يقدروها حق قدرها ! فكيف ان يقدروا حق قدر من خلقها ! — وهذا الكشف ، من مقام وراثة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ! من حيث رسالته ، من قوله : « ادعو الى الله على بصيرة ، انا ومن اتبعني » ؛ وهم العلماء بالله من اهل الله ، الذين اقامهم الحق مقام الرسل في الدعوة الى الله ، بلسان حق ، عن نبوة مطلقة . اعتنى بهم في ان وصفهم بها ، لا نبوة الشرائع بل نبوة حفظ لاسم مشروع ، على بصيرة من الحافظ لا عن تقليد .» (فتوحات : ٢ : ٥٢-٥٣)

يلاحظ هنا ، ان ترتيب هذه المسألة في الفتوحات يختلف عنه في كتاب الجواب المستقيم وفي كتاب ختم الاوليا. . فهي في الفتوحات مذكورة برقم ١٨ وفي الكتابين المتقدمين برقم ١٧ .

٥٨) « هو خصوص فيه ؛ وهو بالإزاء ايضاً ، الا انه في المقام الثالث من الدعوة . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ب-٢٤٣أ) .

« الجواب : هو خصوص فيه ، وهو بالازاء ايضاً ؛ الا انه في المقام الثالث ، على ما تقدم من المراتب . وكان ينبغي ان يكون السؤال عن هذا بتفصيل ، بين نبوة الشرائع والنبوة المطلقة . فهم من الاولياء ، اذا كانوا انبياء شريعة ، في الدرجة الثالثة . وان كانوا في النبوة اللغوية ، فهم في الدرجة الثانية .

— واعلم ان الاولياء هم الذين تولاهم الله بنصرته ، في مقام مجاهدتهم الاعداء الاربعة : الهوى ، والنفس ، والدنيا ، والشيطان . والمعرفة بهؤلاء (هي) اركان المعرفة ، عند المحاسبي . —

وان كان سؤاله عن مقام الانبياء من الاولياء ، أي انبياء الاولياء — وهي النبوة التي

(السؤال التاسع عشر) : واي شيء حظ كل رسول من ربه[١]٥٩ .

قلنا انها لم تنقطع ، فانها ليست نبوة الشرائع – وكذلك في السؤال عن مقام الرسل • الذين هم انبياء – فلننقل في جوابه : ان انبياء الاولياء ، مقامهم من الحضرات الالهية الفردانية ؛ والاسم الالهي الذي تمدهم (هو) الفرد ؛ وهم المسمون الافراد . فهذا هو مقام نبوة الولاية ، لا نبوة الشرائع . واما مقام الرسل ، الذين هم انبياء – فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به اتباعهم . كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيا قيل له : « خالصة لك من دون المؤمنين » ، في النكاح بالهبة . فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم . ومنهم من لا يختصه الله بشيء دون امته .

وكذلك الاولياء : فيهم انبياء ، اي خصوا بعلم لا يحصل الا لنبي ، من العلم الالهي . ويكون حكمهم من الله ، فيا اخبرهم به ، حكم الملائكة . ولهذا قال (تعالى) في نبي الشرائع : « ما لم تحط به خبرًا » ، اي ما هو ذوقك ، يا موسى ! مع كونه كليم الله . فخرق (الخضر) السفينة ، وقتل الغلام حكمًا ، واقام الجدار – مكارم خلق – عن حكم امر الاهي ، (هذا كله) كخسف البلاد على يدي جبريل ومن كان من الملائكة . ولهذا كان الافراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة ، وانبياؤهم منهم بمنزلة الرسل من الانبياء . » (فتوحات : ٣ : ٥٣) . – ترتيب هذه المسألة والجواب عنها في الفتوحات برقم ١٩ وفي كتاب ختم الاولياء والجواب المستقيم ١٨ .

٥٩) . « بحسب وقته وأمته ؛ وهو وصفه الخاص الذي به يتميز عن غيره . وتمييزه على التفصيل يطول ، فانه يؤدي الى ذكر اسم كل واحد منهم ، ووصفه الخاص به ؛ ولا حاجة لنا في ذلك . وقد اشرنا الى ذلك في بعض مصنفاتنا ؛ وكذلك اشار اليه الامام ابو القاسم ابن قسي ، في كتاب « خلع النعلين » في قوله تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » . فلينظر هنالك ، قدر ما ذكر من ذلك ؛ وهذه العجالة بنيت على غير هذا التطويل . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢١ ب) .

« الجواب عن هذا لا يتصور ، لان كلام اهل طريق الله عن ذوق ولا ذوق لاحد في نصيب كل رسول من الله . لان اذواق الرسل خصوصة بالرسل ، واذواق الانبياء مخصوصة بالانبياء ، واذواق الاولياء مخصوصة بالاولياء . فبعض الرسل ، عنده الاذواق الثلاثة : لانه ولي ونبي ورسول . قال الخضر لموسى ، (عليه السلام) : « ما لم تحط به خبرًا » . والخُبْر (هو) الذوق . وقال له : « انا علم علمنيه الله لا تعلمه انت ، وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا . » هذا هو الذوق !

---

[١] س خص ٧ .

حضرت في مجلس ، فيه جماعة من العارفين . فسأل بعضهم بعضاً : من اي مقام سأل موسى الرؤية ؟ فقال له الآخر : من مقام الشوق . فقلت له : لا تفعل . اصل الطريق ، ان نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ؛ فلا ذوق للولي في حال من احوال انبياء الشرائع ، فلا ذوق لهم فيه . ومن اصولنا ، أنّا لا نتكلم الّا عن ذوق . ونحن لسنا برسل ، ولا انبياء شريعة فبأي شيء نعرف من اي مقام سأل موسى الرّؤية ربه ؟ نعم ، لو سألها = الرؤية) وليّ امكنك الجواب . فالتحق وجوده بالمحال العقلي ، لان الـذّات لا تقتضي الّا هذا الترتيب ، او سبق العلم — كيف شئت فقل .

فإن اراد السؤال عن السبب ، الذي اقتضى لذلك الرسول هذا الحظ الذي انفرد به — فقد قال صاحب المحاسن : « ليس بينه وبين عباده نسب الّا العناية ، ولا سبب الا الحكم ، ولا وقت الا الازل ؛ وما بقي فعمى وتلبيس » .

واعلم ان السبب العام ، الذي عيّن المراتب العليّة لاربابها ، انما هو العناية الالهية . وهو قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم » . واما السبب الخاص لهذا الرسول ، للحظ الخاص الذي له من ربه — فيحتاج ذكره الى ذكر كل رسول باسمه ، وحينئذ نذكر سببه . ورسل الله في البشر محصورون ، وفي الملائكة غير محصورين عندنا . لكن من شرط اهل هذه الطريقة ، اذا ادعوا هذه المعرفة ، فلا بد ان يعرفوا السبب عند تعيّن الرسول بالذكر . ولكن هو من الاسباب التي لا تذاع لئلا يتعب الخلق ، او يتخيل الضعيف الرأي ان الرسالة تكتسب بذلك السبب ، اذا علم ، فيؤدي ذكر ذلك الى فساد في العالم ، فيحفظ عليه الاشاء .

وايضاً فلا فائدة في اظهاره : فانه ، بكونه رسولاً ، خُصَّ به (لا) لانهٔ كان رسولاً ، بل هو رسول بأمر عام يجتمع فيه المرسلون . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » وقال : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » . فكل واحد منهم فاضل مفضول ، وهو مذهب الجماعة ؛ وقد بين هذا ابو القاسم ابن قسي في « خلع النعلين » . وهو قوله (تعالى) : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » .

فخُصَّ آدم بعلم الاسماء الالهية ، التي طوى علمها عن الملائكة ، فلم تسبح الله بها ، حتى استفادها من آدم . وخص موسى بالكلام والتوراة ، من حيث ان الله كتبها بيده قبل ان يخلق آدم باربعة آلاف سنة . وخص رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما ذكر عن نفسه : « من انه أوتي جوامع الكلم » . وخص عيسى (عليه السلام) بكونه روحاً ، واضاف النفخ اليه فيما خلقه من الطين ؛ ولم يضف نفخاً في اعطاء الحياة لغير عيسى ، بل لنفسه تعالى ! اما بالنون او بالتاء التي هي ضمير المتكلم عن نفسه . وهذا ، وان كانت كلها منصوصاً عليها انما حصلت لهم — فليس بنصوص الاختصاص بها ، ولكنه معلوم من جهة

(السؤال العشرون) : وأي اسم منحه^ش من اسمائه[٦٠] ؟

الكشف والاطلاع . » (فتوحات : ٢ : ٥١–٥٢)

ترتيب هذه المسألة في الفتوحات رقم ١٧ ، وفي الجواب المستقيم وختم الاولياء رقم ١٩ .

٦٠) «الاسم الذي يستدعيه تأييد دعواه ؛ وهو المعبر عنه بالسلطان؛ والاعجاز اثره.» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ب) .

« سؤالك هذا ، يحتمل اربعة أوجه . الواحد ، ان يكون الضمير المرفوع في «منحه» يعود على الله . الثاني ، ان يعود على المقام . الثالث ، على الاسم الالهي . الرابع ، ان يكون الضمير في « اسمائه » يعود على العبد ، فيكون الاسم اسم العبد ، لا اسم الله . وكذلك الضمير المنصوب في « منحه » ، الذي هو المفعول الثاني ، هل هو ضمير اسم الاهي ، او هل هو المقام ؟

فان كان الضمير المرفوع الله ، او المقام – فيكون الممنوح الاسم ، بلا شك . وان كان الضمير المرفوع الله ، او الاسم الالهي او اسم العبد – فيكون المقام هو الممنوح . فليكن الضمير المرفوع الله ، فالممنوح اسم الالهي ، الذي يسمى به العبد في تخلقه ، او اسم العبد : وهو الاصل في القربة الالهية . فان العبد لا يتصف بالقرب من الله الا باسمه . قال الله لابي يزيد : تقرب اليّ بما ليس لي ! قال : يارب ، وما ليس لك ؟ قال : الذلة والافتقار . والسبب في ذلك ، ان اصل العبد ان يكون معلولا ولا بد ؛ والمعلولية له لذاته . وكل معلول فقير ، بلا شك . لاشفاء يرجى له من هذه العلة . فيكون القرب من الله قربا ذاتيا أصليا .

وان كان الممنوح اسما الاهيا ليتخلق به العبد ، كالاسم الرحيم في موطنه ، والاسم الملك المتكبر في موطنه – فذلك قرب يعرض له من الشارع ، الذي عينه له . فان للعبد اسماء يستحقها ، واسماء تعرض له : مثل الاسماء الالهية ، اذا تخلق بها العبد . ولله اسماء يستحقها ، واسماء عرضت له ، من تنزله لعقول عباده . وهي الاسماء التي هي للعبد بحكم الاستحقاق . فهل اتصاف الحق بها ، يكون تخلقا من الله باسماء عبده ؟ او تلك الصفات له حقيقة ، جهلنا معناها بالنسبة اليه وعرفنا معناها بالنسبة الينا ؟ فيكون العبد متخلقا بها ، وان كان يستحقها ، من وجه معرفته بمعناها ، اذا نسبت اليه . ومن كون الباري اتصف بها ، على طريقة مجهولة عندنا ، فلا نعرف كيف ننسبها اليه ، لجهلنا بذاته . فتكون اصلا فيه ، عارضة فينا . فلا نستحق شيئا ، لا من اسمائه ولا مما نعتقد فيها انها اسماؤنا . وهذا موضع حيرة ، ومزلة قدم ، الا لمن كشف الله عن بصيرته !

ونحن ، بحمد الله ، وان كنا قد علمناها – فهي من العلوم التي لا تذاع أصلا ورأسا .

ش منتخب ٧ .

وبمعرفته بها ، « دعا ، من دعا ، الى الله على بصيرة » . وهو الشخص الذي « هو على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه » يشهد له بصدق النية ، التي هو عليها . فالفطن يعلم ما سترناه ، باعلام الله في قوله : « ويتلوه شاهد منه » .

(و) هل تلك الاسماء ، اذا نسبت الى الله ، هل تنسب اليه تخلقاً او استحقاقاً ؟ واذا نسبت الى العبد ، هل تنسب اليه تخلقاً - كسائر الاسماء الالهية ، التي لا خلاف فيها عند العام والخاص - او تنسب اليه بطريق الاستحقاق ؟ فالشاهد المطلوب هنا ، ان عين العبد لا تستحق شيئاً ، من حيث عينه ، لانه ليس بحق اصلا . والحق هو الذي يستحق ما يستحق. فجميع الاسماء التي في العالم - ويتخيل انها حق للعبد - حق لله . فاذا اضيفت اليه ، وسمي (الانسان) بها على غير وجه الاستحقاق ، كانت كفراً وكان صاحبها كافراً . قال الله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا : ان الله فقير ، ونحن اغنياء » . فكفروا بالمجموع !

هذا ، اذا كان الكفر شرعاً . فان كان لغة ولساناً ، فهو اشارة الى الامناء ، من عباد الله ، الذين علموا ان الاستحقاق بجميع الاسماء ، الواقعة في الكون ، الظاهرة الحكم ، انما يستحقها الحق والعبد يتخلق بها . وانه ليس للعبد سوى عينه ، ولا يقال في الشيء : انه يستحق عينه ، فان عينه هويته : فلا حق ولا استحقاق . وكل ما عرض ، او وقع عليه اسم من الاسماء ، انما وقع على الاعيان ، من كونها مظاهر . فما وقع اسم الا على وجود الحق في الاعيان . والاعيان على اصلها ، لا استحقاق لها .

فهذا شرح قوله (تعالى) : « ويتلوه شاهد منه » ، يشهد له بصدق النسبة انه عين بلا حكم ، وكونه مظهراً حكماً لا عيناً . فالوجود لله ، وما يوصف به من ايّة صفة كنت ، انما المسمّى بها هو مسمّى الله . فافهم انه ما ثَمّ مسمّى وجودي إلّا الله . فهو المسمّى بكل اسم ، والموصوف بكل صفة ، والمنعوت بكل نعت .

واما قوله (تعالى) : « سبحان ربك ، رب العزة ، عما يصفون » (اي) من ان يكون له شريك في الاسماء كلها . فالكل اسماء الله : اسماء أفعاله ، او صفاته ، او ذاته . فما في الوجود الّا الله ! والاعيان معدومة في عين ما ظهر فيها .

وقد اندرج في هذا الفصل - ان فهمت - جميع ما ذكرناه في تقسيم الضميرين المنصوب والمرفوع . فالوجود له ، والعدم لك . فهو لا يزال موجوداً ، وانت لا تزال معدوماً . ووجوده ، ان كان لنفسه ، فهو ما جهلت منه . وان كان لك ، فهو ما علمت منه : فهو العالم والمعلوم .

والذي يقصده أكثر الناس بقولهم : اي اسم منح الله الرسول من اسمائه ؟ (فالجواب) هو الاسم الذي يستدعيه تأييد دعوته ، وهو المعبر عنه بالسلطان ، والاعجاز أثره . وان منحه (الله) النبيّ ، (فالجواب) هو الاسم الذي يتأيد به في حصول مرتبة النبوة وصحتها .

(السؤال الحادي والعشرون) : وأي شيء حظوظ الاولياء من اسمائه[٦١] ؟
(السؤال الثاني والعشرون) : واي شيء علم البدء[ص] [٦٢] ؟

وقد يكون لكل شخص اسم يمنحه (الله تعالى) بحسب ما تقتضيه رتبته من مقام نبوته او رسالته . غير ان الاسم الواهب هو الذي يعطي ذلك ؛ الا اذا كان المقام مكتسباً ، فـ(عندئذ) قد يعطيه الاسم الكريم او الجواد او السخي . » (فتوحات ، ٢ : ٥٣-٥٤)

٦١) « الجواب : الحظ الذي يجمعهم من اسمائه ، هو الحي القيوم . وما سوى عين الجمع ، فبحسب غاية كل ولي . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤١ ب) .

« الجواب : هنا تفصيل . هل يريد بالاسم ، الذي اوجب لهم هذه الحظوظ ؟ او الاسم ، الذي يتولاهم فيها ؟ او الاسم ، الذي تنتجه هذه الحظوظ ؟

فان اراد الاسم او الاسماء ، الذي اوجبت لهم هذه الحظوظ — فالحظوظ على قسمين : حظوظ مكتسبة ، وحظوظ غير مكتسبة . ولكل واحد من القسمين اسم يخصه ، من حيث ما يوجبها ، ومن حيث ما يتولاها ، ومن حيث ما تنتجه . فما كان من الحظوظ المكتسبة ، فالاسماء التي توجبها ، هي الاسماء التي تعطيهم الاعمال ، التي اكتسبوها بها . وهي مختلفة : كل عمل بحسب اسمه . فكل عامل ، اذا كان عارفاً ، يعلم الاسم الذي يخص تلك الحركة العملية (الاصل : العلمية) من الاسماء الالهية . ويطول التفصيل فيها .

والاسماء التي تتولاهم ، في حال وجودها لهم ، فهي بحسب ما هو ذلك الحظ . فالحظ يطلب بذاته من يتولاه من الاسماء . والحظوظ مختلفة ، وكذلك الاسماء ، التي توجبها الحظوظ وتنتجها ، فهي بحسب الحظوظ ايضاً . فتختلف الاسماء باختلاف الحظوظ . وعلى هذا النسق الكلام في الحظوظ ، التي هي غير مكتسبة ، من التفصيل » .

(فتوحات ، ٢ : ٥٤)

٦٢) « هو علم الفصل بين الوجودين ، القديم والمحدث . وهو علم عزيز ، يعز على من لم يبثر عليه منا . وأما سوى طريقتنا ، فهم يخبطون (خبط) عشواء . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤١ ب) .

« الجواب : سأل بلفظ في العامة يعطي البدء ، وفي الخاصة يعطي موجب النسخ ، في مذهب من يراه . فلنتكلم على الأمرين معاً ، ليقع الشرح باللسانين ، فيتم الجواب .

اعلم ، أن علم البدء علم عزيز ، وانه غير مقيد . واقرب ما تكون العبارة عنه ، ان يقال : البدء افتتاح وجود الممكنات على التالي والتتابع ، لكون الذات الموجدة له

ص من البدو F .

اقتضت ذلك ، من غير تقييد بزمان ، اذ الزمان من جملة الممكنات الجسانية . فلا يعقل الا ارتباط ممكن بواجب لذاته . فكان في مقابلة وجود الحق ، اعيان ثابتة ، موصوفة بالعدم ازلاً ، وهو الكون ، الذي لا شيء مع الله فيه . الّا ان وجوده افاض على هذه الاعيان ، على حسب ما اقتضته استمداداتها . فتكونت لاعيانها ، لاله ؛ من غير بينيّة تعقل او تتوهم . (ق)وقعت ، في تصورها ، الحيرة من الطريقين : من طريق الكشف ، ومن طريق الدليل الفكري . والنطق بما يقتضيه الكشف ، بايضاح معناه ، يتعذر : فان الامر غير متخيل؛ فلا يقال ، ولا يدخل في قوالب الالفاظ باوضح مما ذكرناه . وسبب عزة ذلك ، الجهل بالسبب الاول وهو ذات الحق . ولما كانت سبباً ، كانت الاماً للمألوه لها ، حيث لا يعلم المألوه انه مألوه . فمن اصحابنا من قال : ان البدء كان عن نسبة القهر ، وقال بعض اصحابنا : بل كان عن نسبة القدرة . والشرع يقول : عن نسبة أمر ؛ والتخصيص (حصل) في عين ممكن ، دون غيره من الممكنات المميزة عنده .

والذي وصل اليه علمنا من ذلك – وَوَافَقنا الانبياء عليه – ان البدء عن نسبة امر ، فيه رائحة جبر . اذ الخطاب لا يقع الا على عين ثابتة ، معدومة ، عاقلة سميعة ، عالمة بما تسمع : بسمع ما هو سمع وجود ، ولا عقل وجود ، ولا علم وجود . فالتبست ، عند هذا الخطاب ، بوجوده . فكانت مظهراً له : من اسمه « الاول – الظاهر » . وانسحبت هذه الحقيقة ، على هذه الطريقة ، على كل عين عين ، الى ما لا يتناهى .

فالبدء حالة ، مستصحبة ، قائمة ، لا تنقطع ، بهذا الاعتبار ، ابداً . فان معطي الوجود ، لا يقيده ترتيب الممكنات . فالنسبة منه واحدة . فالبدء ما زال ؛ ولا يزال . فكل شيء من الممكنات ، له عين الاولية في البدء . ثم اذا نسبت الممكنات ؛ بعضها الى بعض ، تعيّن التقدم والتأخر ، لا بالنسبة اليه ، سبحانه ! فوقف علماء النظر مع ترتيب الممكنات ، حيث وقفنا نحن مع نسبتها اليه (تعالى !) .

والعالَم كله ، عندنا ، ليس له تقييد الا بالله خاصة . والله يتعالى عن الحد والتقييد . فالمقيد به (العالَم) تابع له (لله) في هذا التنزيه . فأولية الحق هي اوليته (العالم) اذ لا اولية للحق بغير العالم ، لا يصح نسبتها ولا نعته بها . بل هكذا جميع النسب الاسمائية كلها .

فالعبد ملك اذ قد تسمّى	بي عين حال بما تسمى
والملك عبد في عين حال	اذا تسمى بما أسمى
فانه بي ولست اعني	عنيَ (الاصل: عني) لكونه أصم أعمى
عن كل عين سوى عياني	لكونه اظهرته الاسما

هذه طريقة البدء .

وأما اذا اراد : البداء (الاصل : البدا) ، وهو ان يظهر له ما لم يكن ظهر . هو مثل قوله (تعالى) : « ولنبلونكم حتى نعلم » وهو قوله : « وسيرى الله عملكم » . فيكون

(السؤال الثالث والعشرون) : وقوله : « كان الله ولا شيء معه ض »(٦٣) ؟

الحكم الالهي بحسب ما يعطيه الحال . وقد كان قرّر الامر بحال معين ، بشرط الدوام لذلك الحال في توهمنا . فلما ارتفع الدوام الحالي ، الذي لو دام اوجب دوام ذلك الامر ، بدا من جانب الحقّ حكم آخر ، اقتضاه الحال الذي بدا من الكون . فقابل البداء (الاصل : البدا) بالبداء (الاصل : البدا) . فهذا معنى علم البداء (الاصل : البدا) له ، على الطريقة الاخرى .

قال تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » . ويقول ، صلى الله عليه وسلم : « اتركوني ما تركتكم » . وكانت الشرائع تنزل بقدر السؤال ؛ فلو تركوا السؤال لم ينزل هذا القدر ، الذي شرع . ومعقول ما يفهم من هذا ؛ علم البداء (الاصل : البدا) .

وبعد ان علمتَ هذا ، فقد علمت علم الظهور ، وعلم الابتداء . فكأنك علمت علم ظهور الابتداء ، او ابتداء الظهور ، فان كل نسبة منها مرتبطة بالاخرى . فان كان ظهور الابتداء ، فما حضرة الاخفاء ، التي منها ظهر هذا الابتداء ؟ فلا شك انه لم يكن يصح هذا الوصف إلّا له ، ففيه خفي وبه ظهر . فحالة ظهوره عن ذلك الخفاء هو المعبّر عنه بالابتداء . وان كان ابتداء الظهور ، فهل له نسبة الى (الاصل : لي) القدم ؟ (و)إذ لم يكن له حالة الظهور ، فما نسبة القدم اليه ؟

قلنا : عينه الثابتة حال عدمه ، هي له نسبة ازلية ، لا اول لها . وابتداء الظهور ، عبارة عمّا اتصفت به من الوجود الالهي ، اذ كانت مظهرًا للحق . فهو المعبر عنه بابتداء الظهور . فان تعدُّدَ الاحكام على المحكوم عليه ، مع احدية العين ، انما ذلك راجع الى نسب واعتبارات . فعين الممكن لم تزل ؛ ولا تزال على حالها من الامكان . فلم يخرجها كونها مظهرًا – حتى انطلق عليها الاتصاف بالوجود – عن حكم الامكان فيها ؛ فانه وصف ذاتي لها . والامور لا تتغير عن حقائقها ، باختلاف الحكم عليها ، لاختلاف النسب . الا ترى الى قوله (تعالى) : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا » ؛ وقوله : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ، ان نقول له : كن ، فيكون ! » . فنفى الشيئية عنه واثبتها له . والعين هي العين . لا غيرها . » (فتوحات ٤ : ٢ : ٥٤–٥٦)

٦٣) « الجواب : في المرتبة التي يستحقها وجوده ؛ ولذلك تمم فقال : « وهو الآن على ما عليه كان » . فان ذلك الوصف ثابت له ، سواء كان العالم او لم يكن . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ ا) .

« الجواب : لا تصحبه الشيئية ، ولا تنطلق عليه . وكذلك هو « ولا شيء معه » . فانه وصف ذاتي له . سَلْبَ الشيئية عنه ، وسَلْبَ معية الشيئية . لكنه مع الاشياء ،

ض + ثم ماذا ٧ .

وليست الاشياء معه. لان المعية تابعة للعلم: فهو يعلمنا، فهو معنا. ونحن لا نعلمه، فلسنا معه.

فاعلم، ان لفظة «كان» تعطي التقييد الزماني. وليس المراد هنا به ذلك التقييد. وانما المراد به الكون، الذي هو الوجود. فتحقيق «كان» انه حرف وجودي، لا فعل يطلب الزمان. ولهذا، لم يرد ما يقولنه علماء الرسوم، من المتكلمين وهو قولهم: «وهو الآن على ما عليه كان». فهذه زيادة مدرجة في الحديث، ممن لا علم له بعلم «كان»؛ ولا سيما في هذا الموضع. ومنه: «كان الله عفوًا غفورًا»، وغير ذلك مما اقترنت به لفظة «كان». ولهذا سمّاها بعض النحاة، هي واخواتها: حروفًا تعمل عمل الافعال. وهي عند سيبويه حرف وجودي. وهذا هو الذي تعقله العرب. وان تصرّفت (كان) تصرّف الافعال، فلبس من اشبه شيئًا من وجه ما، يشبهه من جميع الوجوه. بخلاف الزيادة، بقولهم: «وهو الآن»، فان «الآن» تدل على الزمان. واصل وضعه (انما) لفظة تدل على الزمان الفاصل بين الزمانين: الماضي والمستقبل. ولهذا قالوا في «الآن»: انه حد الزمانين. فلما كان مدلولها الزمان الوجودي، لم يطلقه الشارع في وجود الحق؛ واطلق «كان» لانه حرف وجودي. وتخيل فيه الزمان، لوجود التصرف: من كان ويكون فهو كائن ومكون. كقتل يقتل فهو قاتل ومقتول. وكذلك «كُنْ» بمنزلة «اخرج».

فلما رأوا في «الكون» هذا التصرف، الذي يلحق الافعال الزمانية – تخيلوا ان حكمها حكم الزمان، فادرجوا «الآن» تتمةً للخبر وليس منه. فالمحقق لا يقول قط: «وهو الآن على ما عليه كان». فانه لم يرد، ويقول على الله ما لم يطلقه على نفسه، لما فيه من الاخلال بالمعنى، الذي يطلبه حقيقةً وجود الحقّ، خالق الزمان. فمعنى ذلك الله موجود، ولا شيء معه. اي ما ثمّ مَنْ وجوده واجب لذاته غير الحق. والممكن واجب الوجود به لانه مظهره، وهو ظاهر به. والعين الممكنة مستورة بهذا الظاهر فيها. فانصف هذا الظهور والظاهر بالامكان، (وذلك مما) حكمَ عليه به عينُ المَظْهرِ، الذي هو الممكن. فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينًا، واندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكمًا. فتدبر ما قلناه!

واعلم، ان كلامنا في شرح ما ورد، انما هو على قول الولي، اذا قال مثل هذا اللفظ، او نطق به من مقام ولايته لا من مقام الرتبة، التي منها بعث رسولا. فان الرسول اذا قال مثل هذا اللفظ في المعرفة بالله، من مقامه الاختصاصي، فلا كلام لنا فيه، ولا ينبغي لنا ان نشرح ما ليس بذوق لنا. وانما كلامنا فيه من لسان الولاية. فنحن نترجم عنها بأعلى وجه يقتضيه حالها. هذا غاية الولي في ذلك. ولا شك ان المعيّة في هذا الخبر ثابتة، والشيئية منفية. والمعية تقتضي الكثرة. والموجود الحق هو عين وجوده في نسبته الى نفسه وهويته. وهو عين المنعوت به مَظْهَرُهُ: فالعين واحدة في النسبتين.

فهذه المعيّة، كيف تصح والعين واحدة؟ فالشيئية هنا عين المَظهر لا عينه؛ وهو معها

(السؤال الرابع والعشرون) : وما بدء[ط] الاسماء[٦٤] ؟

لان الوجود يصحبها ، وليست معه لانها لا تصحب الوجود . وكيف تصحبه ، والوجوب لهذا الوجود ذاتي ؟ ولا ذوق للدين الممكنة في الوجوب الذاتي . فهو يقتضيها ، فيصح ان يكون معها . وهي لا تقتضيه ، فلا يصح ان تكون معه . فلهذا نفي الشيء ان يكون مع هوية الحق ، لان المعية نعت تمجيد ، ولا مجد لمن هو عدم الوجوب الوجودي لذاته . فان الشيء لا يكون مع الشيء الا بحكم الوعيد او الوعد بالخبر . وهذا لا يتصور من الدُّون للاعلى . فالعالم لا يكون مع الله ابدًا ، سواء انصف بالوجود او العدم . والواجب الوجود الحق لذاته ، يصح له نعت المعية مع العالم ، عدمًا ووجودًا . » (فتوحات: ٢: ٥٦)

هذا ، وحديث « كان الله ولا شيء معه » مذكور في البخاري : باب التوحيد ، وبدء الخلق ؛ ومذكور ايضًا في مسند ابن حنبل ٢ : ٤٣١

٦٤) « الجواب : هو الاسم الذي تتوقف الاسماء في اظهار اثرها عليه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ا — ٢٤٣ب) .

« الجواب : اطلاق هذا اللفظ ، في الطريق ، يقتضي امرين : الواحد ، سؤال عن اول الاسماء . والثاني ، سؤال عما تبتدئ به الاسماء من الآثار . وهذان الامران فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ، ما هو ؟ هل هو موجود ، او عدم ؟ اولا وجود ولا عدم ؟ — وهي النسب ، فلا تقبل معنى الحدوث ولا القدم ؛ فانه لا يقبل هذا الوصف الا الوجود او العدم .

فاعلم ان هذه الاسماء الالهية ، التي بأيدينا ، هي اسماء الاسماء الالهية التي سمى بها نفسه ، من كونه متكلمًا . فنضع الشرح ، الذي كنا نوضح به مدلول تلك الاسماء ، على هذه الاسماء التي بأيدينا . وهو المسمى بها من حيث الظاهر ، ومن حيث كلامه . وكلامه (هو) علمه ؛ وعلمه (هو) ذاته : فهو مسمّى بها من حيث ذاته . والنسب لا تعقل للموصوف بالاحدية من جميع الوجوه : اذن ، (الاصل : اذا) فلا تعقل الاسماء الا بان تعقل النسب ، ولا تعقل النسب الّا بأن تعقل المظاهر ، المعبر عنها بالعالم . فالنسب على هذا ، تحدث بحدوث المظاهر . لان المظاهر ، من حيث هي اعيان ، لا تحدث ؛ ومن حيث هي مظاهر ، هي حادثة : فالنسب حادثة . فالاسماء تابعة لها ، ولا وجود لها ، مع كونها معقولة الحكم .

فاذا ثبت هذا ، فالقائل : ما بدء الاسماء ؟ هو القائل : ما بدء النسب ؟ والنسبة امر معقول ، غير موجود بين اثنين . فإمّا ان تتكلم فيها ، من حيث نسبتها الى الاولى ، او من حيث ما دل الاثر عليها . فان نظرنا فيها من حيث المسمّى بها ، لا من حيث دلالة اثرها —

ط بدو F ، بداوة V .

كان قوله: ما بدء الأسماء؟ معناه: ما أول الأسماء؟ فلتقل: أول الأسماء «الواحد – الاحد». وهو اسم واحد، مركب تركيب «بعلبك» و«رامهر مز» و«الرحمن – الرحيم». لا نريد بذلك اسمين. وانما كان «الواحد – الأحد» اول الأسماء، لان الاسم موضوع للدلالة، وهي العلمية الدالة على عين الذات، لا من حيث نسبة ما يوصف بها، كالأسماء الجوامد للاشياء. وليس اخص في العلمية من «الواحد – الأحد». لأنه اسم ذاتي له، يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة.

فان قلت: فـ«الله» أولى بالأولية من «الواحد – الأحد». لان الله ينعت بـ«الواحد – الاحد» ولا ينعت (الواحد – الأحد) بالله. قلنا: مدلول «الله» يطلب العالم بجميع ما فيه؛ فهو له كاسم «الملك» او «السلطان»: فهو («الله») اسم للمرتبة لا للذات. و«الأحد» اسم ذاتي، لا يتوهم معه دلالة على غير العين. فلهذا لم يصح ان يكون «الله» أول الأسماء. فلم يبق الّا «الواحد»، حيث لا يعقل منه إلّا العين، من غير تركيب. ولو تسمّى (الحق لنا) بالشيء، لسميناه «الشيء» وكان (هذا) اول الاسماء. لكنه لم يرد في الأسماء الالهية «يا شيء» ... ولا فرق بين مدلول «الواحد» و«الشيء»، فانه دليل على ذات غير مركبة. اذ لو كانت مركبة لم يصح اسم «الواحد» و«الشيء»، فانه دليل على ذات غير مركبة. اذ لو كانت مركبة لم يصح اسم «الواحد» ولا «الشيء» عليه حقيقة. فلا مثل له، ولا شبه يتميّز عنه بشخصيته: فهو «الواحد – الأحد» في ذاته لذاته.

ومع هذا، فقد قررنا ان الأسماء عبارة عن نسب. فما نسبة هذا الاسم الأول، ولا اثر له منه يطلبه؟ قلنا: اما النسبة، التي أوجبت له هذا الاسم، فمعلومة. وذلك ان في مقابلة وجوده اعياناً ثابتة، لا وجود لها الّا بطريق الاستفادة من وجود الحق. فتكون مظاهره في ذلك الاتصاف بالوجود. وهي اعيان لذاتها، ما هي اعيان لموجِب، ولا لعلة. كما ان وجود الحق لذاته، لا لعلة. وكما هو الغنى لله تعالى على الاطلاق، فالفقر لهذه الأعيان على الاطلاق، الى هذا الغني، الواجب الغني بذاته لذاته. وهذه الأعيان، وان كانت بهذه المثابة، فمنها امثال وغير امثال، متميزة بأمر وغير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك. فلا يصح على كل عين منها اسم «الواحد – الأحد»، لوجود الاشتراك والمثلية. فلهذا سمينا هذا الذات، الغنية على الاطلاق، «بالواحد – الاحد»، لانه لا موجود الا هي. فهي عين الوجود في نفسها وفي مظاهرها. وهذه نسبة لا عن اثر، اذ لا اثر لها في كون الأعيان الممكنات اعياناً، ولا في امكانها.

واما اذا كان قوله: ما بدء الأسماء؟ بمعنى ما تبتدئ به الأسماء من الآثار في هذه الأعيان – فيطلب هذا السؤال أمرين: الأمر الواحد، ما يبتدئ به في كل عينٍ عين. والأمر الآخر، ما يبتدئ به على الاطلاق، في الجمله. ومعناه: ما أول اسم يطلب ان يظهر اثره في هذه الأعيان.

(السؤال الخامس والعشرون : وما بدءظ الوحي[٦٥] .

فاعلم ان ذلك الاسم ، هو « الوهاب » خاصةً ، في الجملة وفي عين عين ، لا فرق . وهو اسم احدثته الحبات لهذه الأعيان ، من حيث فقرها . فلما انطلق عليها اسم « مظهر » ، وقد كانت عريّة عن هذا الاسم ، ولم يجب على « الغنيّ » ان يجعلها مظاهر له – طلبت هذه النسبة الاسم « الوهاب » . ولهذا لا نجعله ، تعالى ! علة لشيء ، لان العلة تطلب معلولها ، كما يطلب المعلول علته . و«الغنيّ» لا يتصف بالطلب ، اذن فلا يصح ان يكون علة . والوهب ليس كذلك ، فانه امتنان على الموهوب له؛ وان كان الوهب له ذاتياً فانه لا يقدح في غناه عن كل شيء .

والذي يبتدئ به من الوهب ، اعطاء الوجود لكل عين ، حتى وصفها بما لا تقتضيه عينها . فأول ما يبتدأ به من الأعيان ، ما هو اقرب مناسبة للاسماء التي تطلب التنزيه ، هي الاسماء التي تطلب الذات لذاتها . والاسماء التي تطلب التشبيه ، هي الاسماء التي تطلب الذات لكونها إلاهاً . فاسماء التنزيه ، كالغني والأحد ، وما يصح ان ينفرد به . واسماء التشبيه ، كالرحيم والغفور ، وكل ما يمكن ان يتصف به العبد حقيقةً ، من حيث ما هو مظهر ، لا من حيث عينه . لانه لو اتصف به من حيث عينه – لكان له الغنى ، ولا غنى له أصلاً .

فاذا اتصفت هذه الأعيان ، التي هي المظاهر ، بمثل الغني وتسمت بالغني – فيكون معنى ذلك : الغنى بالله عن غيرها من الأعيان ؛ لا ان العين غني بذاته . وكذا كل اسم تنزيه : فلها هذه الأسماء ، من حيث ما هي مظاهر . فان كان المسمى لسان الظاهر فيها ، فهو كونه إلاهاً فهو اقرب نسبة الى الـذات من لسان المظهر اذا تسمى بالغنى . فالمظهر لا يزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغنى المقيد له . والظاهر فيه ، اذا تسمى بالغنى يصح له لأنه يعطي جوداً ومنة . وهو الوهاب الذي يعطي لينعم ؛ وقد يعطي ليعبد . فلا يكون هذا عطاء تنزيه ، بل هو عطاء عوض ، ففيه طلب . قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . فاعطاء هذا الخلق اعطاء طلب ، لا اعطاء هبة ومنة . واعطاء الوهب اعطاء انعام ، لا لطلب شكر ولا عوض . « يهب لمن يشاء اناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور؛ او يزوجهم ذكراناً واناثاً » وهو المثنى . ثم وصف نفسه في ذلك بانه « عليم قدير » . وهو وصف يرجع اليه ؛ ما طلب منهم في ذلك عوضاً ، كما طلب في قوله : « وما خلقت الجن والانس الّا ليعبدون» . فنزلة خلقهم له ما هو منزلة خلقهم لهم : فخلقهم لهم من اسماء التنزيه ، وخلقهم له من اسماء التشبيه . وهذا القدر كاف في الغرض . » (فتوحات : ٢ : ٥٦–٥٨)

٦٥) « الجواب : هو انزال المعاني في القوالب المحسوسة في الحضرة الوسطى ، وهو

ظ بدوبه F ، بداوة .

عالم التولد ، والعالم الوسط ؛ وهو البرزخ الاعظم .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦ ب).

« الجواب : انزال المعاني المجردة العقلية ، في القوالب الحسية المقيدة ، في حضرة الخيال ، في نوم او يقظة . وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس . مثل قوله (تعالى) : « فتمثّل لها بشراً سويّاً » . وفي حضرة الخيال ، كما ادرك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « العلم في صورة اللبن » وكذا أوّل رؤياه .

قالت عائشة : « اول ما بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحي — الرؤيا . فكان لا يرى رؤيا الّا خرجت مثل فلق الصبح » . وهي التي أبقى الله على المسلمين ، وهي من اجزاء النبوة . فما ارتفعت النبوة بالكلية . ولهذا قلنا : انما ارتفعت نبوة التشريع . فهذا معنى « لا نبي بعده » . وكذلك : « من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوّة بين جنبيه » . فقد قامت به النبوة ، بلا شك . فعلمنا ان قوله : « لا نبي بعده » . اى لا مشرع خاصةً ، لا انه لا يكون بعده نبي .

فهذا مثل قوله (صلى الله عليه وسلم) : « اذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده » و« اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الفرس والروم . وما زال الملك من الروم . ولكن ارتفع هذا الاسم ، مع وجود الملك فيهم وتسمّى ملكهم باسم آخر ، بعد هلاك قيصر وكسرى .

وكذلك اسم النبيّ زال بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فانه زال التشريع المنزل من عند الله بالوحي بعده ، صلى الله عليه وسلم . فلا يشرع احد بعده شرعاً ، إلّا ما اقتضاه نظر المجتهدين من العلماء في الأحكام ؛ فانه بتقرير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صحّ . فحكم المجتهد من شرعه الذي شرعه ، صلى الله عليه وسلم ، الذي يعطي المجتهد دليله . وهو الذي اذن الله به . فما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله ، فان ذلك كفر وافتراء على الله .

فان قلت : هذا الذي بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من اين تقول انه بدء الوحي ؟ — قلنا : لا شك ولا خفاء ، عند المؤمنين والأولياء ، ان محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، خصه الله بالكمال في كل فضيلة . فمن ذلك ، انه خصه بكمال الوحي ، وهو استيفاء انواعه وضروبه وهو قوله ، عليه السلام : « اوتيت جوامع الكلم » . وبعث عامة . فما بقي ضرب من الوحي الا وقد نزل عليه به . فلما كان بهذه المثابة ، وبدئ ، صلى الله عليه وسلم ، بالرؤيا في وحيه ستة أشهر — علمنا ان بدء الوحي الرؤيا ، وانها جزء من ستة واربعين جزءًا من النبوة ، لكونها ستة اشهر . وكانت نبوته ثلاثا وعشرين سنة ؛ فستة اشهر جزء من ستة واربعين . ولا يلزم ان يكون لكل نبي ، فقد يوحى لنبي لا من بدء الوحي ، الذي هو الرؤيا ، بل بضرب آخر من الوحي . فلما بدئ بالرؤيا ، صلى الله عليه وسلم ، قلنا : الرؤيا بدء الوحي ، بلا شك . لان الكمال الذي وصف به نفسه ، صلى الله عليه

(السؤال السادس والعشرون) : وما بدء[ع] الروح[٦٦] .

وسلم ، في المقام اعطى الله ان يكون بدء الوحي ما بدئ به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وكذا ينبغي ان يكون . فان البدء عندنا ، هو ما يناسب الحس اولا ، ثم يرتقي الى الامور المجردة ، الخارجة عن الحس . فلم تكن إلّا الرؤيا ، نوماً كان او يقظة . والوحي ، هنا ، تشريع الشرائع من كونه نبياً او رسولاً ، كيف ما كان .

وهذا كله ، اذا كان سؤاله عن الوحي المنزل على البشر . فان كان سؤاله عن بدء الوحي ، من حيث الوحي او عن بدء الوحي في حق كل صنف ممن يوحى اليه كالملائكة وغير البشر ، من الجنس الحيواني مثل قوله (تعالى) : « وأوحى ربك الى النحل » ؛ وغير الجنس الحيواني مثل : « عرض الامانة على السموات والارض والجبال » — فانه كان بوحي — « واوحى في كل سماء امرها » ومثل قوله : « ونفس وما سواها » وهي نفس كل مكلف وما ثمَّ إلّا مكلف لقوله : « فالهمها فجورها وتقواها » ، فدخل الملك بالتقوى ، في هذه الآية اذ لا نصيب له في الفجور . وكذلك سائر النفوس (الاصل: نفوس) ما عدا الانس والجان . فالانس والجن الهموا الفجور والتقوى : « كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » . — فان اراد بدء الوحي في كل صنف صنف ، وشخص شخص ، فهو الالهام فانه لا يخلو عنه موجود ، وهو الوحي . وهذا جواب عن بدء الوحي من حيث الوحي ومن حيث شخص شخص » . (فتوحات : ٢ : ٥٨)

٦٦) الجواب : هو في الروح الاول ، تجل من المرتبة الاولى المطلقة الى المرتبة الاولى المقيدة ، وهو في الروح الثاني ، فراغ الاستمداد . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤ب) .

« الجواب : اهل الطريق يطلقون لفظ « الروح » على معان مختلفة . فيقولون : فلان فيه روح ، اي امر رباني ، يجيء به من قام به ، يعني : قلبه . ويطلقون « الروح » على الذي سئل عنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويطلقون « الروح » ويريدون به الروح الذي ينفخ فيه عند كمال التسوية . والذي مدار الطريق عليه ، هو « الروح » الذي يجده اهل الله عند الانقطاع اليه بالهمم والعبادة . فاكثر ما يقع عنه السؤال منهم غالباً . فيكون قوله : ما بدء الروح ؟ اي ما ابتداء حصوله في قلب العارف ؟

فنقول (الاصل: فتقول) : ان بدء الروح في نفوس اهل الله الذين أهلّهم الله لتحصيله ، من (الاصل: ان) نَفَس الرحمن . (وذلك) اذا تمكنت في نفوسهم المجاهدات ، التي تعطيهم رؤية الأغيار عريَّة عن رؤية الله فيها وانها حائلة وقاطعة بين الله وبين هذا العبد . فيكون صاحب هذه المجاهدة صاحب قبض وهم وغم وحجب ، يريد رفعها . فتهب عليه من نَفَس

ع بدو F ، بداوة V .

السؤال السابع والعشرون) : وما بدء السكينة[٦٧] ؟

الرحمن في باطنه ما يؤديه الى رؤية وجه الحق في هذه القواطع ، على زعمه ، وفي هذه الحجب والاشياء التي يجاهد نفسه في قطع ما يتعرض اليه منها في طريقه . فيريه ذلك النفس وجه الحق في كل شيء ، وهو المعين والحافظ عليه وجودها . فلم ير شيئاً خارجاً عن الحق . فزال تعبه ، من حيث ما يريد قطعها . ويتألم عند ذلك ألماً شديداً ، حيث يتوهم عدم تلك المعرفة . ثم يعقب ذلك سرور عظيم ، لوجود هذا النفس . فيحيي به معناه ويصير به روحاً . وهو قوله (تعالى) : « اوحينا اليك روحاً من امرنا » ، ما هو تحت كسبك ، ولا تعلق لك خاطر بتحصيله . « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » . فهذا الطارق ، ممن شاء من عباده . فيقال فيه ، عند ذلك : انه ذو روح . ويقال فيه انهُ حي ، وقد التحق بالاحياء . وهو قوله : « او من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس . ومن لم يجعل الله له نوراً » – وهو هذا الروح – « فما له من نور » . فكان يجعل الله ، ولم يضفه الى الاكتساب ، فانه مجهول العين لعدم الذوق .

فهذا معنى بدء الروح ، الذي يجده العارفون في الطريق . وهذا هو مقصود السائلين . وهو نور من حضرة الربوبية لا من غيرها . واصله من الروح الذي « هو من امر ربي » ، اي من الروح الذي لم يوجد عن خلق . فان عالم الأمر (هو) كل موجود لا يوجد عن (الاصل : عند) سبب كوني يتقدمه . ولكل موجود منه شرب . وهو الوجه الخاص ، الذي لكل موجود عن سبب وعن غير سبب . فمن هذا الروح يكون هذا الروح المسئول عنه ، الذي يجده اهل هذا الطريق . » (فتوحات ج ٢ : ٥٠٤)

٦٧) « الجواب : ان اراد بالبدء حصولها في القلب ، فهي اول نفحات الالهية . واخبرني رجل من الحديثة ، انها اول العظمة . وليس بصحيح ؛ وانما التبس عليه الأمر . فذوقه صحيح ، وعبارته فاسدة . ولما اوضحنا له حاله ، رجع الينا ، وشكر . و(كان) ذلك بالموصل ، سنة احدى وستماية . وان اراد وجودها في نفسها ، فهي حقيقة تتنوع بحسب اوقات من تنزل عليه . فبدؤها (في الاصل : فبدءها) بحسب تلك الصورة : فوقتاً تظهر معنىً ، ووقتاً في صورة ، رأسها رأس ثور . وتارة في صورة غمامة فيها سرج . وقد ورد ذلك كله .

واما بدء وجودها على اية حالة كانت ، فتجلٍّ مخصوص من تجليات الألطاف تقلب مصطفى ، يسكن تحت سلطانه ، فيكون السكون : وهذا بدؤه (في الاصل : بدءها) . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٣ أ) .

غ بدو F ، بداوة V .

« الجواب : مطالعة الأمر بطريق الإحاطة من كل وجه ؛ وما لم يكن ذلك فالسكينة لا تصح . قال ابراهيم ، عليه السلام : « ارني كيف تحيي الموتى . قال : أو لم تؤمن؟ قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبي » . فجعل الطمأنينة بدء السكينة ، لما اختلفت عليه وجوه الأحياء فكانت تجاذبه من كل ناحية . فلما اشهده الله الكيفية سكن مما كان يجده من القلق ، لتلك الجذبات التي للوجوه المختلفة (الاصل : المختلفة) .

قال بعضهم :

« انما اجزع مما اتقي فاذا حل فمالي واجزع ؟

« وكذا اطمع فيما ابتغي فاذا فات فمالي والطمع ؟ »

فحصول المطلوب او اليأس من تحصيله بدء السكينة فيما يطلب . وكذلك ، على ما يليق به ، يكون ما يخاف منه . فاعلم ذلك ! .

فاذا أكمل الانسان شرائط الايمان واحكمها ، حصل من الحق تجلٍّ لقلب هذا المؤمن ، الذي هو بهذه الصفة . يسمى ذلك التجلي ذوقاً ، هو بدء جعل السكينة في قلبه . لتكون تلك السكينة له باباً او سلماً الى حصول امر مغيب يقع له الايمان به . فيكون معه وجود السكون ، لما اعطاه الأمر الأول لكونه يصير امراً معتاداً . مثل سكون من تمود الاسباب الى الأسباب . ولا يكون ذلك عن غيب اصلاً ، بل عن ذوق وهو المعاينة . فان الانسان اذا كان عنده قوت يوم سكنت نفسه لما يعطيه قلق يومه لمعاينة ما عنده بحصوله تحت ملكه . فان حصل الايمان عنده بهذه المثابة ، تحت حكمه ، فهو صاحب سكينة . وان كان الانسان تحت حكم الايمان ، نازعه البيان فلم تحصل سكينة .

واعلم ان المعاني التي تتصف بها القلوب ، قد يجعل الله علامة على حصولها في نفوس من شاء من عباده ان يحصلها فيه علامات من خارج ، تسمى تلك العلامة باسم ذلك المعنى الذي يحصل في نفسه من الله . وانما يسميه به ، ليعلم ان تلك العلامة لحصول هذا المعنى نصبت . مثل قوله تعالى ، في تابوت بني اسرائيل : « ان الله قد جعل فيه سكينة » وهي صورة على شكل حيوان من الحيوانات ، اختلف الناس في اي صورة حيوان كانت . ولا فائدة لنا في ذكر ما ذكروه في صورتها . فكانت تلك الصورة اذا هفت او ظهرت منها حركة خاصة – جرَوا فسكن قلبهم عند رؤية تلك العلامة ، من تلك الصورة التي سماها سكينة . وان السكينة المطلوبة انما محلها القلوب. فلم يجعل لهذه الامة علامة خارجة عنهم على حصولها . فليس لهم علامة في قلوبهم سوى حصولها . فهي الدليل على نفسها ، ما تحتاج الى دليل من خارج ، كما كان في بني اسرائيل . فبدء السكينة قد بيناه .

واما السكينة ، فهي الأمر الذي تسكن له النفس لما وعدت به ، او لما حصل في نفسه من طلب امر ما . وسميت سكينة ، لأنها اذا حصلت قطعت عنه وجود المحبوب الى غير

(السؤال الثامن والعشرون) : وما العدل[٦٨] .

ما سكنت اليهِ النفس . ومنه سمو السكين سكيناً ، لكون صاحبه يقطع بهِ ما يمكن قطعهُ بهِ . وهذا اللفظ مشتق من السكون ، وهو الثبوت وهو ضد الحركه ؛ فان الحركة نقلة . فالسكينة تعطي الثبوت ، على ما سكنت اليهِ النفس ، ولو سكنت الى الحركة . هذا حقيقتها . ولا يكون ذلك إلّا عن مطالعة او مشاهدة فتنزل عليهم ، وهم مؤمنون ؛ فتنقلهم بنزولها عن رتبة ما كانوا به مؤمنين الى مقام معاينة ذلك . وهو تضاعف ايمانهم بالعيان . « ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم » . الا ترى الى قولهِ تعالى : « اذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ألا ان الامنة هي السكينة لا غيرها . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! »

(فتوحات : ٢ : ٥٩—٦٠)

٦٨) « الجواب : هو الحق المخلوق بهِ السموات والأرض وما بينهما » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٣ ب) .

« الجواب هو الحق المخلوق به الساوات والأرض . فسهل بن عبد الله وغيره يسميهِ العدل ، وابو الحكم ، عبد السلام بن برجان يسميهِ الحقّ المخلوق بهِ . لأنهُ سمع الله يقول : « ما خلقناهما الّا بالحقّ » ، « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الّا بالحق » ، « وبالحق انزلنا » . اي بما يجب لذلك المخلوق مما تقتضيه حالهُ (الاصل: حالة) خاصةً ، بقولهِ تعالى : « ثم هدى » اي بين انه اعطى كل شيء خلقه ، اي ما خلقه الا بالحق ، وهو ما يجب له .

فالعالِم على الحقيقة هو الله ، الذي علم ما تستحقهُ الأعيان في حال عدمها الاصلي وميز بعضها عن بعض ، بهذه النسبة الاحاطية . ولولا ذلك ، لكانت نسبة الممكنات في قضية العقل ، فيما يجب له من الوجود ، نسبة واحدة . وليس الأمر كذلك . ولا وقع كذلك . بل علم ، سبحانه ، (ان) ما يتقيد من الممكنات في وجوده بأمس ، لا يمكن عنده ان يوجده اليوم ولا في غد . فانه من تمام خلقه تعيين زمانه ، وهو القدر : وهي الاقدار ، الى مواقيت الايجاد .

فهو ، سبحانه ! يخلق من غير حكم قدر عليهِ في خلقه . والمخلوقات تطلب الاقدار بذاتها . فأعطى كل شيء من زمانه فيمن يتقيد وجوده بالزمان ؛ ومن حاله فيمن يتقيد وجوده بالحال ؛ ومن صفته فيمن يتقيد وجوده بالصفة .

فان قلت فيه : مختار ، صدقت . وان قلت : حكيم ، صدقت . وان قلت : لم يوجد هذه الامور على هذا الترتيب الّا بحسب ما اعطاه العلم ، صدقت . وان قلت : ذاته اقتضت ان يكون خلق كل شيء على ما هو عليهِ ذلك الشيء ، في ذاته ولوازمه واعراضه ،

(السؤال التاسع والعشرون) : وما[ف] فضل[ق] بعض[ك] النبيين[ل] على بعض ، وكذلك[م] الاوليا.[٦١] ؟

لا تتبدل ولا تتحول – ولا في الامكان أن يكون ذلك اللازم او العارض لغير ذلك الممكن – صدقت . فبعد ان اعلمتك صورة الأمر ، على ما هو عليه ، فقل ما تشاء . فان قولك من جملة « من اعطى خلقه » في ظهوره منك ، فهو من جملة الأعراض في حقك . ولهُ صفة ذاتية ولازمة وعرضية ، من حيث نفسه . فاعلم ذلك !

واما تحقيق هذا الاسم لهذه النسبة، فاعلم ان العدل هو الميل . يقال : عدل عن الطريق ، اذا مال عنه ؛ وعدل اليه ، اذا مال اليه . وسمي الميل الى الحق عـدلاً ؛ كما سمي الميل عن الحق جورًا . بمعنى ان الله خلق الخلق بالعدل ، اي انّ الذات لها استحقاق، من حيث هويتها ؛ ولها استحقاق من حيث رتبتها : وهي الالوهية . فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الالوهية ، التي تطلب المظاهر لذاتها – سمي ذلك عدلاً ، اي ميـلاً من استحقاق ذاتي الى استحقاق الاهي ، لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه . ومن اعطى المستحق مـا يستحقه ، سمي عادلاً ؛ و(سمّي) عطاؤه عدلاً وهو الحق . فما خلق الله الخلق الّا بالحق ، وهو اعطاؤه خلقه ما يستحقونهُ . وليس وراء هذا البيان وبسط العبـارة ما يزيد عليها في الوضوح ! » (فتوحات : ٣ : ٦٠)

٦٩) الجواب : هي مفاضلة ترجع الى السواء (في الاصل: السوا) : فعند هذا ما ليس عند هذا ، كما عند هذا ما ليس عند هذا . فكل واحد منهم فاضل مفضول .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤أ) .

« الجواب : قال تعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا » . وقال في حق الناس : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » . هذا عموم في الناس . فدخل الأولياء في عموم هذه الآية . وقال في حق المؤمنين والعلماء : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .

فاختلف اصحابنا في مثل هذا . فذهب ابن قسي الى ان كل واحد منهم فاضل مفضول : فضل هذا بأمر ما ، وفضله المفضول من ذلك الأمر بأمر آخر . فهو فاضل بوجه ومفضول بوجه ، لمن فضل عليه . فأدّى الى التساوي في الفضيلة . فصاحب هذا القول مـا حرر الأمر على ما يقتضيه وجه الحقّ فيه . وذلك ان تنظر المراتب . فان كانت تقتضي الفضيلة ،

ف وقد V . ق + الله V .
ك – V . ل + بعضهم V .
م فكذلك V .

فتنظر اية مرتبة هي اعم من الاخرى واعظم : فالمتصف بها افضل . ففضل ارباب المراتب بفضل المراتب . فقد يزيد ويفضل بعض الناس غيره بشيء ما فيه ذلك الفضل . فان الفضل ، في هذا الوجه ، لا ينظر من حيث انه زيادة ، ولكن ينظر من حيث اعتبار زيادات لما شرف في العرف والعقل . كالعلم والنجارة والخياطة ؛ والعلم بالاحكام الشرعية ، والعلم بما ينبغي لجلال الله . وكل واحد لا يعلم علم الآخر . فيقال : قد فضل النجار على الموحد بالدليل بالنجارة . هذا لا يقال على جهة الفخر والمدح ، بل على جهة الزيادة . ويقال : فضل العالم بالله النجار على طريق الشرف والفخر . فمثل هذه المفاضلة هي التي تعتبر . وهي ان يزيد كل واحد على صاحبه برتبة تقتضي الحق والشرف . فهذا معنى قوله (تعالى) : «فضلنا بعض النبيين على بعض» بما يقتضيه الشرف .

ونحن نجمع الى ذلك الزيادة ، فنقول في قوله : «فضلنا بعض النبيين على بعض» اي جعلنا عند كل واحد من صفات المجد والشرف ما لم نجعل عند الآخر . فقد زاد بعضهم على بعض في صفات الشرف . والمراتب التي فضلوا بها بعضهم على بعض ما فيها مفاضلة عندنا ، لارتباطها بالاسماء الالهية والحقائق الربانية . ولا تصح مفاضلة بين الاسماء الالهية لوجهين : الواحد ، ان الاسماء نسبتها الى الذات نسبة واحدة فلا مفاضلة فيها . فلو فضلت المراتب بعضها بعضاً ، بحسب ما استندت اليه من الحقائق الالهية ، لوقع الفضل في اسماء الله فيكون بعض الاسماء الالهية افضل من بعض . وهذا لا قائل به عقلاً ولا شرعاً . ولا يدل عموم الاسم على فضله ، لان الفضيلة انما تقع فيما من شأنه ان يقبل ، فلا يتمحل في القبول ؛ او فيما يجوز ان يوصف به ، فلا يتصف به . والوجه الآخر ، ان الاسماء الالهية راجعة الى ذاته ، والذات واحدة . والمفاضلة تطلب الكثرة ، والشيء لا يفضل نفسه . فاذن ، المفاضلة لا تصح . فمقول «فضلنا بعض النبيين على بعض» اي اعطينا هذا ما لم نعط هذا ؛ واعطينا هذا ايضاً ما لم نعط من فضله ، ولكن من مراتب الشرف . «فمنهم من كلم الله» ، «وآتينا عيسى بن (الاصل : ابن) مريم البينات وايدناه بروح القدس» . فمنهم من فضل بأن خلقه بيديه واسجد له الملائكة . ومنهم من فضل بالكلام القديم الالهي ، بارتفاع الوسائط . ومنهم من فضل بالخلة . ومنهم من فضل بالصفوة ، وهو اسرائيل يعقوب . فهذه كلها صفات شرف ومجد . لا يقال : ان خلقه اشرف من كلامه ؛ ولا ان كلامه افضل من خلقه بيديه . بل كل ذلك راجع الى ذات واحدة ، لا تقبل الكثرة ولا العدد . فهي بالنسبة الى كذا مالكة ؛ وبالنسبة الى كذا عالمة الى ما نسبت من صفات الشرف . والعين واحدة !

واما المسألة الطفولية ، التي بين الناس واختلافهم في فضل الملائكة على البشر — فاني سألت عن ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الواقعة . فقال لي : ان الملائكة افضل . فقلت : يا رسول الله ، فان سئلت ما الدليل على ذلك فما اقول ؟ فأشار اليّ ان

(السؤال الثلاثون) : وهخلق الله الخلق في ظلمة »(٧٠) ؟

قد علم اني افضل الناس ، وقد صح عندكم وثبت ، وهو صحيح ، اني قلت عن الله تعالى : « انه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم » . وكم ذاكر لله ، تعالى ذكره ! في ملاء انا فيهم فذكره الله في ملاء خير من ذلك الملأ ، الذي انا فيهم . سرنا مرزت بشيء مسرورة بهذه المسألة . فانه كان على قلبي منها كثير . وان تدبرت قوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » .

وهذا كله بلسان التفصيل . واما جهة الحقائق فلا مفاضلة ولا افضل . لارتباط الاشخاص بالمراتب وارتباط المراتب بالاسماء الالهية . وان كان لها الابتهاج بذاتها وكمالها ، فابتهاجها بظهور آثارها في اعيان المظاهر اتم ابتهاجاً لظهور سلطانها ، كما تعطى الاشارة في قول القائل المترجم عنها ، حيث نطق بلسانها من كنايته « نحن » ، المنزل عن الله في كلامه ، وهي تقتضي الكثرة :

نحن في مجلس السرور ولكن ليس الا بكم يتم السرور !

فمجلس السرور ، لها حضرة الذات ؛ وتمام السرور لها ما تعطيه حقائقها في المظاهر وهو قوله : « بكم » . وذلك لكمال الوجود والمعرفة لا لكمال الذات ، ان عقلت ! »

(فتوحات : ٢ : ٦٠-٦١)

٧٠) « الجواب : اذا كان خلق بمعنى قدّر ، فالظلمة (هي) العماء ، المنقول : ولا استوى ، اذ لا عرش .

واذا كان (خلق) بمعنى اوجد ، فالظلمة لكل موجود بحسب ذلك الوجود قال الله تعالى : « في ظلمات ثلاث » . وقد اكد تفسيرها المفسرون . فهذا اول وجودهم للدنيا . وكذلك اول وجودهم للبرزخ في الظلمة ، وكذلك اول وجودهم في الآخرة في الظلمة ، دون الحشر حين تبدل الارض غير الأرض والسموات . » (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{1}{٢٤٢}$).

« الجواب : هذا مثل قوله (تعالى) : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة » . فهذه انوار فيك ، تدرك بها الأشياء . فما ادركت الا بما جعل فيك . وما جعل فيك سوى أنت . فله – تعالى ! – مما انت ، الوجود . وأنت من ذلك الوجود ، المدرك به ، المعدوم ، الموجود . وما لا يتصف بالعدم ولا بالوجود ، وهو ادراك الافئدة ، مما ذكر . فالممكنات ، على عدم تناهيها ، في ظلمة من ذاتها وعينها . لا تعلم شيئاً ما لم تكن مظهراً لوجودة : وهو ما يستفيده الممكن منه . وهو قوله تعالى : « على نور من ربه » .

فخلق هنا بمعنى قدّر . قال تعالى : « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » . فقدّرهم ولم

يكونوا مظهرًا ، لكن كانوا قابلين لتقديره . فأول اثر الالهي في الخلق (هو) التقدير قبل وجودهم ، وان يتصفوا بكونهم مظاهر للحق . فالتقدير الالهي ، في حقهم ، كاحضار المهندس ما يريد ابرازه مما يخترعه في ذهنه من الامور . فأول اثر في تلك الصورة انما هو ما تصوره المهندس على غير مثال . وآية هذا المقام قوله : « يدبر الأمر يفصل الآيات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون » . اي انتقالكم من وجود الدنيا الى وجود الآخرة اقرب في العالم – ان كنتم موقنين – من انتقالكم من حال عدم الى حال وجود . فانتم في الظلمة فيكم ؛ وانتم في الوجود فيه . غير ان لكم انتقالات في وجوده ، وظلمتكم تستصحبكم لا تفارقكم ابدًا .

« وآية لهم الليل ، نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ! » ولم يقل : نجعلهم في ظلمة . بل زوال عين النور ، الذي هو الوجود ، هو عين كونكم مظلمين . اي تبقى اعيانكم لا نور لها ، اي لا وجود لها . ولو لم تكن الظلمة نسبة عدمية ، وهو كون ذواتكم العينية معدومة ، لكانت الظلمة من جملة الخلق . فكانت الظلمة تستدعي ان تكون في ظلمة . والكلام في تلك الظلمة كالكلام في الاولى ؛ ويتسلسل .

فان قوله : « خلق الله الخلق في ظلمة » ، قد يريد بالخلق هنا المخلوقات . والظلمة اذا كانت امرًا وجوديًا فهي مخلوقة ، فتكون ايضًا في ظلمة . واذا كان الخلق هنا مصدرًا ، كانه قال : قدر الله التقدير في ظلمة ، اي في غير موجودين ، يعني تلك الاعيان . وانظر في قوله تعالى : « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » .

ثم ان الله تعالى ، في الوجود الاخروي ، اذا اراد تبديل الارض كان الخلق في الظلمة دون الجسر . فالظلمة تصحبهم بين كل مقامين ، اذا اراد الله ان يوجدهم في عالم آخر ، اي ينشئهم نشأة اخرى ، لم تكن في اعيانهم ، فيعلمون بتغير الاحوال عليهم انهم تحت حكم قهار . فيكونون في حال وجودهم مثل حالهم في العدم . ولهذا نبه الحق سبحانه عقولنا بقوله تعالى : « اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئًا » اي قدرناه في حال شيئيته ، المتوجه عليها امره ، الى شيئية أخرى ، لقوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه » يعني في حال عدمه ، ان نقول له : « كن » كلمة وجودية من التكوين . فسماه شيئًا في حال لم تكن فيه الشيئية ، المنفية بقوله : « ولم تك شيئًا » . فلا بد ان يعقل العارف ما الشيئية الثابتة له في حال عدمه في قوله : « انما قولنا لشيء » ، وما الشيئية المنفية عنه في حال عدمه في قوله : « ولم تك شيئًا » . فالظلمة التي خلق الله فيها الخلق نفى هذه الشيئية عنهم . والنفي عدم محض لا وجود فيه . وقد ذكر المفسرون معنى قوله : « في ظلمات ثلاث » ؛ وليس المقصود الّا ما ذكره صاحب السؤال . واما الآية فمعلوم امرها عند العلماء في خلق مخصوص وهو الخلق في الرحم لا غير . » (فتوحات ٢ : ٦١–٦٢)

هذا ، وحديث « خلق الله الخلق في ظلمة » روى في الموطأ (صلاة ٢٠) .

(السؤال الحادي والثلاثون) : وما قصتهم هناك[٧١] ؟

٧١) « الجواب : حتى لا يكون لهم نور الّا من ذواتهم . كما قال تعالى : « نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم » . وفيه يمشون : « ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور » . وقد عاينت هذه الظلمة وهذا النور ؛ وانبساطه من الاشخاص . ومنه الكثير ، ومنه القليل ، على قدر ذلك الشخص من الايمان . ولما عاينت هذه الظلمة ، جاء رسول الله ، من الحق اليهم فسألته انا . من أنت ؟ فقال انا رسول الحق . فقلت له : فما جئت به ؟ فقال : اعلموا ان الخير في الوجود والشر في العدم ؛ اوجد الانسان بجوده ، وجعله وحدانيًّا في وجوده . تخلق باسمائه وصفاته ، وفنى عنها بمشاهدة ذاته . فرأى نفسه بنفسه ، وعاد العود الى أسه : فكان هو ، ولا انت ! ثم انصرف . وكان ممن رأيت في تلك الظلمة ابا عبدالله محمد الخياط ، المعروف بالقصّار ؛ واخاه ابا العباس احمد الحريري ، الامام بمسجد ابن البلان ، بزقاق القناديل ، من مصر ؛ وابا محمد عبد الله بن الاستاذ الموروري (في الاصل : المروري) ، من خواص ابي مدين وابي عبدالله محمد الهاشمي البكري . و(رأيت) انوارهم تنبعث على قدرهم . فذكرت للجماعة ، التي كنت فيهم ما رأيت ؛ فشكروا الله تعالى . ثم اني اضطجعت انا والجماعة . فاخذت انظم ابياتًا فيما رأيته في توحيد الله تعالى ؛ وذلك في نفسي . فاستيقظ عبدالله الموروري (في الاصل: المروردي) وصاح بي . فلم اجبه. وتراقدت . فقال لي : لا تتراقد ، فانك يقظان ! وانت تشتغل الآن بأبيات تنظمها (في الاصل: تنطها) في توحيد الله تعالى . فقلت له : صدقت ، ولكن اخبرنا من اين لك هذا ؟ فقال: مبشرة رأيتها : رأيتك تعقد شبكة حسنة . فاستيقظت . فأولتها نظم ما هو منثور من الكلام ، وهو الشعر الموزون . والشبكة لا يصادفها الجماد ولا الموات ، وانما يصادفها ذو روح . ولا يكون شعر فيه روح الا في التوحيد . فان « كل شيء هالك الا وجهه » . فقلت له : نامت عينك ! فما كان ابركها من ليلة وجماعة ! » (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٤أ-٢٤٤ب).

« الجواب : قصتهم هناك الانتظار لما يكسوهم الحق من حلل نور الوجود . لكل مخلوق نور على قدره ، ينفهق منه . وهو النور الذي يمشون فيه يوم القيامة . فان يوم ليس له ضوء ، جملةً واحدة . والناس لا يسعون فيه الا في انوارهم . ولا يمشي مع أحد منهم غيره في نوره . كما قال ، عليه السلام : « بَشّر المشّائين في الظلم الى المساجد بالنور التام ، يوم القيامة » . وهو الجمع بين النورين : بين نورهم المبطون في أعيانهم ، الظاهر هناك ؛ وبين النور المبطون في ظلمة الليل ، الذي ينوب عنه السراج في نفي تلك الظلمة عن طريق الماشي . والمسجد بيت الله ، يسعى اليه لمناجاته . كذلك هذا النور ، لا يكون لهم الا في الوقت الذي يدعون فيه الى رؤية ربهم ، الذي ناجوه هنا . فيمشون ، في ذلك

الوقت ، في النور الذي كان مبطونًا في الظلمة . التي سعوا فيها في صلاة الصبح والعشاء الى المساجد .

وانتظارهم هو انتظار حال ؛ فانهم غير موصوفين في تلك الظلمة بالعلم . لان الاتصاف بالعلم تابع للوجود ، وهم غير موجودين . بل هم في شيئيتهم ، القابلة لقول التكوين . ولما جعل الظلمة ظرفًا للخلق كذلك ، قال : « هناك » ؛ فأتى بما يدل على الظرف : فهم قابلون للتقدير .

وان كان قوله : «في ظلمة» في موضع الحال من الخالق — فيكون المراد به «العماء». «الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء» ، الذي اثبته رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . بهذه الصفة للحق تعالى ، حين قيل له : « اين كان ربنا ، قبل ان يخلق الخلق ؟ — فقال ، صلى الله عليه وسلم : كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء » . فله الثبوت الدائم ، لا على هواء ولا في هواء . فان السؤال وقع بالاسم « ازب » ومعناه الثابت . يقال : رب بالمكان ، اذا اقام فيه وثبت . فطابق الجواب .

ولم يصف الحق نفسه في مخلوقاته إلّا بقوله : « يدبر الامر ، يفصل الآيات » . وقال : «وكذلك نصرف الآيات» . فتخيل من لا فهم له تغير الاحوال عليه ، وهو يتعالى ويتقدس عن التغيير . بل الحالات هي متغيرة ، وهو يتغير بها . فانه الحاكم ، ولا حكم عليه . فجاء الشارع بصفة الثبوت ، التي (الاصل: الذي) لا تقبل التغيير . فلا تصرف آياته يدُ الاهواء ، لان عماءه لا يقبل الاهواء .

وذلك « العماء » هو الامر الذي ذكرنا انه يكون في القديم قديمًا وفي المحدث حادثًا . وهو مثل قولك : في الوجود اذا نسبته الى الحق ، قلت : قديم . واذا نسبته الى الخلق ، قلت : محدث . « فالعماء » من حيث هو وصف للحق ، هو وصف الاهي ؛ ومن حيث هو وصف للعالم ، هو وصف كياني . فتختلف عليه الأوصاف لاختلاف أعيان الموصوفين .

قال تعالى ، في كلامه القديم الازلي : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » : فنعته « بالحدوث » ، لانه نزل على محدث ؛ لانه حدث عنده ما لم يكن يعلمه : فهو محدث عنده ، بلا شك ولا ريب . وهذا الحادث ، هل هو محدث في نفسه ؟ أو ليس بمحدث ؟ فاذا قلنا فيه : انه صفة الحق ، التي يستحقها جلاله — قلنا بقدمها بلا شك ؛ فانه يتعالى ان تقوم الصفات الحادثات به . فكلام الحق قديم في نفسه ، قديم بالنسبة اليه ؛ (لكنه) محدث ايضًا ، كما قال عنه من انزل عليه . كما انه ايضًا من وجوه قدمه نسبته الى الحدوث ، بالنظر الى من انزل عليه . فهو الذي ، ايضًا ، اوجب له صفة القدم : اذ لو ارتفع الحدوث من المخلوق لم تصح (الاصل يصح) نسبة القدم ولم تعقل . فلا تعقل النسب ، التي لها اضداد ، الا بأضدادها .

(السؤال الثاني والثلاثون) وكيف صفة المقادير[٧٢] ؟

(السؤال الثالث والثلاثون) : وما سبب علم القدر، الذي طوى عن الرسل

فقصة الخلق في الظلمة : التميز والقبول في الأعيان لظهور الحق في صور الوجود لهذه الأعيان . » فتوحات ، ٢ : ٦٢-٦٣ ،

٧٢) « الجواب : تعيين الاوقات ، التي فيها جريان الحكم والقضاء . وقد بينا هذه المراتب في كتاب « المعرفة » . وهذا النعت ذكرها سهل بن عبد الله ، فيما نقل عنه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٦ ب) .

« المقادير هي الصفات الذاتية للاشياء ، فلا صفة لها . فهي الحدود القائمة من غير متصف بها ان تكون صفة لغيره . وعندي في حد الحد نظر . فان اراد بقوله : صفة المقادير النعت – ويجعله صفة من حيث انك نعبر عنها بأمر هو عينها بعد علمك بهذا – فقل : ان هذا صفة المقدار . وان اردت الحقيقة فلا صفة للمقادير لان الشيء لا يكون صفة لنفسه .

فان قلت : فالصفات النفسية ما هي بأمر زائد على الذات ؟

قلنا : صدقت !

قال : فاذن ، قد وصفت الشيء بنفسه .

قلت : ان كان غير مركب فالوصف فيه عين اطلاق لفظ يكون شرحاً للفظ آخر عند السامع يقع به الافهام عنده . وان كان الشيء مركباً فذلك الوصف للمجموع . وحكم الشيء من كونه مجموعاً غير حكمه من كونه غير مجموع . فانت انما ذكرت (من) آحاد ذلك المجموع ، المعقول من هذه الجمعية ، امراً ما هو عين كل مفرد من هذا المجموع . فهذا الشيء ، الموصوف بصفاته النفسية انما تلك اسماء آحاده . ألا ترى ان الذات لا توصف وأساً ؟ فانها لذاتها هي ذات ، ولذاتها لا تقبل الوصف .

ثم لما قلت : الله ، من حيث المرتبة ، استحق ان يوصف من حيث هذا الاسم ، بما يطلبه هذا الاسم من الحقائق التي نعيتها المحدثات ، المعبر عنها بالاسماء . فما ثَمّ شيء يوصف بنفسه إلا من حيث شرح لفظ بلفظ آخر . ولذا قسّمنا الحدود الى ثلاث مراتب : ذاتية ورسمية ولفظية .

فالمقادير جمع مقدار . والاقدار جمع قدر . فلا يلتبس عليك المقادير بالأقدار . فبعض المقادير محل تأثير الاقدار ، فاعلم ! فحدود الامور الذاتية عين مقاديرها . فالوزن القدر . والموازين المقادير ؛ وبها توزن الأشياء . فالامور لا تعلم الا بحدودها . ومن لا حدّ له فذلك حدّه ، فقد علم . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٣)

فمن[ن] دونهم (٧٢) ؟

٧٣) « الجواب : ظهور المقدر . والمقدر معلوم من حيث حقيقته ؛ وانما طوى منه علم القدر بكذا وكذا . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٤ ب) .

« الجواب : في السؤال حذف . وهو ان يقول: ما سبب طيّ علم القدر ، الذي طوى عن الرسل فمن دونهم ؟ فان كان هذا الرجل يقول بفضل افضل البشر على افضل الملائكة ، فكأنه قال : الذي طوى عن كل ما سوى الله . وان كان يرى ان افضل الملائكة افضل من أفضل البشر ، فقوله : « فمن دونهم » لا يلزم ان من هو افضل من الرسل (ان يكون) طوى عنه علم القدر . فقد يمكن ان يكون من هو اعلى يعلم ذلك . فبقي الجواب عما يقتضيه الامر في نفسه : هل ثَمَّ من يَعلم علم القدر ام لا ؟ — قلنا : لا ، ولكن قد يعلم سرّه وتحكّمه في الخلائق . وقد أعلمنا به فعلمناه ، بحق الله .

وان مظاهر الحق في اعيان الممكنات ، المعبر عنها بالعالم ، هي آثار القدر وهي علامة على وجود الحق . ولا دليل ادل على الشيء من نفسه . فلم يعلم الحق بغيره ، بل عم بنفسه . ونسبة الوجود الى هذه الاعيان ، قد قلنا ان ذلك اثر القدر . فنعلم القدر بأثره ؛ ونعلم الحق بوجوده . وذلك لان القدر نسبة مجهولة خاصة ، والحق وجود . فيصحّ تعلّق العلم بالحق ولا يصح تعلق العلم بالقدر . فانّ علمنا بظهور المظهر في العين هو عين علمنا بالحق . والقدر مرتبة بين الذات وبين الحق . (فهو) من حيث ظهوره لا يعلم اصلاً . وحكمهُ في المظاهر حكم الزمان في عالم الاجسام ؛ فلهذا يطلقهُ ، اكثر المحققين ، على الاوقات المعقولة.

وقد اعلمناك ان الزمان نسبة معقولة غير موجودة ولا معدومة ؛ وهو في الكائنات . فالوقت أعز مقاماً في امتناع العلم او تصوّره به . فلا ينال ابداً . وقد كان العُزَيْر ، رسول الله ، عليه السلام ! كثير السؤال عن القدر . إلى أن قال له الحق تعالى : « يا عزير ، لئن سألت عنه لامحونّ اسمك من ديوان النبوّة » .

ويقرب منه السؤال عن علل الأشياء في تكويناتها . فأفعال الحق لا ينبغي ان تعلّل . فانه ما ثَمّ علة موجبة لتكوين شيء إلا عين وجود الذات وقبول عين الممكن لظهور الوجود . فالأزل لا يقبل السؤال عن العلل . وان ذلك لا يصدر الا من جاهل بالله !

فالسبب الذي لاجله طوى علم القدر هو ان لهُ نسبة الى ذات الحق ونسبة الى المقادير . فعزّ ان يعلم ، عزّ الذات ؛ وعزّ ان يجهل لنسبة المقادير : فهو المعلوم المجهول ! فأعطى التكليف في العالم ؛ فاشتغل العالم بما كلفوا ، ونهوا عن طلب العلم بالقدر . ولا ينعم الا بتقريب الحق ، وشهوده شهوداً خاصاً لهذا العلم ، المسمى قدراً .

ن : ٧ .

(السؤال الرابع والثلاثون ولأيّ[*] شيء طوي(٧٤) ؟

فأولياء الله وعباده لا يطلبون عِلْمَهُ للنهي الوارد عن طلبه . فمن عصى الله وطلبه من الله – وهو لا يعلم بالنظر الفكري – فلم يبقَ الا ان يعلم بطريق الكشف الإلهي . والحق لا يقرب من عصاه بمعصيته . وطالب هذا العلم قد عصاه في طلبه . فلا ينال من طريق الكشف . وما ثمَّ طريق آخر يعلم به علم القدر . فلهذا كان مطويًا عن الرسل فمن دونهم .

وان نزع احد الى ان السائل اعتبر بسؤاله معنى الرسالة : فمن حيث انهم رسل طوى عنهم في هذه المرتبة ؛ ومن دونهم من ارسل اليهم . وذلك هو التكليف . فسد الله باب العلم بالقدر في حال الرسالة . فان علموه ؛ فما علموه من كونهم رسلاً بل من كونهم من « الراسخين في العلم » . فقد ينال على هذا . لولا ما بيناه من ان مرتبته بين الذات والمظاهر . فمن علم الله علم القدر . ومن جهل الله جهل القدر . والله ؛ سبحانه ؛ مجهول : فالقدر مجهول . فمن المحال ان يعرف المألوهُ الله ؛ لانه لا ذوق له في الالوهية : فانه مألوه . ولله ذوق في المألوهية ؛ لكونه يطلبها في المألوه كما يطلبه المألوه . فمن هناك وصف الحق نفسه بما وصف به مظاهره : من التعجب والضحك والنسيان وجميع الاوصاف التي لا تليق الا بالممكنات .

فسرّ القدر عين تحكّمه في المقادير . كما ان الوزن متحكم في الموزون . والميزان نسبة رابطة بين الموزون والوزن ؛ بما يتعين مقدار الموزون ومقادير الموزونات على اختلافها . فالحق وضع الميزان وقال : « وما ننزلهُ الا بقدر معلوم » ويستحقهُ من انزل اليه . فكل شيء بقضائه : اي بحكمه ؛ وقدره : اي وزنه . وهو تعيين وقت ؛ حالاً كان وقتهُ او زمانًا او صفة أو ما كان .

فظهر ان سبب طيّ علم القدر سبب ذاتي . والأشياء اذا اقتضت الامور بذواتها لا لا للوازمها أو اعراضها لم يصح ان تتبدل ما دامت ذواتها . والذوات لها الدوام في نفسها لا لنفسها : فوجود العلم بها محال » . (فتوحات ؛ ٢ : ٦٣–٦٤)

٧٤) الجواب : للعجلة المركوزة في اصل النشأة ؛ وحب المدحة المجبول عليها الخلق ؛ من حقيقة قوله (صلى الله عليه وسلم) : « ما شيء احب الى الله من ان يمدح » . « وكان الانسان عجولاً » . غير ان سر القدر في الملائق يكشف لمن شاء الله » . (الجواب المستقيم ؛ ورقة ٣٦٤ ب – ٣٦٥ ا) .

« الجواب : هذا سؤال اختبار ؛ ان كان السائل عالمًا . فانه من المعلومات ما يعلل ؛ ومنها ما لا يعلل ؛ هذا في المعلومات ؛ فكيف ما لا يعلم ؛ كيف يصح ان يعلل الجهل به ؟! واما من يرى ان القدر معلوم لمن فوق مرتبة الرسل من الملائكة ؛ او من شاء الله من خلقه ؛

* لأي V .

الذي لا علم لنا بأجناس خلقه ، فيكون طيّهُ حتى لا يشارك الحق في علم حقائق الاشياء، من طريق الاحاطة بها . اذ لو علم اي معلوم كان بطريق الاحاطة من جميع وجوهه ، كما يعلمه الحق — لما تميز علم الحق عن علم العبد بذلك الشيء . ولا يلزمنا على هذا الاستواء فيما علم منه ، فان الكلام فيما علم منه على ذلك . فان العبد جاهل بكيفية تعلق العلم مطلقاً بمعلومه ، فلا يصح ان يقع الاشتراك مع الحق في العلم بمعلوم ما . ومن المعلومات العلم بالعلم . وما من المعلومات إلا وللقدر فيه حكم لا يعلمهُ الا الله فلو علم القدر علمت احكامه ؛ ولو علمت احكامه لاستقلّ العبد في العالم بكل شيء ، وما احتاج الى الحق في شيء ؛ وكان الغنى لهُ على الاطلاق . فلما كان الاس بعلم القدر يؤدي الى هذا طواه الله عن عباده ، فلا يعلم . فكل شخص في العالم على جهل من نفسه وعلم : فمن حيث جهله يفتقر ويسأل ويخضع ويتضرع ؛ وبعلمه بجهله يقع منه هذا الوصف .

هذا اذا اتفق ان يكون ممكناً العلم به ؛ وقد قررنا انه محال لذاته ، كما يعلم انه ليس للحق من الصفات النفسية سوى واحدة لأحديته : وهي عين ذاته . فليس له فصل مقوم يتميز به عما وقع له من الاشتراك فيه مع غيره . بل له الاحدية الذاتية ، التي لا تعلل ولا تكون علة : فهي الوجود ، وما هي .

ومن الاسباب التي لاجلها طوى علم ذلك عن الانسان ، لكون ذات الانسان تقتضي البوح به ، لانه اسنى ما يمدح به الانسان ولاسيا الرسل. فحاجتهم اليه آكد من جميع الناس ، لان مقام الرسالة يقتضي ذلك . وما ثَمَّ علم ولا آية أقرب دلالة على صدقهم من مثل هذا العلم . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما وصف ربه به ، مما اوحى اليه به : « انه لا شيء احب الى الله تعالى من ان يمدح » . ولا مدحة فوق المدحة بمثل هذا . ثم ان الله « خلق آدم على صورته » ، فلا شيء احب الى العبد من ان يمدح ويثنى عليه . واسنى ما يمدح به العبد العلم بالله ؛ وعلمهُ بالقدر علمهُ بالله . فلو فتح للعبد الانساني العلم بالقدر — وقد امر بالنجزة فيه وطيه عمن لا ينبغي ان يظهر عليه ، وكان الانسان وهو مجبول على حب المدح ، والرسالة تعطي الرغبة في هداية الخلق اجمعين ، ولا طريق للهداية اوضح من هذا الفن—فالذي كانوا يلقونه من الكتم من الالم والعذاب في انفسهم لا يقدر قدره . فخفف الله عن الرسل مثل هذا الالم فطواه عنهم .

فان جميع العالم ، ممن له قوة على ايصال ما في نفسه من الامور الى الخلق ، يكتمون علم مثل هذا وغيره اذا كان عندهم ،الا الجن والانس . فان النشأة من هذه القوى العنصرية تقتضي لهم ذلك . فمن كتم منهم فانما يكتم على كره ، مما ينبغي ان يمدح به اذاته . ولولا ان البهائم لم تعطَ لها قوة التوصيل لاعلمت بما تشاهده من الامور الغيبية ، التي امر الله من يعلمها بسترها : مثل خوار الميت على نعشه ، وعذاب القبر ، وحياة الشهداء . فكل دابة تسمعه ، وتصغي يوم الجمعة شفقاً من الساعة . ولكن لما كوشفت على مثل هذا اعطيت الخرس عن التوصيل . فكتمها الاشياء اضطراري لا اختياري . فطواه الله عن الثقلين لذلك ، فانه من الاسرار المكتومة . فهذا من الاسباب التي طوى لها علم القدر» (فتوحات ٣ : ٦٤—٦٥)

(يتبع)

وثائق تاريخية عن حلب

(جريدة ايام لم يكن بالعربية جرائد)

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش

١٨٤٥ — ١٨٥٠ وغيرها من المخطوطات

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[٩٤ٌ] الجمعة اكل قتله كوبا شكرالله وصار مات بالجدري للان مقدار ٢٥٠٠ من نصاره ويهود واسلام وعمال يصير سقوطات بالنفسا وكم واحدة قلبوا عن جورتهم . — الاحد اولها اجا ابن الشعراوي وللان ما واجهني ابوه .

في ٢٣ ت ت ١٨٤٥ في ١١ شرقي في ٢٣ ذو القعدة ١٢٦١

وباعوا الحنطة بيت شريف للبدار كل شنبل بيه غرش للفلاحين وعمال يبيعوها بالبلد شنبل ٨٥ غرش .

[٩٥ٌ] الاحد نقشة بنت فتح الله خياط لوسيا الى ابن موسى بهنا .

[٩٥ٍ] ١٠ ك ١ غ في ٢٨ ت ت ش ١٨٤٥

١١ ذو الحجة ١٢٦١ عبد الله اكبر عند الاسلام اجانا صنية من عند العطار المسلم .

[٩٥ٌ] ارسل المطران خانف والدي من شان اختي لابن الخوري عبدالله الاطرش .

[٩٦ٌ] هذه الجمعة طلبوا المطارين لعند الباشا فقرا قدامهم فرمان ان الخراج يلزم يلموه المطارين هكذا ارادة الشوكتلي (السلطان) بثلاثة اشهر اعلى وادنى واوسط كل شهر شكل وتم البنا على ذلك .

— الاحد اولها مرفع الميلاد شرقي ورفعنا مع الروم لان غالب اولادنا روم .

— والاثنين سافر كوريخ لانطاكية من باكر وكان معه قضيمة وابن حنا غزال العايدة .

[٩٦ ً] الثلاثا اول محرم ١٢٦٢ سنة مباركة . — الخميس رأس السنة ١٨٤٦ سنة مباركة وفايدة الخيرات ومدرة السرور والبركات . وهذه الجمعة ارسلوا باخذوا دفتر الخراج لكي يلموه فما دفعوه لهم بل عينوا حسن بك للم الخراج. — الثلاثا قعد عندي ابن نعوم شعراوي والنهر زاد شوي ونهارها صار هوا بارد ثقيل كثير مزعج ييبس الحجار وانا صايم مع الروم وعمال اصير رياضة معهم بكنيسة الروم .

[٩٦ ً] الخميس صار زلزلة بالليل . — والجمعة صباحاً صار واحدة بعد الشمس ولكن ما هم كبار . — والثلاثا ضاع جنح خاتمي الالماس وما نعرف اين وقع انشاء الله فدى عني ونبهوا كل الطوايف على طبخ الحلو والقراص بالمرافع لان صاير غلا (شنبل الحنطة بـ٩٠ غرش) وليس غلا بل قلّت كار وقات مسحوب وطلبوا المطارين للجمعيه وصار البنا ان حسن بك الذي تعين للخراج عمال يظلم . فبنا . عليه يلزم من كل طايفة قسيس يناظر بالسكان المعين للخراج ان كل من يستحق تذكره حسب شخصه يعطوه اياها بتناظرتهم وصار كذلك وتقدم من كل طايفة قسيس من السريان شاهد ومن الموارنة كلداني ومن الروم ابن الشماس ومن الارمن[1] . وتكلل عبدالله خوري على مرأة ارسان الاطرش وما اجت للبيت بل عند ابن الاسود قاعدة . — وهذه الجمعة فتح الله جهامي حط سطل عدته وصحن جنب باب الزقاق ودخل ليتهم فسرقوه المجتازون وضاع .

[٩٧ ً] — الاحد بعد الظهر ظهر نجم بالسما ويضوّي وانا ما شفته بل قالوا وغاب قبل العصر . — والثلاثا رأس السنة وانعزمت للغدا بيت الكبابه قراص الشيباني وكان نصري مريض وطلعنا مع الاولاد الى جبل النهر ورجعنا العصر. والـ ٧ مار انطونيوس ويوسف كوبا احسن من اول استراح الحمد لله على نعمه.

في ١٧ ك ت ١٨٤٦ غ في ٥ شرقي في ١٩ محرم ١٢٦٢

ودفعت للتوتنجي ١٠٠ غرش في بيته .

[٩٧ ً] — الجمعة قعد عندي ابن سالم .

---

١) اطلب كتابنا « وثائق تاريخية عن حلب » اخبار الموارنة ٣ ص ٤٩ وما بعدها .

في ٢٥ محرم ١٢٦٣ في ١٣ كـ٢ ١٨٤٦ غربي

[٩٧²] – الخميس اجا هجو من باريز الى مطران اثناسيوس تتونجي[١] من شدياق موراني وسافروا ملاقية وراح قحلة وشاهين ودفعت الفرده يوم الـ ٢ للعكاوي ١٠٠

١٢٦٣ في ٢٨ محرم ١٨٤٦ في ٢٦ كـ ٢ غربي

[٩٨¹] – الاحد تغديت عند فرنسيس عجوري – كنافه بلبه . – الخميس شرطت اختي كزه .

[٩٨²] – الجمعة فزتوا بيت كوبا سنبوسك (على الفقرا.).

– الاحد ٣ شباط شرقي ١٥ غربي ١٨٤٦ ١٩ صفر ١٢٦٣

[٩٨³] الخميس السكارى مـا سكرت بل فتحت لان الوقت كان غلا والنهار ذاته كان مبلبل ما في روحه من بكره للعربه ففتحت يكون معلوم.

[٩٩¹] – الاحد المرفع غربي ٢٣ شباط ١٨٤٦

– الاثنين عرس كركور غـال تلميذي وعرس جرجي حداد تلميذي.

[٩٩²] ٢ اذار ١٨٤٦

الاثنين شنبل الحنطة ١١٠ غروش ولا في موجود ويعـد العنا حتى يحصل وكان كل الاذى من الباشا والاعيان ودارت في البلاد كاظيتا [او جريدة] ان

ما دام عثمان باشا حاجز على القوت فقرا. رعاياه بدهـا اتموت

وغيرها :

ما دام حاكم حلب الباشا عثمان ترك الفقير يموت جوعـان

---

[١] هو احمد فارس الشدياق ١٨٠٦–١٨٨٨ وُلد في عشقوت لبنان وتوفي في استنبول – تعلم في مدرسة عين ورقة وسافر الى مصر ومالطة وتونس واقام في باريس وجوّل اوروبا . امتاز بمعرفته الواسعة في مواد العربية وسهولة اسلوبه في الانشاء . من مؤلفاته كتاب «الساق على ساق » – تقلب دينياً بين المسيحية المارونية والبروتستانية وبين الاسلام .

اما الهجو الذي اشار اليه نعوم البخاش فتجده في الصفحة ٦٦١ من الكتاب المذكور (طبعة باريس ١٨٥٥) وهو صادر عن لؤم وضغينة .

— السبت توفي شيخ الحارة وطلع عنده حنطة شنبل ٢٥ وغروش الف ١٠

[٩٩٢] — السبت خلصت رياضة مار فرنسيس لأن نظمناها بالبيت انا واهلي انشا. الله مقبولة .

[١٠٠١] — الخميس مات يوسف منش شماس المطران بولس [اروتين].

[١٠٠٢] ٢٣ آذار ١٨٤٦

— الاحد اجا البطرك جروه من الشام . و الـ ٤ ولدت مرأة نعوم غزالـه وجابت صبي . — الجمعة عض الجحش لانطون مغزبيه جرك يده . وولدت بنت الدلال مرأة الوكيل وجابت صبي . وعمدوا ابن السايغ وسموه جبرا .

[١٠٠٣] الاحد رسم البطرك قس جبرائيل دباط وباسيليوس وجروه وياقين وشلحد ٥ خوارنه . — السبت الحنطة من ١١٠ الى ١٠٠ (الشنبل) .

[١٠١١] — الخميس تغير كيف والدي ضيقة نفس وانفصد وخرج دم اسود.

[١٠١٢] ١٣ نيسان ١٨٤٦ العيد الكبير غ في ٣١ اذار شرقي

— الاثنين رد سلام البطرك لنا وكان معه القواس لانه خدم قداس واين ما راح يدق العكاز قدامه الله ينصره . — وولدت مرات سالم بنت التاجر وجابت بنت .

[١٠١٣] — الاربعا اشتلقوا ان من على صورة مريم العذرا. راح طربوش ذهب وطواق ثلاث وحلاق ثلاث وخواتم ذهب ٢ ام ثلاث ونبهوا بالكنائس رواقع الشبه على واحد غريب . — السبت حصلوا النشله مع المذكور واخذوها وقاصصوه . — والجمعة اجا نعمة الله انطاكي من اسلامبول وانعزمت لنقشه بنت رعد برباره . الاولاد الذين حضروا ٥٥ اسبوعاً منذ الفصح الماضي :

٢ كبه ، كبابه ، ٣ كلداني ، ١ خوري س ، ٣ حبيب ، ١ حبيب ع ، ٢ جهامي ، ١ عجوزي ، ٢ عزوز ، ٢ عرقتنجي ، ١ عرقتنجي ، ١ انطاكي ، ١ انطاكي ، ٢ وكيل ، ٣ بليط ، ١ رعد ، ٣ بردخجي ، ٢ ضاهر ، ١ عجوري ، ١ عبد الله انطاكي ٢ سايغ ، ٢ قس نصرالله ، ١ كتر رعد ، ٢ دلال ، ١ زنده ، ٢ حمصيه ، ١ نجيم ، ١ زعد ، ١ حلاق .

وغيرهم حضروا اكثر من ٥٥ اسبوعاً :

بغدادي ، سابغ ، ميناس ، ابود ، فتال ، ملتك ، صندوق ، متنورا ، شمراوي ، حلاق ، سالم ، زمرود الخ .

وكان المجموع اجمالًا ٦٤ ولدًا .

[١٠٢'] — السبت سافر مخائيل ليان الى اسلامبول . — الاربعا بديو بالديوان حبيب وعرقتنجيات .

[١٠٢'] — الاحد رحت للسبوع ابن القصاب لبنت رعد وكان هوا بارد ودخلنا للبيوت والنوبة تدق في كل بيت فصل . (كان موكب العروس تتصدره النوبة واذا مرّ امام باب احد الاصدقا . دخل البيت لدقائق ثم خرج الى غيره والنوبة تدق) . — الخميس وجعني درسي وجبت قطنه من عند ابو الامانه شماس يوسف بشخنجي وطاب ونفض . — الجمعة وقعت بالفرشه والسبت كذلك وقلعته عند معلم اوديس ما ألمني ابدًا وخلصت من المه .

— الاحد ٣ ايار ١٨٤٦ في ٧ ج ١ ١٢٦٢

[١٠٢'] — الجمعة اخذت انكليزه من كور مصري . — الاثنين رحت باركت لفرنسيس كنيدر وكان عندهم عبرة عروس اختها بربارة مرأة القصاب .

[١٠٣'] — الخميس صار حركة بالبلد لاجل الحنطة والشعير يومها من ٤٥ نزل الى ١٦ . — والجمعة انباع ٣٥ والسبت من ٢٤ الى ٢٦ . وكان البيع غراض انفس على رأي المثل « تقاتلوا الحمير من سعد الركاب » .

[١٠٣'] ١٨٤٦ ٢٦ ايار

الـ ٢ اجا عبدالله كبابه من بغداد ومعه مرته وبيت احماه شمونه وصافي . والـ ٧ سافر عزوز الى بيروت مع بيكاوات الفرنج واجا نعوم بن حنا من خربوط . نظموا شورة الاعيان ورتبوا ان لا يكون فرده بل مثل سابق على الكارات فسمعوا البطرك والمطارين فرتبوا عرض حال ان لا يقبلوا هذا الرأي فان كان امر عالي على الرأس والعين وان كان لا فيعرضوا لاسلامبول وبقيت هكذا ومهما جد نذكره اي لا على الرقاب نكون بل التراب . واكل قتلة كيب من العسكر فاشتكا القنصل الانكليز للباشا فقدم مقدمهم اي العسكر براهيم باشا اسكوزه للقنصل ولكيب بدل النفر .

[١٠٣^٣] — الخميس حردوا اولاد البردخجي وراحوا عند قس انطانيوس لمدرسة الموارنة . — السبت رجعوا

الاحد ١٨٤٦ ٧ حزيران غ في ١٩ ايار شرقي في ١٣ ج ت ١٢٦٢ والحنطة ٥٠ من ٨٠ غرش .

[١٠٤^١] اجا مطران ابراهيم الارفلي قصده يصير كاثوليكي ومعه مطران سمنه الذي كان سابقاً قس يوسف سمنه هذا الذي برصن[١] وبعده صار يعقوبي حتى ارتسم مطران وبعده اجا يصير كاثوليكي والبطرك ما قبله .

[١٠٤^٢] ١٨٤٦ ١٤ حزيران غربي .

— الاحد ليلتها عرس مخائيل رعد وجبنا العروس بنوبة والعروس ما تركوها تبوس الايدين وكللوه مطرانين . — والخميس عزية بالليل ورحت وكنا نسا ورجال والعروس معنا وتمينا لبكره . — والاحد المطران ابراهيم قرا صورة ايمانه ونهارها ازمن قسيس ارمني ومرته واولاده مرأة نيقوغوص بنت الشماع والمطران سمنه . والسبت قرأ صورة ايمانه بالقلايه عند البطرك وقبل القصاصات المشروطة .

[١٠٤^٣] اجا يكتب ابن منصور بخاش ورحنا الى البستان عند كيخو .

الجمعة في ٣ رجب ١٢٦٢ في ٢٦ حزيران ١٨٤٦ غ

وهنا ينتهي الدفتر الاول .

١) اتبع مذهب برصوما محيي مذهب اوتيخا (راجع المنجد في الادب والعلوم) .

بدء الدفتر الثاني وفيه الاخبار

من ٤ تموز ١٨٤٦ الى ١ ايلول ١٨٥٥

[١٠٥ بيضاء] .

[١٠٦] قد ابتديت على خيرة الله تعالى وتوفيقه في هذا الدفتر المبارك يوم السبت الـذي هو اليوم الرابع من تموز غربي ١٨٤٦ الموافق ٢٢ حزيران شرقي السنة المذكورة الموافقة رجب ١١ سنة ١٢٦٢ هـ. جعله الله تعالى دفتر الخيرات ومورد السرور والنعم والبركات .

[١٠٦¹] — الاحد رحت الشيخ طاها واخذت انكليزية ٢ — الجمعة طلعوا بيت الاسود من بيت صادر وسكنو قدام بيت مشحور حوش العمة .

[١٠٦²] — الاثنين صارت فرجه على كلوتين بنت مولناري صبية عمرها سنة ١٦ الله يرحمها وكان معها يومها كل الاساقفة الكاثوليكية والقسوس كلهم والبطريك السريان جروه (والجنازة كانت تخرج من حيّ الشيباني حيث كانت كنيسة اللاتين فتمر « بالمدينة » ثم تخرج من باب الفرج وتمرّ في حي التلـل فتصير الفرجه عليها) .

[١٠٦³] — الجمعة انعزل عثمان باشا فصار سرعسكر على الروملّي والنهار ذاته مات انطون الراهب موتة الغفلة الله يرحمه . — والسبت رحت الى كور مصري واشترينا قلبه ابيض . — الجمعة توفي بازرجي جبرا رفيقي بالصيد .

[١٠٧¹] — الثلاثا انضرب طواب واجا منصب للباشا وقروا فرمانه وبظن نيشان السر عسكريه هكذا نخمن . — اكل قتلة سلمان (في المدرسة) واجت العصا على يده وصار مكانها ازرق ودهنوهـا خل وعرق واستراحت وكان قصده ما يجي ثاني يوم ولكن بغير قصد صارة فارسلوه قصداً .

[١٠٧²] — السبت مار اليـاس درت عيدت . — الجمعة اخذت صيدة مقدار ٩ اواق وبرخ مقـدار ٢ كرسين وقلوا الصيدة بيت فرنسيس عجوري وتعشينا عندهم .

[١٠٧'] — الاثنين اجا باشة اورفه حتى يتسلم حكم حين مجيئي الباشا المعين. — الخميس سافر عثمان باشا من حلب لانه صار سر عسكر ومحمد علي الآن باسلامبول عند عبد المجيد ومات بيك العادلية . — والسبت توفي شماس جبرائيل هدايا . — واجا فيليب كوسا من اسلامبول .

في ١٦ شعبان ١٢٦٣ في ٩ آب ١٨٤٦ غربي في ٢٧ تموز شرقي

[١٠٨'] — الثلاثا ٢ مرفع ورفعت مع الروم (لعيد السيدة) . — والاحد توفت ام مرأة عبدالله دلال وفرنسيس عجوري نزل من البستان .

[١٠٨'] انكسر خاتمي الالماس واعطيته الى كوسا فيليب حتى يسبغه وسمعت نهارها ان باشة حلب عثمان باشا الذي ذكرنا صار سر عسكر سموه ومات وما هو اكيدي . — الاثنين ولدت مرأت فتح الله عجوري وجابت بنت الساعة ٣ او ٤ من النهار .

في ٥ آب شرقي في ١٧ غربي ١٨٤٦ في ٢٥ شعبان ١٢٦٢

والخميس اكل علقه جبرا دلال وسافر داويد الصراف الى اسلامبول.

[١٠٨'] — الثلاثا اكل قتله سلمان البغدادي وباس البابوج .

[١٠٩'] ٣ ايلول ١٨٤٦

الخميس اجا يوسف باشا باشة حلب وانا ما رحت لاقيت بل كان بعض من الاولاد راحوا انصرفوا لملاقات الباشا ودخل من بوابة اغيُر لانه اجا على طريق كاز .

في ١٧ رمضان ١٢٦٢ في ٣ ايلول غ ١٨٤٦ في ٢٢ آب شرقي

ومعلمي شماس الياس هزاز مريض الله يشفيه ضور مرضه . الاثنين اجانا سفاية فستق من عند ميناس رطل ٣ . والثلاثا طلبوا كرزة اختي لابن ميناس يوسف ولكن هو ابن مظلوم . والاربعا اجا من عند المذكور قفة تين مقدار رطل ٣٢ . والجمعة عند شكري شدياق المساوية . والسبت توفت مرأة شماس يوسف ابو حنا الشماس جورج الله يرحمها بنت الكميكاتي . وايضاً توفت مرأة جرجي شعراوي بنت اسيون الله يرحمها .

[١٠٩^٢] الخميس ضيعت مرأة كوبا ذخيرة الحمل من ذهب ‹ Agnus Dei نوع من الشعائر التي يباركها الكاهن كالقون وتكون على كسم القلب الصغير) وطالعت منادي الحلوان ٣٠ غرش — انكسروا اولاد برغود على ١٩ الف ٠ وانكسر الفونس دوريكلو على ١٢٥ الف غرش . ورفول هندية على ١٢٠ . ولكن مو قوي اكيده نأكدها بعد .

[١٠٩^٣] ١٩ ايلول ١٨٤٦

الجمعة « اكل علقه (او الفلق) سليمان منظومه وانفعلت انا معه. » (يظهر ان المعلم نخاش قسّى قلبه وضرب ضرباً مؤلماً... — وان نستحسن دقة النحاش فيا كتب فنلومه على ما فعل ... وفي مدارس الفقراء لا يزال الفلق بالاستعمال الى يومنا) ^(١)^.

[١١٠^١] الاثنين عيد المسلمين رمضان اول يوم شوال ١٢٦٢ في ٢١ ايلول غربي في ٩ شرقي ١٨٤٦

[١١٠^٢] الثلاثاء ٢٩ ايلول ١٨٤٦

ولدت سوسان بنت عمي مرأة نعوم ضاهر وجابت بنت.

[١١٠^٣] واجت الحنطة من عند بردخجي شنبل ٣ . الـ ٧ انتها. السنة ١٩ وابتدا. ٢٠ لافتتاحي المكتب وعدد الاولاد ٥٥ . — السبت صار تعليم على جبل النهر عطش ناري . وسافر فتح الله باسيل وابنه نخائيل الى ازمير .

[١١١^١] — الاحد كان عرس اكوب السباغ الى بنت يوسف اسود .

[١١١^٢] — الثلاثا سافر شكرالله عجوري الى بيروت وكتبت له ورقة « رأس الحكمة مخافة الله » مشق تخين . — والاربعا طلب الباشا مطران الروم واحكى معه شي سري والمطران طلب جمية اساقفة حتى يحكي لهم ما قال له الباشا مع كل طايفة نفر ٢ وجوه وللان ما سمعنا الدعوى فقط حزرنا من اجل الفرده . (راجع كتابنا « وثائق تاريخية . . . اخبار الموارنة ٣ » ص ٤٩ . . .)

---

١) في مدرسة النصر حي الحميدية ١٩٤٥ كان يعلم السيد ر. ت. فشهد المدير ينصب الفلق لولد محني ويكيل بالعصا على رجليه حتى سال الدم ... وسأل المدير السيد ر. ت. ما رأيك ؟ فاجاب السيد ر. ت. وهو من متخرجي الجامعة اليسوعية: وكيف يرغب الولد بالمدرسة وفيها الفلق ؟

— الخميس صار ليلية عند مركوبلي . — الجمعة سمعنا ان وكلية النسا صارة لجكادري وزفعوها عن الياهر (بيچوتو) . واجا خبر فتح الله خوري من بغداد .

— السبت في ٢٤ ت ١ ١٨٤٦ في ١٢ ت ١ ش في ٤ ذي القعدة ١٢٦٢

[١١١ٞ]—الاحد تقاتل صادر ونصري كبابه عند نصري عجوري بالسهره.
الـ ٤ لعبنا بالفستق عند فرنسيس عجوري صادر وعزوز وبطرس حمصي.

[١١٢ٞ] الاثنين صبحت عروق رقبتي متمسكه وما اقدر ادير رقبتي لا هكذا ولا هكذا . — والياهر رفعوه عن قنصلية النسا وحققوا على صراف الصرايا سياهو قطلع عنده مبلغ فسمم خاله ومات واناس قالوا كذب . وذكروا ان صار بكلز ثلج وافر وبرعش برد مبحبح ومجلب لسا المطر غير مطره ما صار الله يفرجها على عبيده .

[١١٢ٞ] شكري كبه نزل شطفه على عينيه من الجمعة التي قبلها .

[١١٢ٞ] — الاربعا انفصدت ام حبيب عجوري لان نزل نزله عليها .

[١١٣ٞ] — السبت توفت كنة بيت الشماس بن المثلث وجابت صبي وقلبت عن الجوزه الله يرحمها .

عيداللّٰه اكبر في ١٠ ذي الحجة ١٢٦٣ في ٢٨ تشرين ٢ ١٨٤٦

— اولها سافر جرجي ميكايل الى كلز سعر بيت الخوري .

[١١٣ٞ] — الاربعا كان البربارة عزموني بيت كوبا للعشا . والـ ٦ اجا رمان ٢٥ من كلز من عند جرجس ميكاييل وتمشوا عندنا القاطرجيه الاثنين .

[١١٣ٞ] الاحد ٦ ك ١

اجا فتح الله اسود من مرعش . — الاثنين اجا قس نصرالله من الفباير . — الاربعا رفعنا مع السريان . — الخميس ماتت مرأة عبد الله دلال . وصار خبر ان البابا بيوس حبس ٧٢ كردينال(١) . وكمرك عربستان (منطقة حلب وما

١) حبس معناه ان البابا جمع الكرادلة في المجلس المغلق Conclave او الكونكلاف.
ومن المعلوم ان بيوس التاسع (ماستايفرتي) كان قد انتخب حبراً اعظم في ١٦ حزيران

اليها) اخذوه فتح الله غضبان الجلبي وابن كاترون ومنهم نعمة الله خوري والصراف . والكمرك اخذوه ٢١٠٠٠ الف كيس . والامير بشير اطلق الى برصه .

هو بشير الثاني الشهابي ١٧٦٧-١٨٥٠ ولد في غزير توفي في اسطنبول . امير لبنان . حالف محمد علي باشا على الاتراك ثم نفاه الانكليز الى مالطة ومنها الى تركيا حيث اقام في جوار السلطان مكرماً فزار برصه ومدن الاناضول وعاد الى استنبول وفيها توفي ودفن في مقبرة الارمن الكاثوليك . وسوف تنقل رفاته الى بيت الدين في ١٩٤٨ .

[١١٤١] السبت اول محرم ١٢٦٣ في ١٩ ك ١ ١٨٤٦

دفعت من كري حوش المدرسة الى حنا الاخرس وكيل وقف الموارنة ٣٣٠ غرشاً .

[١١٤٢] تغديت بيت كوسا وكان اجاهم سمكة من البحر .

[١١٤٣] انضرب تفل بغداد ١٥٠ جمل راح فيه ١٥٠ جمل وقتل واحد وواحد يهودي ومرته جايين لحلب عريس وعروس شلحوهم واشتكوا للباشا قال روحوا حصلوهم . — الجمعة رأس السنة ١٨٤٧

ارسلت الهدايا الى نوم البخاش ودون لانخنا دفتره على النسق الذي نشرناه سابقاً : [٦٣] و[٦٧] و[٧٨] .

[١١٥١] اجا يوم الاحد ميخائيل قرألي والياس ضوناته من ليكورنا وقرألي من استنبول . — اجت وكالة الفرنساوي لجفروا لان القنصل موسي جيس معزول بارادته للبلاد والى بيته . مات ثانية من النصارى : ابن انطون متري موت الغفلة عمره ١٦ وقس شكرالله حوا (كانت سيامته كاهناً في ١١ شباط ١٨٢٠) وجبرا غزال عمو شكرالله تاجر وغيرهم الله يرحمهم .

[١١٥٢] الاحد اجا دير دير بن مركار من اسلامبول ولاقوا له الارمن وجاب نيشان للمطران وله ولاخوه معه . امر ان يشيلوا عكا كثير بالازقة .

١٨٤٦ ويومها كان الكونكلاف ولم يكن اذ ذاك عدد الكرادلة الا ٦٢ اما نوم البخاش ويذكر في ١٠ ك ١ على ما سمعه ٧٢ فلعله اراد بالكونكلاف مجلس الكونسيستوار Consistoire الذي فيه يعين بيوس التاسع الكرادلة الجدد .

واما النيشان فارسلوه الى الباشا وبعـد يوم ٣ ارسل الباشا الى المطران قواس ان يأتي ويلبس النيشان فركب وراح ولبس ونزل قدامـه قواسه اثنين ودق الطبل والنوبات بالقلاية . ومساء بالليل صار حراقة جراقة وفتاش وغير ذلك والاسلام زايغين عن الوعي وسمعنا ان جاي فرمان بتعليق ناقوز كبير وبده يعلقه بامر عالي وما ارادوا بقية الروسا .

[١١٥٢] — الخميس اشتكيت على آكوبجان شكر لمطران الارمن لان المذكور ما عمال يعطيني اجرة اولاده . — الاحد تغديت بيت فرنسيس عجوري ضويو وكنافه بنارين بابه .

[١١٦١] وتغير كيفي من قبل الرشح . والاثنين كذلك . — والثلاثا رويت حالي للحكيم انطون جد . — والاربعا اكلت له بسمنه واكلت درهم ٢٠ معجون الورد وما طلعت . — والخميس اكلت ٣٠ درهم وما طلعت . والاولاد قلال قعدت بالفرشه . — ووصلني خلعة يوسف عزوز طاقـة حكير حكمايات ٨٠ او ٩٠ ش ملبوس الهنا .

[١١٦٢] — الاحد اولها رسموا قس عمانوئيل ورتبيد على ارفه . — الثلاثا ختموا دفتر الفرده حتى يامره وارادة اهل البلد ان يكون على الرقاب لا على التراب وبعـد يوم ٣ او ٤ لموا الاوراق . — السبت ابن نعوم عورتنجي صلى وطلع للعربة ركب فرس ورماه وعفسه وتوفي بعد المغرب بدقيقة عشرة . الله يرحمه والمذكور تعلم عندي القراءة وطلع بلا خلعه .

في ٦ شباط ١٨٤٧

وذكروا ان الحجاج انقرض نصفهم بمكة والمدينـة ومزاريب من هوا الاصفر فارسل الباشا يوسف باشا ترمازيني الحكيم والياكوسا وبعض من العسكر باشي يوزق حتى ينظموا كرنتينا وبعده ضعف الخبر ان نصفه كذب . والذين توفوا من الحجاج مقدار الف ٣٦٠٠٠ وطلعنا بعد الظهر الى التلة ورجعنا الساعة ١٠ عصمليه .

[١١٦٣] — الخميس كان عرس خالي كوريخ وجابوها بالليل وانفض العرس يومها مساء ونهارها كنت مسكر المكتب ومعزوم عنـد الخواجا فرنسيس

وعجوري من بكرا للمسا بالكتاب عند بيت حماه وكتير انبسطت نهارها . الاربا رحنا والاولاد بعد الظهر جبل النهر وصار مطر ورجعنا .

في ١٠ شباط غربي ١٨٤٧

[١١٧'] الاحد اولها المرفع سوا وفطرت بيت فتحالله عجوري ضوبر وبرغل وكنافه بلبه وكسحت الورد . ومسا، بالليل الساعة ٥ دقائق ٢٠ ولدت مرأة رزق الله حمصي بنت كوبا واتت بولد ذكر حسب حذري .

في ١٤ شباط غربي في ٢ شرقي ١٨٤٧ في ٢٨ صفر ١٢٦٣

وكان سمعان الشيخ شرقي ربنا يكملها بالخير ووالدي كيفه احسن . والخميس تغير كيف اختي مريم وشرطناها وصفرنت وثاني يوم احسن . وعبدالله دلال (وكيل طائفة الروم) له من ا ه السكارى مريض ذات المرض . والا؛ مات خوكاز دير اروتين اخو مرأة رعد والمذكوره مزمعه تروح للقدس مع ابنتها كتر الكسيحة . والاحد اولها نبهوا على غفران مثل الجيوبيليوم[1] الله يعطينا ان نكسبه بارادته .

[١١٧٢] — الاحد رحت وحدي الى النابي وجبت زهر عقابيه سنة مباركة. ورجعت مساء الساعة ٩ ورحت للكرز وبدي من يوم الاحد الغفران . وهذه الجمعة ٢ بادريه عمال يعترفوا جهارًا حتى يعرفوا الناس يعترفوا ومو قوي انشكر هذا الصنيع من الناس شي مو قوي كويس وبعده نذكره لاجل انهم قالوا لي مدة عشرة ايام ليصيروا هكذا (على نسق المحاضرة المتخاطبية بين الواعظ الاول والثاني) . — الثلاثا سافرت مرأة رعد وبنتها الى القدس الله يكون معها .

---

١) مثل جيوبيليوم (Jubilée) سبق نعوم البخاش وقال [٣٤١'] : « ان البابا طلب الى الطوائف الشرقية الصلوات لاجل اسبانيا لئلا يحدث فيها الانشقاق نتيجة الازمة السياسية التي كانت تجتازها . — ولعل هذه الصلوات « مثل الجيوبيليوم » سببها يكون الازمة السياسية التي حدثت اذ ذاك في رومة عند جلوس البابا بيوس التاسع على الكرسي الرسولي وكانت زوبعة الثورات تهدد اوروبا وخاصة فرنسة وايطاليا فتلجئ الحبر الاعظم الى الخروج من روما الى غايتا (Gaeta) :اطلب دانيال روبس « كنيسة الثورات » ص ٢٩ وما بعدها
Daniel-Rops: *L'Eglise des Révolutions*. Paris 1960

في ٢٣ شباط غربي ١٨٤٧ في ٨ ربيع الاول ١٢٦٣

[١١٧^٢] — الاحد تفرجت على تعليم عطش ناري بارض المشنقة وكان الباشا والعيان والقاضي وناس كتير. وانفض الساعة ٥ . ورحت للميدان وجبت شقرق ٨ وسمك درهم ٥ . — الا ٥ ولدة مرة جبرا بليط وجابت صبي .

في ٤ اذار غربي في ٢٠ شباط شرقي

الساعة ١١٨ من الليل قبل الشمس وبدينا رياضة مار فرنسيس بالبيت مع عيلتنا والاعتراف باقي هذه الجمعه ايضاً بل خلص . الا ٦ ومات نعوم توما زوج مدول بنت فتح الله بخاش وابن الجن .

[١١٨^١] — الاربعا توفي نعمة الله جنه بن شكري . والا ٦ توفت والدته .

[١١٨^٢] — الاحد رحت الى المشرح وبعده للتابي وبعده للقبار والقداس ورجعت المغرب ما رحت للكرز . — الجمعة مار يوسف رحت صبحية بيت حسون . — والثلاثا اجا جفروا من اللاذقية كنشلر الفرنساوي .

[١١٨^٣] — الخميس رحت وحدي الى القواس والعين واخذت مقدار اوقية ٤ وواحد عسكري نظام اخذ مني مقدار من السمك فرخ ٢ اكبر الموجود معي . — الثلاثا ضيعت كيس توتوني الاسود بالريحاوي وبعد يوم الاربعا سألت البستانية والقهواتي فما شافوا شي . وكل ليلة من هذه الجمعة عمال يصير مطر وافر .

الا ٦ ربيع الثاني ١٢٦٣ في ١٤ آذار شرقي في ٢٦ غربي ١٨٤٧

[١١٩^١] الاولاد ٤٤ حضروا طول السنة ٥١ اسبوعاً والباقون ١١ حضروا بين ٥٠ و١٤ اسبوعاً .

[١١٩^٢] الاحد عيد الكبير سوا .

في ٤ نيسان غربي في ٢٣ آذار شرقي ١٨٤٧ في ربيع الثاني .

— الا الساعة ٤ صار هوا زايد كثير جداً ورمى كل المشمش والجانرك وحرك كثير من الاثمار والاشجار . والا ٢ سافر عبدالله بابنسي على عرب عتره .

[١١٩^٣] الاحد اجا باشا ومعه عسكر نظام واسمه عمر باشا ومرسول

لنواحي موصل وبغداد ركبه على العرب وتزل في جبل النهر وارض المشنقة واستقام يوم الـ ٦ سافر وكل ليلة طوب ٢ وارده وصباح طوب ٢ شارده ونطرنا شعبيات بالحجازي وكان اولاد البليط والمبايجية وحسون وانا وكل واحد غرش ٣ بشاريه . واجا يكتب قدور بن النيال .

في ٢٨ ربيع الاول ١٢٦٣ في ١٣ نيسان غربي ١٨٤٧ -

واجا خبر من البابنسي ان العنزة حصروه بجبرين وقريباً يأخذوه فراح الباشا ومعه باشة النظام بالليل وكسروهم واخذوا بيوت اربع من العنزة مع بقرهـا وغنمها واهلها . والسبت اجوا اولاد الكلداني من مرعش وذكروا لجبرائيل انطاكي عن الرواح مع العسكر صراف ما راح .

[١٢٠١] عمال يأخذوا من الحمايات خراج باسر من صدر اعظم للباشا بان كل قنصل يكون عنده ترجمان ٢ وقواسه ٢ وخدام ٦ والباقي يأخذوا منهم فرده وخراج لان عند كل قنصل من ١٥ الى ٥٠ والساهر نحوث سافر الى الى الحامات بالعمق حتى يسبح في الماء . الكبريتي وحارة السيني فتحوها من قبل جمعة للعمارة الطاروق .

٢٥ نيسان ١٨٤٧

[١٢٠٢] جبنا جبنه وسيخناها ونظفنا كمك برقة جبنه وخبزته اختي بالتنور . — السبت راح البطرك بطرس جروه لعند الباشا لان اجا له نيشان الناس من السلطان عبد الحميد حتى يلبسه اياه وبعد نذكر عنه . والمقادسة عمال يجوا من القدس وسمعنا ان مرأة رعد نشلوا لها خرج واشتكت وحوشته وجابه .

[١٢٠٣] — الخميس بعد الظهر اجت مرأة رعد وبنتها من القدس وطالعنا لنا قمقم ومبخرة (هدية من القدس) . — اجا طباخ العرق طبخ دست طلع فطير قطع وراح .

[١٢١١] اجانا ارمغان من مرأة رعد صابون وصوارات ومشط ومسابح ٣ .

[١٢١٢] — الاربعا اجا رباط لبعض القسوس عن اعتراف العابدات وصار قرقعة من تحت رأسها . ومن الاثنين الى الجمعة عزلوا قود [مجرى نهر] الريحاوي (البستان) وقطعوا شجار مقدار من شروشهم وعزلوا النهر وعرضوه . — السبت

نزلت للمدينة وقطعت من عنـد قرألي ينش شال دراع ٥ كل دراع سعر ١٣ وطاقة بلوريه وطاقم كهربا ١٥ غرش والطاقة طلعت مبقعة .

[١٢١²] – السبت في ٢٩ ايار ١٨٤٧ في ١٥ جمادى الثاني ١٢٦٣

[١٢٢¹] السبت اكلوا قتلات فلق دلال جبرا وبردخجي انطون لاجـل انهم ضربوا بعضهم واخذت من مزاد جنه طشت وابريق استخلصه من طرف دين الذي عنده مقدار ٢٧٠ غرش وطلع نعوم سباغ الى(بستان) عبدي افندي.

— والاربعا راح خوري يوسف ياقين قدس عندهم بالبستان.

— الجمعـة طلعت من الزياح ورحت بيت كوبا وكانوا بالعويجي وقصفوا اوراق دوالي ومعي الاولاد ولادهم.

[١٢٢²] ١٠ حزيران ١٨٤٧

الخميس مسكوا العريس (جبرائيل انطاكي) وطالع خراجه ٦٤ اعلايـه والان عمال يأخذوا من الحمايات خراج وفرده باذن الباشا . والمـذكور كان ايكنجي ترجمان عند الفرنساوي وكان لويس حكيم ومثله انكليزي وسايس القنصل الانكليزي ايضاً محبوس وسمعنا طالع خراجه هو وحكيم وطلعوا يكون معلوم وهذه الجمعة حردوا اولاد البليط واولاد الخوري نصري وما عادوا اجوا

[١٢٢³] – الخميس مرفع الرسل ما صمنا مع السريان . البطريك بطرس جروه طلع لعبدي افندي (بستان) لعند نعمة الله سباغ ونزل الجمعة.

[١٢٣¹] الاحد اولها جرحوا ابن الحداد وضاع نسوان ٣ بالبرية وبالبساتين فارسل الباشا تنبيه للكنايس ان لا ينام احد بالبستان ابداً ولا يتمسوا بالبرية واذا صار شي. من هذا يتقاصصوا رجالهم.

[١٢٣²] ٣ تموز ١٨٤٧

السبت عيد مار توما نبهوا بالكنيسـة :« حضروا الصلاة والقداس وامضوا الى اشغالكم » . ابطله البطرك بطرس جروه .

[١٢٣³] – الجمعة اجا خبر اخت نصري خوري من الجبل عابده (راهبه في دير الزوق لبنان ؟) .

[١٢٤¹]—الاثنين راح جبرائيل دلال الى السكولا(مدرسة الفرنسيسكان؟) من بكره للظهر ومن الظهر للسا عندي بالمكتب .

[١٢٤²] — الثلاثا كتبوا اوراق بان يوم ال ٥ عطش تعليمي وبدهم يطلقوا نفر ١٥٠ (من الخدمة العسكرية الاجبارية) فيروحوا الناس يتفرجوا لان كل سنة ٥ يطلقوا ناس ويعطوهم علايفهم ويروحوا لبلادهم وعلقوا الاوراق عند كل صايح شهير واحده . والاسلام خافوا من النظام (لئلا يلموا الرديف بينهم) ما احد راح ومن النصاره خافوا وكثيرين ما راحوا لان الشوكتلي عبد المجيد كتب بعض من النصاره بارادتهم مقدار الف ٢٠٠٠

— الاربعا داروا عزموا المطارين والبطاركة والشيوخ والاعيان وراحوا بعض من المطارين وتفرجوا ومساء بالليل صار حراقة منظومة وقليلين المتفرجين.

— حرم مطران الروم ديمتريوس الى عابدات ٢ غرة عجوري واخت لنطون نجم حرم ثقيل .

[١٢٤³] كان عرس نعوم ضاهر لبنت استاذ انطانيوس.

١٨ تموز ١٨٤٧ و ٥ شعبان ١٢٦٣

— الثلاثا توفيت مرأة فرنسيس عجوري ام حبيب بنت المرحوم بطرس قرألي الله يرحمها وينيح نفسها مع الابرار والصديقين في ملكوته السماوي ورحت عندهم ليلتها وودوها للكنيسة . والاربعا طالعوها دفنوها من الكنيسة البرية وكثير انغمينا لفقدها .

[١٢٥¹] الاحد قدس روم مطران الشاهيات في كنيسة الموارنة بعزية مطران بولس اروتين الموراني.

[١٢٥²] الخميس كبسوا بيت العجوري وبيت نجم وطالعوا من عند غره بقيج عدة ٣ اوراق وختموها لوقت الفحص ولا نعلم ماذا داخلهم .

راجع فيما بعد [١٢٥³]

— الاثنين صير عزية مطران الموارنة مطران بولس الى بطرك سيس الارمني البرصومي وكان الطاوله كرسي ٣٦ وكانوا من وجوه الطايفة ميشيل كوبا وقرالي وعزوز وصولا .

وا١ ه نزلت حوشي بزقاق الاربعين للبيع واعطيت المفتاح ليوسف طاره ليس لاجل القلة بل لعدم الفايدة .

١٧ اب ١٨٤٧

— والاحد تقرّوا القسوس بغلطهم وحآهم مطران ديمتريوس انطاكي بالكنيسة وكان مطران تترنجبي وشاهيات وارخندوس الروم ولكن ما قدسوا منتظرين جواب البابا والمطارين قدسوا سوية قداس واحد وانا ما رحت (فلم اكن شاهد عيان) ولكن على قول الناس اكيدي وجابوا الخواجا دلال من السفيرة حتى يحضر الحلة والاقرار من افواههم والقس عجوري وعياط وشاهيات٣ .

[١٢٥أ] الاربعا صير جمية المطران وجابوا البادري فرنسيس وفتحوا بقجة الاوراق الذين اخذوهم من بيت العجوري فما طلع شي بل عبادة يسوع وقال البادري المذكور ان هذه العبادة كتير مليحه لان بمدينة رومية ما في غير نفر ٤ بهذه العبادة والمذكور بده يكتب للمجمع ان يرسلوا واحد حتى يفحص هذه المادة ؛ بعد نعرف ؛ وقام راح (كذا ولعل معنى الكلام ان الاوراق هي باللغة العربية ولا يوجد في رومة الا نفر ٤ يستطيعون ان يقرأوها ! . .)

الخميس ٢٦ آب ١٨٤٧

[١٢٦أ] الاحد اجوا العجام مقدار ٤٠٠٠ ومعهم ام الشاه الواقف الآن بروسهم . الجمعة سافروا ورحت تفرجت من بستان الشابندر والنهر امشي فيه بالترجيل (بالحذاء) كله من اوله لاخره (لجفاف المياه فيه) . والاحد تغديت بيت البليط كبه سلوقه وشوارب وكتبت لهم رفراف الليوان من الساعة ٥ الى ١٠ عصليه واعطاني الكرا ما اخذت لان كان نهار احد .

الثلاثا ٣١ اب ١٨٤٧ ٥ ايلول ١٨٤٧ .

[١٢٦ب] — الاحد كان مطران الشاهيات مقدس عند السريان ومعزوم للغدا عند البطرك وبعد الظهر معزوم لمشورة نصر الله جهامي لبنت الشركتلي سيدونه . — الخميس اجا مكتوب سامي من السلطان عبد المجيد ان يترك الحمايات من تساكر خراج وفرده يردوه ويرسل الباشا الكيخيا يصير اسكوزه القناصل ويستعطف بخاطرهم واتفقوا كله واحد من الرجال على لبس الطربوش

ولبسوا منهم نصري خوري وفتح الله عبود وابن الشماس ونعوم انطاكي وجبرا انطاكي وغيرهم . — الجمعة عيد رمضان .

[١٢٦] الاحد عرس ككور سيوفي بنت الياس شاهيات وعرس الياس موصلي الى بنت فتح الله ضاهر وشرطت نهارها لويزا بنت كوبا وتعشيت عندهم. الاثنين راح الكيخيا الى عند جفروا بدار القنصلية وقدم اسكوزه واستعطاف بالخاطر بنفس واطية كثير وقام وقف لمرتين .

[١٢٧] — الاحد كان برغود نهارها ناظم عرس بنت التاجر لوسيا وقلب لان المذكور اوعدوه فوق العروس ١٥٠٠٠ وبعده قلبوا فلما هيأ كل شي. وعزم وهم عزموا للنقشه وما اقروا له بالوعد فصار ذلك فدخل الواسطة انطون بطق بالف ٦٠٠٠ ودفعوها له وجد العرس بعد الظهر ساعة ٣ .

— وعرس ابن شاهين لبنت دير اروتين تكلل يوم الاحد مع برغود.

وال ٢ توفي نعمة الله عرقتنجي كنجه (كذا) ابو الاولاد الذين عندي الله يرحمه . بينه وبين ابنه الذي عفسته الدابة جمع ٣١ .

— واولها سافر ميخائيل رعد الى كلز لان له عند بن بنبوق مقدار ٦٥٠٠٠ راح يجيبها . وطلعت الفردة هذه الجمعة . ومات يوم الخميس بن طنبه بثلاث ايام وابن القرنه مسلم مثله وصاير مرض ردي وعمال يموت الله ينجينا من شر هذه السنة ودفعت من الفرده لسفر شاه ٢٥ قري غرش ٥ . والتاريخ الاحد اولها .

في ١٠ شوال ١٢٦٣ في ١٩ ايلول غربي في ٧ شرقي ١٨٤٧

— الثلاثا انربط القس جبرائيل رباط بل خوري (في حلب يميزون بين القس وهو الكاهن البسيط والخوري وهو الاعلى درجة من القس) من طرف امور العابدات. طلع عليه تقرير وراح للدير (عند الاباء الفرنسيسكان او اللعازاريين؟) لعند معلم اعترافه حتى يفحصه .

(راجع دفتر اخوية المزيان الارمن في الوثائق التاريخية عن حلب ٣ ص ٨٤ — ٨٨) وراجع شارون : تاريخ البطريركيات الملكية · المجلد الثاني البند ٣ : مقاومة البطريرك مكسيموس مظلوم لاخوية العابدات ص ٣٨١-٣٩٤

Cyrille Charon : *Histoire des Patriarcats Melkites* (Paris 1910)

[١٢٧^أ] الاحد اولها انعزمت لعرس جهامي وقلت ان اراد ربنا اروح . وخوري جبرائيل ويغمور في بيوتهم باقين ما قدسوا مربوطين . والخميس رحنا بستان العميان مع الاولاد انطاكي اسود بردخجي سايغ بخاش هندي عجوري وكيل . (وبستان العميان نسبة الى جوق النوباتية العميان وكانوا يغنون خاصة للحريم ؟) .

[١٢٧^ب] عرس نعمة الله جهامي الى سيدونـة بنت الشوكتلي . وسافر بطرس باسيل الى بيروت وشكرالله بردخجي الى الفباير لعند اخوته . — والاحد اجا ميخائيل رعد من كلز مساء وجاب الف ٥٠٠: من عند ينبوق شريكه من الف ٦٥ الشراكه . والسبت فكـت الشمس الله ينهيها على خير .

٩ ت ١ ١٨٤٧ في ١ ذو القعده ١٢٦٣ في ٢٧ ايلول ١٨٤٧

انتهاء السنة ٢٠ وابتداء ٢١ لافتتاحي المدرسة .

[١٢٨^أ] — الاحد اولها خاريطن رحت للسبوع عند بيت الجهامي ورجعت الساعة ٢٧ قبل ما يغلق السبوع لان كنت جوعان . — وعرس يوسف ناقوز لوحده موصليه غريبه من الموصل بالجلوم بيتهم . والا ٧ انعزمت لسبوع ١٥ بيت الجهامي .

[١٢٨^ب] — الاحد عرس نصري دياب بلابيل لبنت جبرا ابيون .

— الاربعاء سافر سليمان لبغداد لان يوم اخذته ورحت للكتاب وواجهته مع جفروا والفونص اخوه ان يأخذه معه وترجيته ومدام يونس ومدام بيدال حتى يسترجعوا ايضاً الفونس المسافر وصار يأخذه باكله وشربه كرمالي وببغداد يطالع سليمان له الفرق وكتبت للمذكور اوراق ٢ مذهبات طير «بسمه» و«عليك عون الله» واوعدني ببطاقة وزنارها الله يوصله بالسلامة ان صدق مقاله . [سليمان هو التلميذ العاصي الذي اكل الفلق !] والسبت تغير كيف نصري كنابه حمى خفيفه بلغميه .

[١٢٨^ج] مات ديدكوس سمعان الله يرحمه . وكان عرس فتح الله هندية الى بنت الياس بليط . الا ٣ ولدت بنت الدلال سوسانه مرأة يوسف حمصي من الليل الساعة ١٢ عصمليه وجابت صبي .

في ٢٦ ت اول غربي ١٨٤٧ في ١٤ شرقي في ١٨ ذي القعدة ١٢٦٣

ونظمنا عشا للفقرا. وجنـا نوبه وتمت ئامشا واجوا عزوز واولاده سمعوا فصل واحد وراحوا والعشا برغل وشوي دست وكيف عرق ومصاري عنـد رواحهم كل واحد وحده . والسهره بالضاما عند عزوز .

[١٢٩¹] الجمعة انكسرت عقب دراية المقلمة بعت لحمتها وما لحموهـا مليح فكيتها انا ولحمتها بالبيت. — السبت ارسلت الحساب مع شكري شدياق لسلمان عن جمع ٦٦ سعر ٤ غروش ٢٧٦ واصل منها ١٠٧ غرش باقي ١٦٩ غرش.

[١٢٩²] — ويوسف عزوز وقع بالنهر وعصرناه ويبسناه بالشمس.

[١٢٩³] — الخميس عيد المسلمين الله اكبر.

١٠ ذي الحجة ١٢٦٣ في ١٨ ت ت ١٨٤٧

— الثلاثا اجا حنا الاخرس طلب سلف الحوش الف غرش وبده اياها الجمعة التي بعدها . — السبت كان عيد ميخائيل وجبرائيل وبيرامون سيدة النجاة (في كنيسة السريان) الله يعطينا اعتراف نقي وغفران خطايانا بصلوات امه مريم العذرا. سيدة النجاة والسهره بالضاما عند عزوز .

[١٣٠¹] — الخميس كنت داير بلم كزا الحوش. وقعدوا عندي شقال وترزي.

في ١٣ ذي الحجة ١٢٦٣ في ٢١ ت ت ١٨٤٧

[١٣٠²] — السهره عند سمعان يمين بلعب الورق بالفستق وعازار خبر ان فوق ارفه بالضيع صاير هوا الاصفر وعاد يطلع كل يوم مقدار ٦٠ نفر وانهزم المذكور واجا الله يسترنا منه .

الاربعا ١ ك ١ ١٨٤٧

— والخميس تغير كيف ابي بالليل وشرطته وطلع دم وافر وصح كيفه . وارسل عازار مقدار رطل ٢ سمك ارمغان وكعك من ارفه . — الجمعة اجا مكتوب من شكري كوبا وصل لليكورنا عنـد عمه واستقام بالبحر يوم ٤٣ الله حرسه من الغرق[1] .

١) جاء في مسودات رسائل آل كوبا في مكتوب مؤرخ في ٩ ك ١ مُرسل من حلب

[١٣٠^٣] الخميس باركت لمدام موليناري (التي جابت صبي من ثمانية ايام) ولالفنس دوريكلو جاله نيشان من البابا بيوس كواليير . الاربعا عمّد موليناري وصير نوبات ورقص وعزم اناس كثير وانا ما كنت وموزيقه وكان عمر باشا سر عسكر عبد المجيد . وكتر رعد بديت تقرأ عندي بديوان الفارضي . شرطت سوسه لان اندق رأسها بالوجاق .

وباركت للسكنه للياس ارسان بجوش بيت ديدكوس ضوناته .

— وباركت لخوري نصري بجوش انطون تيناوي .

— الخميس اول محرم ١٢٦٤ ٩ ك ١ ١٨٤٧

[١٣١^١] الاربعا صار خبر ان الهوا الاصفر عمال يشتغل ببراجيك وفي ضيعة اسمها سواريك موجود فيها نفر مقدار ٣٠٠ صفي منهم ٢٠ واجا قفل براجيك^٢

ا في ليكورنا الى الخواجات كوبا واولاده :«اذ كنا بغاية احتراق الافكار مع تشتت العقل سبب عوقة وصول الاخبار وانتظار بوسطة بيروت بالدقائق ففي ٣ الجاري حضرت بوسطة اسلمبول وحظينا في تحريركم رقم ١٠ ت ٢ الذي تلوناه بالدموع من ازدياد الفرح والسرور بشراكم لنا بوصول فؤادنا (شكري) لطرفكم ولم نقدر نشرح لكم عن حالنا بمدة شرون يوم الماضية من الافكار مع الخوف ... النابة الحمد لله على انعامه الوافرة علينا».

وكان آل كوبا يسعون في خدمة الكنائس فيكتبون من حلب الى ذويهم في ليكورنا في ١٣ ايلول :

... وما تفضلتم بشرحه بخصوص تكاثر المرض (الهواء الاصفر) عندنا ناتج من المآكل المضرة والفواكه والبرد او عن قهر وغم منتظرًا للمواكيل لا يكون لكم فكره بحيث دائمًا بالاحتراس واما الغم والقهر ليس بيدنا مداوانه بل ظروف الزمان وعدم توفيق الاشغال وقلة الاستقامة الذي بقيت طبيعية بين الناس ولم عاد قادر غير الاسفاء واصحاب القوة الذي لا ينسحبوا الى الحكم وغرشهم يرموه في البحر ويحصلوه وربنا عاطينا الحصول على ذلك . فنظرًا اليكم الله وفق لكم الراحة فماد الله يجب علينا نريح اولادنا لكي اذا ربنا رضي عليهم وحصلوا على الخاية (في ظل الامتيازات الاجنبية) يقدروا يسكنوا في بلدهم في راحة ويشتغلوا بحرية مثل الفرنج الآن ... وبوصول شكرالله بالسلامة تشاهدوا حسن العقل وباقي الصفات الحسنة ... ٩ ت ١ ١٨٤٧

«وارسلوا لنا خيمة لاجل الكنيسة في زياح القربان المقدس تنفتح وقت الدورة وتكون مسكة اليد دف مدعون مذهب ولا بد معروف منكم في كنيسة نيراصاتنا ام غير شكل الذي يكون زيه في بلادكم واجنا امبريله حال الظفر . منشان قريبة واحدنا ٢٩ ك ٢ ١٨٤٨»

فكرتنوهم بالشيخ ابو بكر مقدار ٨٠ نفر ومعهم قسيس كرملتاني وفتحوا بالحوزه جنب الخستاخانه مكان وسموه شفاخانه سي بامر سلطان عبد المجيد وتعين حكيم ٢ يقعدوا بالجمعة يومين الاثنين والثلاثا ويحكموا عال ودون [مصريات] على كيس عبد المجيد الله ينصره ويطول عمره وقصدهم يدوروا على كل صايح واحد حتى يكنسوا وينضفوا لاجل النضافة حتى لا يقوا الهوا الاصفر وان كان الله يريد لايجي لحلب .

[١٣١¹] ٢١ ك ١ ١٨٤٧

السبت الميلاد فارتما هلوانم الله يتقبل . والاحد انعزموا الروسا وحمصي وكوبا مع الروسا لضيافة عند الباشا بالصرايا وكان الوان عده ٤٠ (اشكال الاطعمة) زفر وحلو ولما دخلوا قام الباشا على حيله ولاقا لهم . والباشا كان جاي له عليه مالمسه من عبد المجيد السلطان ففرجهم عليها وباركوا له والضيافة لاجلها يكون معلوم . مطران كيرلس روم الكثيسة ومطران الارمن ومطران الروم ديتريوس ومطران الموارنة بولس والبطرك بطرس كان مريض نيابه عنه قس خوري باسيليوس صعب .

[١٣١²] — الثلاثا ماتوا اربعة وطالعوهم فرد نهار ومن جملتهم ام اولاد السيوفي جار بيت اختي ومرأة الجرنطي اخت المطران مكاريوس الذي قتل بنت السمان .

السبت رأس السنة ١٨٤٨ ٢٣ محرم ١٢٦٤

[١٣٢¹] — الاثنين سافر عمر باشا لاسلامبول بعد الظهر وضربوا له طواب على جبل النهر وطلعنا مع الاولاد للفرجه ورجعنا بالعجل . الخميس صار حراقة عند الياس زمر . الجمعة ليلة عيد مار استفانوس قرأت انجيل رومي بعزية البطرك . — الاحد رسم البطرك شماسه والمطران سافر واجا لمطران الروم قلوسات ٧ بقراني ٦ من عند البطرك مظلوم له وللخوري بولس حاتم ٣ ولمطران شاهيات ولمطران توتونجي وعزيزه القسيس وللآن ما لبسوهم .

قضية القلوسات راجع تفاصيلها في تاريخ البطريركيات الملكية لكيرلس شارون (بالافرنسية باريس ١٩١٠) في الفصل الرابع : تحرير الملكيين الكاثوليك المدني ١٨٣١–

١٨٤٨) (ص ١٥٣–٢١٦) وخلاصته، ان الملكيين في الشرق كان مرجعهم الى بطريرك الفنار في استنبول وهذا كان يقيم عليهم مطارنة من اليونان ، وهم اجانب عن الملكيين الناطقين باللغة العربية . وجاء مكسيموس مظلوم الملكي الحلبي وترأس حركة اتحاد الملكيين بروما واقيم عليهم بطريركًا وكانت القلوسة المدورة في اعلاها تستعمل غطاء لرأس رجال الاكليروس الملكي الكاثوليك . فقاومه في ذلك بطريرك الفنار وآل الامر الى تدخل السلطان في الصلح «على القلوسة » المدورة في اعلاها . ومن ذلك نفهم السبب الذي من اجله لم نلبس القلوسات بفراني التي يذكرها نعوم البخاش. ١٣ ك ٢ ١٨٤٨

[١٣٢¹] — الاحد عمد مطران الروم ديمتريوس ابن ميخائيل رعد والشبين ابن حنا رعد الزغير . — والاربعا تقدم غربنيه مطران الروم باسيليوس شاهيات. — والخميس عزم القسوس والمطران الى الفطور عنده . — الجمعة مطر ورعد وطوفه قدام بوابة ما وراء العماره .

[١٣٢²] الاربعا الغطاس كسحت الورد والنسرين . الخميس بعت مكتوب خوري جرجس شلحد لنعمة الله سباغ وبه معذرة لانه حامي لخوري جبرائيل رباط وما ذاكر اسم المرسول منه بلا امضا وتأذى المذكور وبعده صالحوه معه وسمح له بهذه الفعلة سباغ وقدس وسمعنا نقضت نعرف بعد . وفي ذلك تلميح الى الثورات التي شغلت الناس في قضية العبادة التي جاء ذكرها [١٢٥²].

[١٣٣¹] الاثنين اجا وجيهي باشا وواحد آخر لارفه وللماردينْ ولاقوا له الباشا والاعيان . والسبت سافر وجيهي باشا الى منصبه وضربوا له طواب . وجرجي ابريهام كان جايه بن كلز تشايح والجرح واخذوا منه مقدار ٢٩٥٠٠ غرش .

[١٣٣²] ٢١ ك ٢ ١٨٤٨

الاثنين بديوا بالرسائل اولاد الوكيل شكر الله ورزق الله . اجوا الحجاج من الحج .

[١٣٣³) الاثنين طلع خبر ان هوا الاصفر عمال يشتغل بارفه . الاحد اجا خبر من اسلامبول بموت الياس حوا عمره ٨٦ سنة[1] . الخميس السهره عند عبدالله باسيل بالضاما . اكلنا عند المذكور جبسه بالليل . السبت اشتريت شاله من

انطون طباخ جارنا ٤٢٧٨ غرش واسمها خراسان كرخانه قرمز وابيض .

الجمعة ١١ شباط ١٨٤٨

[١٣٤١] — الخميس اكلت معجون الورد وقية ٢ لان الطبيعة ماسكه وطلعت مقدار مره سبعه للسا وشوي تغير كيفي . — الجمعة وصلت (تسكرتي اوسطانه) ٣٠ وبخشيش قري ٥ غروش .

الاثنين ١٤ شباط ١٨٤٨

[١٣٤٢] — الاحد حرقوا قاعة الشيخ ابو بكر والناس كثير موجودين نهارها للفرجه . عرس يوسف عبد النور لبنت جنبرت . —الثلاثاء بن العداس(؟) جايه من السفر قبل وصوله لحلب بساعة ٥ تشلح وراح معه مقدار ٧٠٠٠٠ غرش . وتشلح القفل كله . وماتت ام انطون نجم عمرها ١٠٧ سنة .

[١٣٤٣] — الاربعا مات الشيخ وفا ودفنوه بالصالحين .

— [ان البخاش يحصر اخباره في الحلقة التي كان يتصدرها كمعلم مدرسة وحوله تلامذته ومن اهاليهم فيأخذ الاخبار ويدونها«اليومية» وقلما يذكر الحلبيين المسلمين اما ذكره الشيخ وفا. الرفاعي فدليل على مكانة الرجل عند المسيحيين. وقد اسعدني الحظ بالوقوف على اخباره ونشر ترجمته في المشرق سنة ١٩٤١ مع منظومته في اوليا. حلب وانما طبعت على حدة بعدد زهيد فاصبح وجودها نادراً جداً] .

---

١) ١٣ شباط ١٨٤٨ كتب كوبا الى اسلامبول الى الخواجات حوا كتاب تعزية بوفاة كبيرهم الياس حوا « الجوهرة الثمينة المكملة بكامل الصفات الممدوحة » وصار معلوم اعتمادكم على ابقاء اسم المرحوم كما الاول فهذا من حسن الشيم حيث بقاء هذا الاسم الممدوح من الجميع يذكر الى بعد اجيال بواسطتكم » .

[في الوثائق التي اطلعنا عليها في الخزانة المارونية في حلب وفي خزانة بكركي يأتي مراراً ذكر الياس حوا وهو حقيق بان تشكر له اتعابه في خدمة الطوائف المسيحية — والى اسرة حوا الحلبية يمت الاب يوسف جبرائيل حوا اليسوعي ولد في مرسيليا ٢٠ شباط ١٨٥١ دخل الرهبانية ١٤ ك٢ ١٨٨٢ توفي ببيت ابل ١٦ ك١ ١٩١٦ وكان يتفانى في خدمة المرضى وهو مؤلف القاموس الانكليزي العربي] .

[١٣٥¹] – الخميس سافر الشاه وودعه الباشا لان المذكور وهب للباشا صانية فضة ملطوخة ذهب وشاله ترما وساعة وخناجر وخواتم وغيره.

[١٣٥²] – الاربعا طلعنا والاولاد تفرجنا على تعليم الخيالة بارض المشنقة بضرب تفنك.

السبت ١٨ اذار ١٨٤٨

– الخميس سافروا المقادسة للقدس. – الثلاثا اسلم فرج الله ج وسموه محمد شاكر وراح بيت شيخ كيال احتمى فيه الله ينجينا من انقلاب العقل.

– والاحد صار ضيافة عند موليناري لان ملكه تحرر فصير حراقة ونوبة آجق باش وعزم كل حماوته فقط. وملك المذكور دولة السارد وسردينيا وتفرجنا على الحراقة من الكتّاب. فتاش.

[١٣٥³] الاحد كان ناظم تومازيني في قصر الكتاب عزية للشباب والقسوس لان قبل يومين صير جناز للذين ماتوا قتل من ايطاليانيين وصار خيرية وصير فرحه للمنصورين في بلاده. واجا خبر ان الفرنساويه قاموا وطلبوا مشيخة فرنسا هكذا صار وخبر اكيدي. ومرأة ميخائيل سابغ ولدت يوم اا ه وجابت ولد ذكر.

في ٢٣ اذار ١٨٤٨ في ١٨ ت ١٢٦٤

[١٣٦¹] السبت ابن عبدالله سالم اخو حنا من ابوه انصرف من المكتب عند ابن زلوم ونطق ولصباح الاحد مات وابن البستانية مريض مثل امه هو الاصفر هكذا قالوا الحكما ووقفوا عسكر على باب حوش الكبيرة[1] وكرتنوا عليه والناس جفلوا. والاثنين واحد بكنيسة السريان كان واقف يصلي وقع ومات مقدار ساعة وشالوه لبيته وبعده قبروه وشاش الخبر وارتعبوا الناس وما ارسلوا اولادهم للمكتب مقدار ١٦. – الاربعا بالليل صار هوا زايد واصبح مبوظ المـا تاني يوم ويبس زهر الاشجار كله صيفي من الفرش باره[1] والخضرة مثل فول وسلق وغيره بوّظ كله.

---

١) حوش الوقف المخصصة للفقراء.

[١٣٦أ] وعندنا دراقة بالبيت مزهره دخلناها للبيت بعذاب كلي وواحدة للربع وتموا اثنتين بالسطوح لان زغار وزهرهم قليل ما يحرز العبا.

— الخميس ما عاد واحد وقع بالمرض فقلعوا الكورنتينا والشنبل الحنطة ٥٠ رجع الى ٥٠ لان جمعة التي قبلها وصل لا ٧٠ او لا ٦٥ وصار قتل قتول على الطحين فصار مطر زايد فراحوا ناس كتبوا عرض حال للباشا ان افندم هكذا الله فارجيا علينا بالمطر و(عرض ان تهبط الاسعار على امل الموسم الجيد) الحنطة بكذا والطحين بكذا وما في فكان الجواب منه كلوا طين وابتدم الباشا مصطفى باشا. ودفعت ٥ غروش لاجل الكورنتينا. — السبت ثبت المطران بولس (اروتين) مقدار ٥٠ ولد (موارنة).

٣١ اذار ١٨٤٨

— والخميس قرأوا فرامين ٣ من عبد المجيد: ١ً من شان الشلكات [المومسات] بطالين. ٢ً كل من ما عجب لاهل صايحه ولو كان ملاك يقلعوه باذن الحكم. ٣ً كل حوش التي كراها كل شهر ١٠٠ غرش تعطى على الغرش مصرية والتي تحت الشهر اقل من مايه لا تعطى شي وهكذا البساتين والطواحين والملاك والاوقاف وهلم جراً.

— الخميس الهوا (الاصفر) انقطع بارفه وكل الذي ماتوا مقدار ٢٥٤٨ وسمعت ان الانكليز قاموا على الملكة وطلبوا الحرية.

[١٣٦ب]الاحد-شافوا اهل الصايح اربع شباب عمال يحكوا مع شلكات(٢) فصيروا لهم بهدله وهم قرألي وشامي وكركور وسايغ وصار قرقعة كبيرة وبديوا بالليل يدوروا ان لا احد يطلع ورا العماره ونهوا عن عمارة المسبغة لبيت الدلال بالقيسرية التي جنب السيسي.

[١٣٧أ] الاحد بالليل صيروا جمية قبل هذه الجمعة اهل الصايح ان كل من طالع بالليل يمسكوه للقلق فابن نعوم باسيل يوسف راح واجا مرتين ثلاث

١) باعتبار الغرش ٤٠ بارة يكون سلم من الاربعين واحد.
٢) راجع برتلمي.

لاخور جحشه فونبره ان يروح لبيته وقالوا له كلام ينكي فحمي له شكري بليط فتقاتلوا وصار الضرب والقتل مقدار نصف ساعة وكل الناس خرجوا يتفرجوا وانا كنت وبعده بعتوا كل واحد لبيته وتصالحوا ثاني يوم. الجمعة صار مطر وبرق ورعد وزعقات ووقعت شرارة بجامع وقطعت الثريا وقتلت واحد نفر.

٢٢ نيسان ١٨٤٨

[١٣٧ⁿ] الخميس سافروا لدير مار جرجس الزوار عازار وميناس ونيقوغوص ومرته وابنه ضاهر وتركماني وبردخجي. — الجمعة إكل قتله منظومه بن نعمان من حارة الكراد وصار خبر ان النمساويين عمال يقتلوا الايطاليانيين ويرفعوا اطفالهم على روس سنكه التفنكه والاكابر يفسخوهم بالنصف وقام من الغيرة ملك سردينيا ملك مولينارى ولحقوه اكثر الايطالين وقاموا على النمساويين حتى يقلعوهم من بلادهم وماذا نجد نذكره. — السبت ولدت كتر دلال مرأة حنا خوري وجابت صبي.

٢٩ نيسان ١٨٤٨.

[١٣٧ⁿ] الجمعة عمال ينجروا قاعه كنيسة الأرمن التي على حوشنا والباشا رايح يجيب ما. الساجور بعد يوم اي الاحد آخرها ومعه وينصان الفرنساوي.

[١٣٨ⁱ] الاحد راح الباشا يجيب الساجور وامر بقطع القناية وتعزيلها فقطعوها.

الاثنين في ٨ ايار ١٨٤٨

[١٣٨ⁱ] — الاحد نقشت لوسيا كبه لابن دياب وطلعوا بزي جديد العرس والاسبوع سوا بلا نوبه وبلا وردي ومع الضو يأخذونها ورحنا معها الساعة ١٢ عصلية وحضرنا اكليلها وانصرفنا.

١٤ ايار ١٨٤٨ ١١ جمادى ١٢٦٤

[١٣٨ⁱ] الخميس رحنا والاولاد لبستان العميان وانبسطنا كتير ما عداي انا وكان تركماني ومرته واختها وزوجها وزمر وغيرهم والباشا اجا وما جاب الساجور وما. النهر قليل. ورخوا القناية.

[١٣٩ⁱ] — الاثنين سافر مطران الشاهيات الى زحلة وراح معه اولاد ٣

وابن اسيون وفتح الله ابن عبد الله خوري الاطرش . — السبت سافروا لانطاكية شقال وراح اخوه الصغير معه ونحاس معه وخوري انطانيوس .

٢ حزيران ١٨٤٨

وارسل طلب مركوبولي شكل البواليع حتى يكتب عليهم وارسلت له شكلين (ليطلبهم من الفابركة من اوروبا) .

[١٣٩¹] — الخميس بدير بالديوان شقال وعجوري توما .

[١٣٩²] الاثنين اجا الباشا من العترة وصارت الصلحة على ٥٠٠ جمل . — داعوا والدي بالحلق وهذا ناس وضعوا عنده حلق عشيري وانشل من الدكان وبدهم يغرمون اياه ام حقه وبالشرع ما يطلع لهم وحقه ٢٣٠ غرش .

[١٤٠¹] — الاثنين تمد عندي البرتوس صولا بن الخواجا ميخائيل صولا .

١٩ حزيران ١٨٤٨

[١٤٠²] مات مطران الارمن الارفلي وقبروه بكنيسة الارمن وجروا له دفنه منظومه يسقيه كلهم وقسوس ومطارين وشمامسة ببدلات وحسن جاويش ومورة عسكريه والمذكور خلف ٥ الف كيس ونيشان افتخار الماس .

[١٤٠³] — الاثنين بدينا نسمع مات يهود ٣ وولاد٢ونصاره ابن كركوز الطرنجبي وشاش دعوة الهوا الاصفر .

[١٤١¹] — الثلاثا اجو ولاد ٣ اخذوا كتبهم . — الخميس سكرت وتخبيت وبقيت وحدي وبعت جبت ورق عادي وبديت مقامات الحريري .

— والجمعة سكرت وتخبيت مع اهلي . وصار الهوا (الاصفر) يشتغل وصرنا نسمع مات فلان وفلان الله ينجينا والذين من ماتوا من حلب ٥٠٠ نفر الثلث رجال والثلثين اولاد ونسوان وماتوا بنات جنه ٢ نسوان بيت القصاب وايضاً كنائن ٢ السيوفي وبيت الكلداني اب وابنه وبنتين صبايا ومن عينتاب مات الكل ٣٨٠٠ ومن انطاكية مات مقدار ٢٠٠٠ كلهم

وانزل الباشا في رمضان مظهر باشا وبديوا الناس يسافروا هزيمة : مركوبولي والفونص ومرته وبيت الياهو ومن كل مكان وكل الذين سافروا ما طلعت معهم

كرنخانه[1] ابدًا بل تشنطوا ومات كثير منهم وتمرمروا واناس لعين تاب والغربية كل لبلده والبازركان ايضاً والصواصنه ايضا والخدامين كلهم سافروا الا القليل جدًا.

[١٤١١] في ٢٠ آب غربي ١٨٤٨ ٢٢ رمضان ١٢٦٤

— السبت المسا. فارتما (اعتراف) والهوا الاصفر ما قطع لكون الاسلام صايمين صوم رمضان واجا خبر انطوناكي بن الحوا ·من اسلامبول بالهوا الاصفر وبرا ما قطع بل عمال باردين واللاذقية وباسلامبول وما ترك مكان الله ينجينا منه ليلا يعاود لطرفنا و(في) البلاد عمال القتال والبسوسات (قطع الامل ؟) بكل بلاد الافرنجية ومدة الحبا جمع ٦ عدد الاولاد ١٩ .

[١٤١٢] ٢٨ آب ١٨٤٨ ٢٩ رمضان ١٢٦٤

— الاثنين قعـد عندي فتح الله بن نعمة الله عجيي . والهوا الاصفر ما قطع عمال يطلع من الاسلام مقدار كل يوم ٢٥ نفر ومن النصاره قليل بل ما في منه ضرر لا يموت — والاحد كريت الحوش لابن بريه بسعر٢١٦ ومفتاحية غروش؟ لابن اختي . — والخميس فرمت التتون باديشا . والسبت كان كيفي مغير شربت اكلت معجون الورد مقدار وقيه والحمد لله كيفي احسن. وامي انفصدت الحمد لله كيفها احسن .

[١٤٢١] وليلتها تشلحوا بظهر القناية نفر ثلاثة ابن منفاخ وابن الشقال وابن قراجتي ورجعوا بالظلط ما عدا الدواب ما اخذوهم وجارحين بالرمح لابن وبدينا نخاف نروح لباب الله من هذه المصيبة . والهوا ما قطع للآن له تواتر بحلب .

[١٤٢٢] — الاحد عرس جرجي شعراوي ارمل الى بنت شكري غزاله .
— الخميس مات حنا براهمشاه المخطوب لبنت هنديه . — مرأة يوسف اسود جابت صبي ومرأة شكري كنيـدر جابت صبي في ١٦ شوال ١٢٦٤ ١٨٤٨ ١٢ ايلول والهوا قطع بالمرة .

[١٤٢٣] الاثنين ولدت مرأة نعوم كوريخ وجابت صبي ١٨٤٨ ٢٥ ايلول.

---

١) لم يوفقوا في سفرهم .

والثلاثا مرأة برغود بنت تاجر لوسيا وجابت صبي والسبت مرأة كركور سيوفي وجابت صبي بنت الشاهيات . والخميس اجا باشة النظام براهيم باشا .

[١٤٣^٣] ١٨٤٨ ٩ ت ١ ابتداء ٢٢ سنة لافتتاحي المدرسة .

[١٤٤^١] — الاحد اجا خليل كاملي باشا باشة حلب دخل الساعة ٨ عصلية وسافر قنصل الفرنساوي الصحر للبلاد .

١٨٤٨ ١٥ ت ١ ، ١٨ ذي القعدة ١٢٦٤

[١٤٤^٢] — السبت مريم بنت اختي تغير كيفها وجع قلب وجبنا انطون جد بالليل .

[١٤٤^٣] — اجا يكتب ابن الزباط وتزي . والا ٢ اجا نعوم رعد من خربوط وكتبت عرضحال .

[١٤٥^١] — الاحد عرس عبدالله كلزي لبنت يوسف سوكياس والاثنين مات الشيخ وفا الموقت . — وراحوا القناصل عيدوا الباشا اكرمهم وسقى للتراجين غلايين وقهوة ومربا وشراب .

[١٤٦^١] ١٨٤٨ ٢٧ ت ت

— الخميس اجا فرمان ان كل من اراد ان يرم كنيسة او يعمر او يزيد او ينقص من غير فرمان وغير مراجعة ولا احد يتعارضه انعام من السلطان عبد المجيد . — الاربعا رحت الى كرم الخرش مشوًا مع نعوم سايغ وجبنا مقدار اوقية ٢ .

[١٤٦^٢] — الجمعة ليلة البربارة كنت معزوم عند جارنا الخواجا نعمة الله سالم وكان اخته وبيت اهل العروس بيت اسيون جبرا وسهرنا الساعة ٩ من الليل — السبت سوسه كوبا مربقنه ريقان مليح من الاحد — وجاءت الهدايا الى المعلم البخاش من تلامذته كما في العام الماضي .

[١٤٧^١] — الثلاثا والدي ليلتها ضاق نفسه من صدره جبنا انطون الجد الساعة ٥ من الليل وقسيس راجي خوري الياس ماروني.

[١٤٧^٢] ٢٧ كانون الاول ١٨٤٨

— الاربعا سافر سمعان مع قفل الشام الى الشام ومعه اناس كثير . وغيروا

المحصل بجلب المطارين لان ما اعجبهم واليهودي الصراف غيروه .

[١٤٧٣] – الاثنين رأس السنة ١٨٤٩ ؛ ١٦ صفر ١٢٦٥

[١٤٨١] الجمعة قرينا الورقة عند فتح الله عجوري وقراها رعد ومن كاتبها لا نعرف . مساء ليلة راس السنة ١٨٤٩

[١٤٨٢] وبكره بالصلاة نبهوا على الورقة الذي يذكرها محروم والذي ألفها معه مهلة ثلاث ايام ان ما عرف بمحاله للروسا محروم (قد يكون لهذه علاقة بقضية العابدات المذكورة سابقاً وراجع [١٢٥٢]) .

[١٤٩١] – الخميس بيت انطاكي بخششوني عرقية لفمه . وبديوا بتبليط بيت النسوان عند السريان . ورزق الله كبابه طلبوا له بنت نعوم غزاله جمعة التي قبلها ما اعطوه واناس قالوا انها صغيرة واناس قالوا ان امه قادرمانيه .

[١٤٩٢] الذي جايب المكاتيب من اسلامبول بوظة يده من البرد .

[١٤٩٣] – الاثنين طفب جبرائيل زمر طفه كبيره وانفتق وطول ساعة ٣٥ وتوفي .

[١٥٠١] – وكانت خطبة رزق الله كبابه لبنت سوكياس والمذكور متعلم عندي.

[١٥٠٢] ١٨٤٨ ٢٥ شباط

وخربوا المعمودية بكنيسة السريان وقصدهم يصيروا هيكل للصليب والعماره عماله.

[١٥٠٣] الاربعا مات انطانيوس استاد بجمة العصبية وقبروه الخميس وصار دفنه منظومه من القواسه ١٢ ومن الشطار ١٢ والبطرك والمطران والقسوس وشعلوا كل الكنيسة من قناديل وثريات . المرحوم كان باش ترجمان عند سنيور موسة مشوكه (بيچوتو) وما له غير بنات ٢ واوله كان اجير سياغ.

[١٥١١] ذكروا ان فاتح عبد المجيد حرب على المسكوب لاجل تخليص القرم ومعه الانكليز والفرنساوي والسبت وصلت خلعة رزق الله رعد جوخ دراع ٤ كرتكيه ليلكي يكثر خيره .

[١٥١٢] بدي لعب البهلوان بالشابندر لنسوان ورجال وبنات عند المدسات عند دق القيس كل اوضه ٥٠٠ غرش والمتفرجين واحد ٦ واحد ٣ واحد ١٨ غروش ومراتب اعلى وادنى واوسط والذين استكروا الارض شهر ٣ .

[١٥١٣] الاحد البشارة غربي رحت مع نعوم سايغ ركب مع نقال الحجار احمد وبعده فهمنا اسمه جرجي واسلم في الهوا ونصحته شوي واجا للاملا (بالحسنى) بناء ارسل قسيسه يجيبه وهو خوري جبرائيل شاغاوات ارمني . — الاثنين ارسلنا القسيس المذكور وراح جابه لعنده وطلع يدور المسلم بالازقة فنهاه فلما سمع فيوم راح لقبطل الحرامي لقطوه وودوه للمحكمه وماذا يجد نذكره بعده وندينا نسعى له بـ ٥٠٠ .

الجمعة في ١٨ اذار شرقي في ٣٠ غربي ١٨٤٩ في ٦ جادى الاول ١٢٦٥

[١٥٢١] وبديوا الموارنة بهد الطبقة وبيت النسوان ومزمعين يعمروها ويكبروها لكنيستهم والاوقاف خرجوا من يد المطران بولس اروتين وتسلموهم كوبا وانطون حصرم وبكنيسة السريان كنيستنا بديوا يعمروا المصطبة التي للرجال رواق وركبوا العامودين وعمال يرفعوا القناطر فوق العواميد برياسة بطرك بطرس جروه الكاثوليكي . — السبت ضربنا رزق الله انطاكي علقه بالفلق عصاية ٢٠ منظومات لكونه لعب بالبيض مع واحد مسلم والذين جابوه خاله بطرس خوري وقسيس بن رعد الخوري — والكتبة ليس نصاره فقط بل يهود واسلام عماله مزمعين يكتبوا كل اهل حلب .

[١٥٣١] — السبت ١٨٤٩ ٢٨ نيسان غربي في ٥ ج ٢ ١٢٦٥

والثلاثاء اجا تركماني من اذنه بيوم ٤ .

[١٥٣٢] — الاربعا اجا سر عسكر من الشام ومعه الف . نظام . — الجمعة اجا مطران يوسف حايك السرياني واجا نيشان افتخار لانطون ضوناته ان يلبس طربوش وعلى الطربوش النيشان مبارك وهذا لاجل انه بصناعة المنقوش والربط والنوال صنع ومن شغله راح للسلطان عبد المجيد من محدات وغير اشيا فبداه هذه الهدية وارتسم قسيسين موارنة بن حنا الحكيم نعوم وابن منش .

الاحد اولها في ٦ ايار ١٨٤٩

[١٥٣٣] — الخميس اجا الدفتر دار وكتبه وبيكاوات ٢ والباشاوات ٢ سر عسكر وباشة حلب لقلاية الروم الكاثوليكية وبديوا يكتبوا كل بيت ببيته لحد اولاد الصغار الـذين يحملوا على الكتف ويسألوا الكبار عن كارهم

وعمرهم وصناعتهم ويشكلوا التساكر ويصرفوهم وانا ووالدي غيرت حلاسي (تنكرت ب) ورحت الجمعة بعد الظهر انكتبنا . وكتبت خبر انطانيوس استاذ شعر بيت ٨ بسعر ٣٢ غرش وابن الهندي اكل قتله قبل جمعه وحرد . يوم الخميس بعتت خلفي امه واحكت معي من شانه وصار يجي.

[١٥٤١] ٩ ١٨٤٩ ١٦ ايار في ٢١ ب ٣ ١٢٦٥

والخميس شكري يوسف بليط عشا الصناعية قبل عرسه . والكتبة عماله وصلوا لزقاق الاربعين وكنيسة الموارنة عمال يهدوها وحملين الخشب حتى يقدروا يفكوا .

[١٥٤٢] — الاحد عرس شكري بليط الى كتر بنت عبدالله باسيل . — الاربعا باكر سافر مطران ديمتريوس انطاكي مطران حلب الى القدس لعند البطرك لان في مجمع ، عنده كل المطارين والمذكور اراد ان يأخذ قس تيطوس وابن زلعوم فما راحوا دبطهم وراح . — والاحد اولها اهالي قرايق الكبار خبوا من الكتبة اسلام ، فخشبوهم وسركلوهم لفكه . مقدار نفر ٣ ويوم الاثنين مثلهم عدة ٧٠ سركلوهم والكتبة عماله نصاره ويهود واسلام ما خلصت .

[١٥٤٣] الخميس ١٨٤٩ ٢٤ ايار

[١٥٥١] — السبت سافرت مريم بنت الشوحه الى بيروت وبعده لازمير لعند زوجها نصري مراش والجمعة فكيت ساعة بيت يوسف وكيل .

في ٢٥ رجب ١٢٦٥ في ٢٦ ايار شرقي

[١٥٥٢] — الاربعا، عرس يوسف بن نصري حمصي لمريم بنت الشوكتلي . وماتت مرأة بن سمعان الموصلي باكر . — السبت ٩ ١٨٤٩ ١٦ حزيران .

[١٥٥٣] الاحد عرس نعوم جنة ابن فتح الله جنة الى بنت يونه وعرس ابن البطق الى بنت يوسف حكيم . — الاربعا سافر فتح الله اليان وسافروا بيت فرقوعه موصلي الى مصر وراحت بنت يوسف براهيم شاه معهم كلهم وقلعوا الخيام من حلب وراحت مرأة انطون فرقوعه واخذهم معه ميخائيل فرقوعه . الجمعة اجا فتح الله اسود من بيروت . الخميس ١٨٤٩ ٢١ حزيران ولدت مرأة يوسف وكيل جابت صبي .

[١٥٦¹] — الاربعا الساعة ٢ صار ضوكرا بالسماء زايد وشافوا مثل قبة من جنب القمر مثل نار وفاقت ضو القمر الله يسترنا من شرها .

في ٦ شعبان ١٢٦٥ في ٢٧ حزيران غربي ١٨٤٩

— السبت البلاد الفرنجية مخربطة وصار لكمه لمارة كنيسة الروم بالشرعوس من اهل البلد ومن اهل ضايجهم ومن الباشا والمفدي والقاضي لان قصدهم يكبروها فوقفوا بدربهم والآن عمال يعمروا العتيق لوقت ما يجيهم فرمان لان كتبوا لاسلامبول وسمعت اولاد كوبا قعدوا بالسكولا الله يرشد طريقهم .

[١٥٦²] — الخميس انعزل باشة حلب والسر عسكر وجايه زريف باشا لحلب وعمار الكنايس عمال .

[١٥٦³] — الثلاثا سافر نعمة الله جهامي لازمير وفتح الله باسيل وابنه سافروا معه . — الاربعا ١١ تموز ١٨٤٨ ولدت لوسيا بنت كوبا مرأة انطون دياب وجابت صبي . ولويس كوبا رجع هذة الجمعة منه لباله ميت السلامه (بعد ان كان ذهب الى السكولا ؟) .

[١٥٧¹] — الاحد اجا زريف باشا باشة حلب . الجمعة اول رمضان ١٢٦٥ في ٢٠ تموز ١٨٤٩ صدفنا واحد بدوي عند الكسا (موضع للصيد) وقال لاين رايحين وارتعشنا (فتصور حالة التوتر التي كانوا فيها ويخافون من ادنى حادث يحدث وهذا قبل فتنة ١٨٥٠ التي سيأتي ذكرها) .

[١٥٧²] — الخميس كنيسة الارمن بالمحتسب اخذوها الاسلام وضبطوها وقاموا القنديل والصورة وصيروها جامع .

[١٥٧³] — السبت بعد الظهر بالمدينة واحد عسكر موره قتل باشي بوزق ١ وصوب ٢ وانهزم ودخل لمغاره ولحقه الباشا ومعه عسكر ونزل الباشا للمغارة طالعه وحبسه .

[١٥٨²] — الاثنين ٢٠ آب ١٨٤٩

— الجمعة اجا خبر ان بطرك مظلوم والمطران ديمتريوس جايين نهار السبت وصار تنبيه ان لا احد ياخذ سلاح لا فرد وتفنكه ولا سيف وعصايه والذي يتقلد سلاح يتأدب من البطرك مظلوم والحكام والتنبيه بالكنيسة . — السبت

الساعة ٥ دخل البطرك مظلوم الى حلب وراء العاره بملاقاة كل نصارى الروم العيـان وكان من القواسة ٢٥ من عند القناصر وترجمانه وبنصان الفرنساوي وقواسه ٨ من عند الباشا ونسوان ورجال وخلق كثير وصار له دخله معتبره الله يطول عمره .

الخميس ٢٩ آب ١٨٤٩

[١٥٩^١] ــ الجمعة ارسل البـاشا وقف عمارة الكنايس ارمن وموارنة ومزمع الباشا يتزل للصليبه ينظر العماره زريف باشا . ــ السبت البطرك مظلوم داير يرد السلام ركب ومعه مطران ٢ وقسوس ٨ رافعين العكاز وقواس ٢ بعكازين فضه بفنطزية معتبره مثل وزير والاسلام قلبين دموهم منه ومقهورين .

[١٥٩^٢] ــ الاربعا بديوا الكنايس بالصليبه يعمروا ما عدا الشرعسوس . والبطرك داير يرد السلام على كل الذين سلموا عليه .

[١٥٩^٣] ــ الاربعا سافر زريف باشا بلبشة حلب الى ارفه الظهر ــ وتعوق بالبوسطة انطوناكي ضاهر وطلع تنبيه ان نص عشا (اي بعـد المغرب بنصف ساعة) ياخذوا بيدهم ضو وبعد العشا اي من شافوه يمسكوه وحلب مشتشلة بدها تقوم على النصاره والسبب لاجل عمارة الكنايس ومن البطرك مظلوم لاجل انه يركب ويرفع العكاز بالازقة والشوارع .

[١٦٠^١] السبت ٢٢ ايلول ١٨٤٩

[١٦٠^٢] ــ الخميس راح البطرك بعزيمة القسوس بستان مفدي الكبير .

[١٦٠^٣] ــ الثلاثا كان البطرك مظلوم بالثاني عازمه شكرالله تاجر بنوبه وكان بالثاني عبدالله بك بابنسي .

[١٦١^١] ــ الاثنين اجانا منقل نحاس من عند توما عجوري رطل ٢٢ــ الثلاثا ٩ ت١ ١٨٤٩ ابتداء ٢٣ لافتتاحي المكتب . ــ الخميس بعت خلفي تموه غزاله لكتابة رفراف الليوان ، رحت مساء وبديته من الفارض «اشاهد معنى الخ » . وقريت الاولاد بكره لا المسا والجمعة كذلك ورحت غلقت كتابة الليوان اعطاني ٢٥ غرش .

[١٦١^٢] ــ الاثنين مـات حاخام كبير ووراه كل اليهود وشموع ؛

قدامه — ولدت مرت نعوم ضاهر وجابت بنت ميتة والدايه يهودية . — الاربعا ولدت مرت نعوم عبجي وجابت صبي ٨ ذي الحجة ١٢٦٥ في ٢٤ ت١ ١٨٤٩ .

[١٦١²] — الاحد صار تعليم عطش ناري على جبل النهر وكان الباشا والاعيان وتجرك ٢ طوبجيه .

[١٦٢¹] — الجمعة اولها مات جرجي بطيخة معلم فاعل بنا الله يرحمه وكان ماسك عمارة كنيسة الموارنة .

[١٦٢²] العمارة عمال بكنيسة الروم الفسافسة والروم بشرعاسوس والموارنة — والبرتو مريض وعمال يداووه بورق تين الصبير على بطنه لان صاير له استسقا . — والاحد مساء عماد ابن نعوم عبجي بكنيسة الروم وعمد مكسيموس . — وهندي بدا يتعلم تلياني عند قلاوص بليط .

[١٦٢³] اجا خبر مع البوسطة ان المرسكوب بطل يحارب العصملي والمرسل له مثل الالچي (السفير) قبلوه كثير ورده رضا كثير والحمد لله قضاها وكنا بهمّ زايد من هذا القبيل . — الجمعة اول محرم ١٢٦٦ سنة مباركة . وابن اليان السبت بعث خلفي لاجل طرّت (طغرا.) فرمان وكتبتها له والمذكور صار يومها الاحد وكيل قنصل العجام لان ابوه القنصل مسافر فوكل ابنه فيها وراح عند الباشا ووقف يسقيه ٢ وصار وكيل قنصل معروف عند كل الناس . — والاثنين رحت كتبت بيت الكبير بيت غزاله :« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى الخ » .

[١٦٣¹] — الاثنين عبرة عروس بيت الوكيل بنوبة اجق باش لبكره وكان تاجر وكرباج وسايغ وحسون وبرغود والعروس بنت سابا .

[١٦٣²] — السبت رحت اعترفت عند القسيس بالبيت لانه كان مريض .

[١٦٣³] الاثنين مات جرجي ميكائيل من كلز وحنا الاخرس جابي الموارنة وبنت المسال مرأة جبرا قصاب . — والاحد كان عرس نعوم تاتوز اخو شكري بالمدينة بنت دير اروتين والمذكور تلميذي . — الاثنين والثلاثا والاربعا اروح مساء اكتب بيت غزاله الليوان غرف «يا من تحل بذكره الخ» — الخميس عارني حمارته ميخائيل حمصي ورحنا عين التل — ولبست فروه لاني بردان .

الجمعة ٢٩ محرم ١٢٦٦ في ٧ ك١ غ ١٨٤٩ في ٢٥ شرقي

وانطون كوبا وقع بالطاروق عند باب الفرج وانفصد وعمال توجعه خاصرته وكتفه والبرتو ضولا كيفه احسن الله يشفيه .

[١٦٤١] الجمعة كريت الحوش لنصري بن حنا صعب بالحجار ودفعت ٣٠ غرش لاجل سد الشباك وجبت قواض غزل لاجل الشباك وارسلتهم لبيت المذكورة . والا ٧ سهرت عند عبدالله باسيل بالضاما وبعده نظمنا العرباره عنده وانتهينا الساعة ٩ من الليل .

[١٦٤٢] الاحد قروا منشور من الاربع روسه بالكنايس ان بطال القنباز والجرابات والقلجين بالزقاق واولاد لا يناموا برات اهلهم وبنات ايضاً والخطبة من ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠ اعلى وادنى واوسط وشرب الاركيله للنسوان بطال .

[١٦٤٣] الاحد قرأوا منشور ان القسوس بكراسيها تعرف كان من كان من غير ممانعة (وذلك لان العادة كانت جارية في ان يكون للخوري «زبونات» يعترفون عنده لا عند غيره . فالمنشور معناه انهم يستطيعون الاعتراف عند اي كاهن كان في كرسي الاعتراف) .

[١٦٥١] — البطرك مكسيموس مظلوم يكرز كل ليلة من رياضة الميلاد يوم ٩ — نبهوا بالكنايس عن ضرب المقلاع والحجار للاولاد وغيرهم من قبل الحكم . — الثلاثا رأس السنة ١٨٥٠ غربي . — الاربعا اجوا اولاد شكري شدياق لويس واسطفان من بغداد .

[١٦٥٢] — الخميس اجا الزيت وترمرنا فيه كتير جره ٢ سعر ٧٠ ودفعتها لجرجي ابريهام .

[١٦٥٣] — اولها رأس سنة ١٨٥٠ شرقي . ومساء رحنا لعرس يوسف قضيمة بن خالتي — والاثنين تمينا وكان نوبه وانبسطنا والثلاثا تموا اهلي وانا جيت وفتحت المكتب ورحت مساء وجبتهم ورجعت وحدي الساعة ٤ من الليل ومعي الكهنة الارمن (المكللين) . — السبت درت مع ميخائيل حمصي على جحش نعوم غزاله لورا الخناقية وتلاقينا مع نصري شوكتلي وجرجي شمراوي ومساء سهرت بيت يوسف وكيل وكان السهره عندهم كلها غزاله

وحمصي وضاهر واسود . — والاحد اجا حكيم من اسلامبول وجمع الحكما قروا فرمان ان بامر السلطان عبد المجيد ايده الله ان بده يمتحن الحكما الذي يعرف يعطيه ورقه وختم والذي لا يعرف يأخذ كتبه ويقلعه وياخذ ادويته وبعدي يفحص وبعده نذكر ماذا يجري .

[١٦٦¹] — الثلاثا سهرت بيت سالم وكانوا بيت الضاهر واسيون وخاطي ودياب — ومعقور (عصير) البرتقال رهن نعوم اسيون عهدة . — السبت داير الفحص على الحكما — وصار ثلج بعد العصر وافر واكلوا الناس سويق .

— الجمعة ١٢ / ١ / ١٢٦٦ في ٢٥ ك ٢ غ ١٨٥٠ في ١٣ ش

[١٦٦²] — سهرنا واكلنا كلاس (Glace) بحليب وبستحلب لوز . والجمعة ارسلوا خلفي لاجل كتابه بكنيسة مار الياس الموارنة ومات الياس زمر وبينه وبين مرته يوم ٨٠ وخفس اخور بيت الدلال وكان فيه كديش رعد وكان تاجر شكري وما ماتوا .

١ شباط غ ١٨٥٠ في ٣٠ ك٢ ش ١٨٥٠ في ١٩ / ١ / ١٢٦٦

والاربعا الساعة ٥ه ولدت مار توما عجوري صبي .

[١٦٦³] — الاحد كان ثلج هش وكنسوه وطار . . . وانهزمت لخطبة كاترينا بنت نعمة الله غزاله الى نعوم بطرس حمصي — الثلاثا انسد صوتي والاربعا شربت شربة معجون الورد وتم مسدود صوتي وليلة الخميس سهرنا بيت سالم وكانوا الجمعيه كلها وكان الياس ناتوز وانيس وسهرنا ساعة ٨ عصلية (اي الى الساعة ٢ بالليل) والخميس السكارى فتحت (المدرسة) ومساء سهرت عند عبدالله باسيل بالضاما للساعة ٩ عصلية وأجاه بشارة بنتـه وولدت ساعة ٦ من الليل وجابت بنت في ٧ شباط غ ١٨٥٠ في ٢٦ ك ٢ ش في ٢٥ / ١ / ١٢٦٦ سباعية البنت — الجمعة رحنا والاولاد البرية — والثلاثا كان عمالي ثلج وقعد عندي ميخائيل بن الترنجبي والاربعا صبح السجار والدوالي والحشيش ملبس بوز جامد وتلبيس سميك وبالنهار صار دفا وحل البوز ونهاره واحده يهودية قتلت بالبارود بحارة اليهود وذكروا ان زوجها يبيع بارود وعنده خابية واسعة ٣٥ رطل فعلقت مرته نار ولحقته شراره فقع .

[١٦٧¹] — الاثنين صحنا مقبول ان شا. الله في ١١ شباط ١٨٥٠ في ٢٩ ك ٢ ش وخف البرد. والاربعا اجا زود لحد قفل باب طاحون الجفيلات وبالناعورة قالب الجسر لحد مزار القهواتي والخميس بدي هندي بالمقامات وطلب قس مطر كرا الحوش سلف ١٠٠٠ اخره عدا السنة التي علينا الله ياولنا على لما . وليل الجمعة لعبنا بالفستق عند ابو حبيب (نعوم سالم) وولدت مرأة جرجي ضاهر وجابت صبي واجا خبر من اسلامبول ان من البرد الـذي صار قبلاً مركب وزلامه بوظوا ٢٠٠ واحد ايضاً ماتوا من البوظ الله ينجينـا — والزودة زادة لقفل باب الطاحون بدماك ٢.

— الاربعا اول شباط شرقي ١٨٥٠ واول ربيع ٢ ١٢٦٦ واول سعد البلع سنة مباركة .

[١٦٧²] — الاحد مـا رحت لمكان وكان مشورة بنت اسيون كرزه لاكوب سيوفي — الاربعا اجا فتح‌الله اليان من الشام قنصل العجام وايضاً انطون خاطي ونهارها مشورة مروم بنت المرحوم الياس كبابه الى الياس ازرق وطلعنا الاولاد للعبارة تفرجنا على دخلة اليان والمذكور جايه بتختروان . والاحـد للكرز والاثنين اجـا يكتب بن انطون ادم يوسف والاربعا وقع واحد بكنيسة الروم مار جرجس بالشرعة سوس وانكسرت اجره الله يشفيه وهذه الجمعة وقع شوية برد — (دفعت) من الفردة ٢٤ غرشاً .

[١٦٧³] — الاحد صار ثلج رشه خفيفه رحت للكرز — الاربعا بعـد المغرب ساعة ٢ ولدت مرأة فتح الله عجوري وجابت ولـد ذكر . — الاثنين اجا رفول هندية ومرته مريضه من كلز الله يشفيها . والا ٦ صار ثلج حالول . والا ٧ صار بكره رشه مبحبحة كتير وبعده حل وولدت مرأة عبدالله غزالـة وجابت صبي — الاحد اخذت اذن من البطرك حتى افطر على موزات ومية فجل وتين لاجل صوتي وصفة منترا الحكيم الله يرحمه — الكنيسة لمار جرجس عمال العمار بها ومزمعه تخلص .

(يتبع)

صرف العنان الى قرأة حفص بن سليمان

لعبد الغني النابلسي

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

ويحذف يات الزوائد عاصم عبادي لا خوف دع الياء مطلقا
واتاني الله افتح الياء ان تصل وفي الوقت سكنها او احذف مصدقا
وبالعكس في الاعراف يا المهتدي اتت
كذلك يهديني لدى القصص ارتقى

مطلقاً اي في الوصل والوقف والمراد بيات الزوايد اليات التي لم يرسم لها صورة في الرسم العثماني وهي يات اواخر الكلم وقد حذفها عاصم ومن وافقه وصلا ووقفا وجملة الواقع منها في القرآن اثنان وستون ياء نحو اذا يسري ومهطعين الى الداعي ولئن اخرتني الى يوم القيامة وشبه ذلك . ومن ذلك قوله تعالى عباد لا خوف في سورة الزخرف بحذف الياء في الوصل والوقف واما قوله تعالى فما اتاني الله في سورة النمل فباثبات الياء مفتوحة في الوصل وفي الوقف وجهان اثباتها ساكنة وحذفها . وقوله تعالى من يهدي الله فهو المهتدي في سورة الاعراف وان يهديني في سورة القصص فقد اجمعوا على اثبات الياء فيها وصلًا ووقفًا . والله الموفق .

سورة الفاتحة

ومالك قد اضحت لها الف كذا صراط فقل بالصاد حيث تحققا .

يعني ان قرأة عاصم ومن وافقه مالك يوم الدين بالالف والصراط بالصاد حيث وقع في القرآن فيكون ذلك باتفاق منه ومن راوييه حفص وشعبة على ما قدمنا . قال في التيسير قرا. عاصم والكسائي : مالك يوم الدين بالالف والباقون بغير الف وقرا. الصراط وصراط حيث وقع بالصاد غير خلف وخلاد

وقنبل فيدخل عاصم في هذا الغير . واما ميم الجمع من عليهم والها. فقد تقدم بيانها فلا نعيده والله الموفق .

سورة البقرة

وما يخدعون اقرأ بلا الف له

وفي يكذبون الذال خفف محققا

وفي قيل غيض اكسر وجي، مخلصا

وحيل وسيق اعطف وسي لتسبقا

وترجع فاضمم ثالثه الجيم فاتحا

متى جاء حرك وهو فهي متى التقى

يعني ان قوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم قرأة عاصم ومن تابعه بفتح الياء وسكون الخا. وفتح الدال من غير الف وكذلك قوله تعالى بما كانوا يكذبون بفتح الياء واسكان الكاف وتخفيف الذال . واما الواقع في سورة التوبة اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلا خلاف بين القراء السبعة في تخفيفه . والواقع في سورة الانشقاق بل الذين كفروا يكذبون لاخلاف بينهم ايضاً في تشديده . وقوله تعالى : واذا قيل لهم لا تفسدوا، واذا قيل لهم امنوا وكذلك كل ما جاء من لفظ قيل وهو فعل ماضي . وغيض الماء وجيء بالبنين وجيء بجهنم وحيل بينهم وسيق الذين موضعان في سورة الزمر وسيء بهم في سورة هود والعنكبوت وسيئت وجوه الذين كفروا . كل ذلك بكسر الاول كسرا خالصاً من غير اشمام . وقوله تعالى : ثم اليه ترجعون وترجع الامور بضم التاء وفتح الجيم حيث وقع في جميع القرآن . وقوله تعالى : وهو بكل شيء عليم بتحريك الهاء وكذلك كل هاء من لفظ هو او هي وقعت بعد واو او فاء او لام زايدة ، نحو :« وهو على كل شيء قدير . فهو ليهم اليوم وان الله لهو الغني وهي تجري بهم فهي كالحجارة لهي الحيوان وانما قيدت اللام بالزايدة لتخرج لام لهو ولعب ولهو الحديث . والله الموفق .

ازلهما شدد بلا الف به   وادم ضم الميم لا رفث الحقا

لتنوينه افتح لا فسوق كذا ولا جدال ولا بيع فتنوينه انتقى
مع الرفع ايضا خلّة وشفاعة خـلال وتاثيم ولغو فحققا

والاصل محقن بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة الفاً لاجل القافية. ومثله الحقا يعني ان قوله تعالى فازلها الشيطان عنها قرأة عاصم ومن وافقه بالتشديد من غير الف وكذلك قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات برفع ادم ونصب كلمات بالكسر على قاعدة جمع المؤنث السالم لان علامة النصب فيه الكسرة. وكذلك قوله تعالى : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج الثلاثة بالفتح في غير تنوين وكذلك قوله تعالى : لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع والتنوين ومثله في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال ولم اذكر لا بيع اكتفاء بما ذكرته قبل ذلك . وفي سورة الطور كاسا لا لغو فيها ولا تأثيم . وهذه السبعة كلها بالرفع والتنوين .

بيا يقبل الأولى وواعـد ههنا فبالالف الاعراف طه قد ارتقى
وبارئكم حرك ويأمركم كذا ويأمرهم ذو التا ويضركم رقى
ويشعركم نغفر بفتح وكسرة والاعراف هزوا كفوا الهمز انفقا

يعني ان قوله تعالى : ولا يقبل منها شفاعة قرأة عاصم ومن وافقه بالياء. وقيدت بالاولى احترازًا من قوله تعالى بعده ولا يقبل منها عدل لان الفعل مسند هناك الى مذكر وهو عدل فلا يجوز فيه الا التذكير . وقوله تعالى : واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قرأة عاصم ومن وافقه بالألف بعد الواو . وكذلك قوله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة في سورة الاعراف وكذلك وواعدناكم جانب الطور في سورة طه . الثلاثة بالالف . وقوله تعالى : فتوبوا الى بارئكم. وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم في الموضعين بتحريك الهمزة تحريكاً كاملًا . وكذلك قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة بتحريك الراء تحريكاً مشبعاً. وكذلك قوله تعالى : قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين . وقوله تعالى: انما يأمركم بالسوء والفحشاء . وكذلك يأمرهم بالياء . وتامرهم بالتاء. وجميع ذلك تسع مواضع اربعة في سورة البقرة وموضعان في ال عمران وموضع

في سورة النساء. وموضع في سورة الاعراف وموضع في سورة الطور . وقوله تعالى : ينصركم في آل عمران وفي سورة الملك . وقوله تعالى ويشعركم في سورة الانعام وجميع ذلك بتحريك الرا. . وقوله تعالى : نغفر لكم بفتح النون وكسر الفا. . وكذلك الواقع مثله في سورة الاعراف . وقوله تعالى هزوا متى وقع في جميع القرآن بضم الزاي وابدال الهمزة واوًا في الوصل والوقف وكذلك كفوا بضم الفا. وابدال الهمزة واوًا .

وفي خطوات القدس فاضمم سُبلنا
واكل وشغل فكر الاذن حققا
وثلثي وجرف ثم خشب ورسلكم
وعربا سكون الرعب والسحت اطلقا
ورحما فسحقا ثم نكرا وقربة . ونذرا وجزءا قد اتاك محققا

يعني ان قوله تعالى : ولا تتبعوا خطوات قرأة حفص بضم الطاء حيث وقع وهو خمسة مواضع في القرآن وكذلك الاحد عشر المعطوفة عليه وانما سكنت لضرورة الوزن وهي قوله تعالى : القدس حيث وقع بضم الدال . وقوله تعالى: لنهدينهم سبلنا في سورة المائدة قرأة عاصم ومن تابعه بضم البا. حيث وقع ولا خلاف في ضم البا. في سبل ربك وسبل السلام . ونحو ذلك مما لم يضف الى نون العظمة . وقوله تعالى : اكلها حيث وقع بضم الكاف سواء اضيف الى ضمير المؤنث او لا نحو اكلها دايم اكلها كل حين نفضل بعضها على بعض في الاكل مختلفاً اكله . وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل في سورة يس قرأة عاصم ومن وافقه بضم الغين . وقوله تعالى في سورة القمر يوم يدعو الداعي الى شي. نكر قرأة عاصم ومن وافقه بضم الكاف . وقوله تعالى اذن كيفما اتى منكرًا او معرفاً او مفردًا او مثنى نحو : يقولون هو اذن قل اذن والاذن بالاذن وفي اذنيه وشبه ذلك قرأة عاصم ومن وافقه بضم الذال وقوله تعالى ادنى من ثلثي الليل في سورة المزمل قرأة عاصم ايضاً ومن وافقه بضم اللام . وقوله تعالى في سورة التوبة على شفا جرف قرأة حفص بضم الرا..

وقوله تعالى كأنهم خشب في سورة المنافقين قرأة عاصم ومن وافقه بضم الشين. وقوله تعالى رسلكم قرأة عاصم ومن وافقه بضم السين وكذلك جميع ما اضيف الى ضمير المخاطبين او الغايبين او نون العظمة نحو او لم تكن تأتيكم رسلكم فلمّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولا خلاف بينهم في ضم المضاف الى ضمير المفرد ولا ضمير معه نحو رسله والرسل . وقوله تعالى عرباً في سورة الواقعة قرأة عاصم ومن وافقه بضمّ الراء . وقوله تعالى في سورة آل عمران سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب قرأة عاصم ومن وافقه بسكون العين ومثله في سورة الانفال وقذف في قلوبهم الرعب في سورة الاحزاب والحشر ولملئت منهم رعباً في سورة الكهف . فهذه الخمسة مواضع : بسكون العين وقوله تعالى في سورة المائدة اكالون للسحت يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت قرأة عاصم باسكان الحا . وقوله تعالى واقرب رحما في سورة الكهف قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الحا.. وقوله تعالى : فسحقاً لاصحاب السعير في سورة الملك قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الحا . . وقوله تعالى : لقد جئت شيئاً نكرًا في سورة الكهف وكذلك بعده عذاباً نكرا . وقوله تعالى : وعذبناها عذاباً نكرا في سورة الطلاق قرأة حفص ومن وافقه بسكون الكاف . وقوله تعالى: الا انها قربة لهم في سورة التوبة قرأة عاصم ومن وافقه باسكان اليا.. وقوله تعالى او نذرًا في سورة المرسلات قرأة حفص ومن وافقه باسكان الذال . وقوله تعالى : على كل جبل منهن جزوءا في سورة البقرة . وجعلوا له من عباده جزؤا في سورة الزخرف ولكل باب منهم جزؤ مقسوم بالحجر قرأة حفص ومن تابعه باسكان الزاي في الجميع .

وبالهمز فاقرا الصابئين ومثله بمايدة والحجّ جاكن محققا
وخاطب بما تعملون فتطمعو ولا تعبدون افرد خطئة محدقا
وحسنا بضم والسكون تظاهروا وفي سورة التحريم تخفيفه انتقى
اساري تفادوهم فبالضم فيهما وبالمد بالتا تعملون تحققا
ينزل بالتشديد مع مثله ورا بجبريل فاكسر مثل جيم متى ارتقا

وميكال لا همز ولا الياء بعده   وتشديد لكن الشياطين اطلقا
وامثله ننسخ بفتحة نونـه   وبالضم لا بالهمز قل ننسها رقى

يعني ان قوله تعالى والصابئين هنا وفي سورة الحج قرأة عاصم ومن وافقه بزيادة همزة مكسورة والصابئون في سورة المائدة بزيادة همزة مضمومة بعد كسرة الباء.. وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء المثناة فوق للخطاب . وقوله تعالى ولا تعبدون الا الله قرأة عاصم ومن وافقه بالخطاب . وقوله تعالى واحاطت به خطيئته قرأة عاصم ومن وافقه بالافراد . وقوله تعالى : وقولوا للناس حسناً قرأة عاصم ومن وافقه بضم الحاء وسكون السين . وقوله تعالى تظاهرون عليهم قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف الظاء وكذلك ان تظاهرا عليه في سورة التحريم. وقوله تعالى وان يأتوكم اسارى تفادوهم قرأة عاصم ومن وافقه اسارى بضم الهمزة على وزن فعالى وكذلك تفادوهم بضم التاء وفتح الفاء وبالمد يعني باثبات الالف فيها وقوله تعالى عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا قرأة حفص ومن تابعه بالخطاب وقوله تعالى ينزل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح النون وتشديد الزاي وكذلك تنزل وننزل منزلها وجميع ما جاء كذلك . وقوله تعالى وجبريل قرأة حفص ومن وافقه بكسر الجيم وكسر الراء واثبات الياء من غير همز حيث وقع وكذلك قوله تعالى ميكال قرأة حفص ومن وافقه بلا همزة ولا ياء على وزن مثقال. وقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد النون وفي الشياطين بالنصب وكذلك امثاله نحو ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ولكن الناس وقوله تعالى ما ننسخ من آية قرأة عاصم ومن وافقه بفتح النون الاولى وفتح السين وقوله تعالى او ننسها قرأة عاصم ومن وافقه بضم النون الاولى وكسر السين من غير همزة والله الموفق .

عليم وقالوا جاء بالواو كن فقبل   يكون برفع النون فيه متى التقى
ولا تسأل ارفع واضمم التاء حافظا   وبالياء ابراهيم ان جاء فانطقا
امتعه افتح ميمه التاء شددت   وفي اتخذوا للخاء فاكسر محققا

ورا ارنا فاكسر كذا ارني افتحن لوابرى ووصى شددالصاد محدقا
بتا ام تقولوا تعملون ومن وما دنت ولئن باليا. فاحفظ مصدقا
رؤف فعول زنه بالهمز كاسرا للام موليها وللياء ملحقا

يعني ان عاصما ومن وافقه يقرا. قوله تعالى عليم وقالوا اتخذ الله باثبات الواو واحترزت بقيد عليم من قوله تعالى: وقالوا لن يدخل الجنة فان الواو ثابتة اجماعاً . وقوله تعالى : كن فيكون . وقال الذين قرأة عاصم ومن وافقه برفع النون ومثله في سورة آل عمران كن فيكون نعلمه الكتاب . وفي سورة مريم كن فيكون وان الله ربي . وفي سورة غافر كن فيكون الم ترَ الى الذين يجادلون . وفي سورة النحل كن فيكون والذين هاجروا . وفي سورة يس كن فيكون فسبحان وكذلك حيث وقع هذا اللفظ برفع النون وجميع ما في القرآن من كن فيكون ثمان مواضع ستة تختلف فيها وهي هذه المذكورة واثنتان[١] لم يقع فيهما خلاف . الثانية من آل عمران بعد تلك الاولى كن فيكون الحق من ربك وفي الانعام والروم يقول كن فيكون وقوله تعالى : ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قرأة عاصم ومن وافقه برفع اللام وضم التا. على ان لا نافية لا ناهية . وقوله تعالى وابراهيم قرأة عاصم ومن وافقه بيا. مكسورة بعدها يا. من غير الف مكان اليا. وكذلك حيث وقع في جميع القرآن . وقوله تعالى فامتعه قليلًا قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الميم وتشديد التا. . وقوله تعالى : واتخذوا من مقام قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الخاء ، وقوله تعالى: وارنا منا سكنا . وارنا الله جهرة وارني انظر اليك وارنا الذين اضلانا قرأة حفص ومن وافقه بكسر الرا. كسرًا تامًا من غير اختلاس في الجميع . وقوله تعالى ووصى بها ابراهيم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الواوين من غير الف بينهما مع تشديد الصاد وقوله تعالى ام تقولون ان ابراهيم قرأة حفص ومن وافقه بالتا. على الخطاب . وكذلك قوله تعالى : عما تعملون ومن حيث خرجت قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. ايضاً على الخطاب . واما قوله تعالى:عما تعملون ولئن اتيت فقرأة عاصم ومن وافقه باليا. على الغيبة واليه اشرت بقولي وما دنت ولئن اعني عما

١) في الاصل وثنتان

تعملون التي قربت ولئن لا التي قربت ومن حيث كما ذكرنا وقوله تعالى رؤف قرأة حفص ومن وافقه بالمد على وزن فعول مهموزًا حيث وقع نحو ان الله بالناس لرؤف بالمؤمنين رؤف وشبهه وقوله تعالى ولكل وجهة هو موليها قرأة عاصم ومن وافقه بكسر اللام وبعدها يا ساكنة . والله الموفق .

تطوع بالتا خفف الطاء واجمع الرياح وفي الاعراف والكهف حققا
وتمل وفرقان وفي الروم ثانيا وجاثية والحجر مع فاطر رقى
بيا لو يرى وافتح يرون وساكن ومن لتنود مثله اكسر متى التقى

يعني ان قوله تعالى تطوع خيرًا فان الله شاكر عليم تطوع خيرًا فهو خير له قرأة عاصم ومن وافقه بالتا المثناة فوق وتخفيف الطاء وفتح العين . وقوله تعالى وتصريف الرياح قرأة عاصم ومن وافقه بالجمع للرياح . وكذلك قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح في سورة الاعراف وتذروه الرياح في سورة الكهف ومن يرسل الرياح في سورة النمل وارسل الرياح نشرًا في سورة الفرقان والله الذي يرسل الرياح في الموضع الثاني من سورة الروم وتصريف الرياح في سورة الجاثية وارسلنا الرياح لواقح في سورة الحجر والله الذي ارسل الرياح في سورة فاطر واتفقوا على ان الاول من سورة الروم بالجمع وكذلك اتفقوا الا نافعًا على جمع ما في سورة الشورى وابراهيم واتفقوا كلهم على توحيد ما بقي في القرآن من لفظه وهو ستة قاصفًا من الريح في سورة سبحان ولسليمان الريح في سورة الانبيا او تهوى به الريح في سورة الحجر ولسليمان الريح في سورة سبا فسخرنا له الريح في سورة صاد والريح العقيم في سورة الذاريات ولا خلاف في توحيد ما ليس فيه الف ولام نحو ولئن ارسلنا ريحًا وشبهه . وقوله تعالى : ولو يرى الذين ظلموا قرأة عاصم ومن وافقه باليا على الغيبة وقوله تعالى اذ يرون قرأة عاصم ومن وافقه بفتح اليا . وقولي وساكن ومن لتنود الى آخره اعني اذا كان اخر الكلمة ساكنًا والتقى مع ساكن من كلمة اخرى وهو فاء فعل وكان الحرف الثالث من الكلمة الثانية مضمومًا ضمًا لازمًا فان الساكن الاول يحرك بالكسر على الاصل لاجتماع الساكنين وذلك عند عاصم ومن وافقه والساكن الاول في القرآن من احرف لتنود وهي اللام والتا والنون

والتنوين والواو والدال . فمثال اللام قل ادعوا فاللام من قـل ساكنة التقت بالدال من ادعوا وهي ساكنة ايضاً فوجب تحريك السلام لاجتماع الساكنين وتحريكها بالكسر على الاصل وكذلك قوله تعالى قل انظر ومثال التاء قالت اخرج عليهن ومثال النون فمن اضطر ان اعبـدوا ان اقتلوا انفسكم ولكن انظر ومثال التنوين محظورا انظر برحمة ادخلوا الجنة ومثال الواو وانقص منه قليلا او اخرجوا من دياركم او ادعوا الرحمن ومثال الدال ولقد استهزىء . ونحو ذلك كذا في شرح الشاطبية لابن القاصح :

وفي الموضعين البر فانصب مشددا لكن مع تخفيف موص لتسبقا
كذا فدية تنوينه قلـه رافعا طعام وفي الافراد مسكين ارتقى
بيوت وما في وزنه اضمم لتكملوا بتخفيفه والسلم بالكسر منتقى
وبالالف امرأ في الثلاث تقاتلو وحتى يقول انصب قل العفو الحقا
واثم كبير قـل بباء مخففا ليطهرن وافتح يا يخافا محققا

يعني ان قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قرأة حفص ومن وافقـه بالنصب . واما الثاني وليس البر بان تتوا البيوت فلا خلاف في انه بالرفع . وقوله تعالى : ولكن البر بنصب الراء في الموضعين وتشديد نون لكن . وقوله تعالى من موص قرأة عاصم ومن وافقه بسكون الواو وتخفيف الصاد . وقوله تعالى فدية طعام مسكين قرأة عاصم ومن وافقـه بتنوين فدية ورفع طعام وافراد مسكين . وقوله تعالى : تاتوا البيوت واتوا البيوت قرأة حفص ومن وافقه بضم الباء حيث وقع نحو في بيوت وبيوتكم وما على هذا الوزن نحو الغيوب والعيون وعيونا وعيون وشيوخا وجيوبهن . وقوله تعالى : ولتكملوا العدة قرأة عاصم ومن وافقه بالتخفيف . وقوله تعالى في السلم قرأة عاصم ومن وافقه بكسر السين . وقوله تعالى ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان قاتلوكم قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف في الثلاثة . وقوله تعالى : حتى يقول قرأة عاصم ومن وافقه بنصب اللام . وقوله تعالى : قل العفو قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى : واثم كبير قرأة عاصم ومن وافقه بالباء الموحدة . وقوله تعالى حتى

يطهرن قرآة عاصم ومن وافقه باسكان الطاء وضم الهاء مخففا . وقوله تعالى : الا ان يخافا قرآة عاصم ومن وافقه بفتح اليا . والله الموفق .

ورا لا تضار افتح وانت مشدد   وهمزة ما اتيتم امدد واطلقا
بروم تسوهن فافتح متى اتى   بلا الف والفتح في قدر انتقى
ليبسط سين بسطة قل وصية   يضاعفه بالنصب مع الف رقى
وتخفيف عين الكل ثم عسيتم   بفتحة يسين في القتال تحققا
ومنى بتسكين وبالضم غرفة   وتسكين لولا دفع والالف احقا
انا احي فاقصر حيث جاء وشبهه   ولم يتسنه جاء بالهاء مطلقا
وننشزها بالزاي أعلم فاقطعن   مع الرفع صرهن أضمم الصاد محدقا
بربوة افتح ثم في المؤمنين تا   يتمموا بالتخفيف والباب حققا

يعني ان قوله تعالى : لا تضار والدة بولدها اتفق القرّاء السبعة على ادغام الراء الاولى في الثانية ولكن قرآة عاصم ومن وافقه فتح الراء لا ضمها . وقوله تعالى : واذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف قرآة عاصم ومن وافقه باثبات الالف التي بعد الهمزة وبالمد وكذلك في سورة الروم في قوله تعالى : وما اتيتم من ربا . وقوله تعالى : تسوهن قرآة عاصم ومن وافقه بفتح التاء وحذف الالف متى وقع ذلك في ثلاثة مواضع في هذه السورة موضعان . وفي سورة الاحزاب موضع . وقوله تعالى : على الموسع قدره وعلى المقتر قدره قرآة حفص ومن وافقه بفتح الدال فيهما . وقوله تعالى : ويبسط قرآة حفص ومن وافقه بالسين وكذلك قوله تعالى : وفي الخلق بسطة في سورة الاعراف بالسين ايضا . واما قوله تعالى : وزاده بسطة في العلم في سورة البقرة هنا فان السبعة قراؤها بالسين من طريق الشاطبية لانها رسمت في جميع المصاحف بالسين . وقوله تعالى : ويذرون ازواجا وصية قرآة حفص ومن وافقه بالنصب في وصية . وقوله تعالى: فيضاعفه له اضعافا قرآة عاصم ومن وافقه بنصب الفاء وبالالف بعد الضاد . وكذلك قوله تعالى فيضاعفه له وله اجر في سورة الحديد . وكذلك كل مضارع كيضاعف

بني للفاعل او المفعول عري عن الضمير او اتصل به باي اعراب كان ونحو والله يضاعف لمن يشا. يضاعف لهم العذاب ما كانوا . وان تك حسنة يضاعفها ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم فان ذالك كله باثبات الالف وتخفيف العين . وقوله تعالى هل عسيتم ان كتب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين وكذلك فهل عسيتم ان توليتم في سورة القتال. وقوله تعالى : مني الا من اغترف غرفة بتسكين يا. مني وضم غين غرفة في قرأة عاصم ومن وافقه . وقوله تعالى : لولا دفع الله الناس بعضهم ببعضهم لفسدت قرأة عاصم ومن وافقه بسكون الفا. وفتح الدال من غير الف . وكذلك قوله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت في سورة الحج . وقوله تعالى : انا اجي واميت قراة عاصم ومن وافقه بالقصر . وكذلك كل نون من انا في الوصل اذا وقع بعده همزة مضمومة او همزة مكسورة نحو انا انبئكم وانا اول المؤمنين ان انا الا نذير مبين . فان كل ذلك بالقصر . وقوله تعالى : لم يتسنه وانظر قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الهاء في الوصل . واتفق السبعة على اثباتها في الوقف فتكون مثبتة وصلا ووقفا . وهذا معنى قولي مطلقا . وقوله : كيف ننشزها قراة عاصم ومن وافقه بالزاي المعجمة . وقوله تعالى : فلما تبين له قال اعلم قراة عاصم ومن وافقه بقطع همزة اعلم وبرفع الميم . وقوله تعالى : نصرهن اليك قراة عاصم ومن وافقه بضم الصاد . وقوله تعالى كمثل جنة بربوة قراة عاصم ومن وافقه بفتح الراء . وكذلك قوله تعالى : واويناهما الى ربوة في سورة المؤمنين . وقوله تعالى : ولا تيمموا الخبيث قراة عاصم ومن وافقه بتخفيف التاء . وقولي : والباب حققا الالف للاطلاق . والمراد ان هذا الباب جميعه بالتخفيف وهو باب التاء في رواية البزي . وذلك انه يشدد التاء التي في اوايل الافعال المستقبلة في حال الوصل في احدى وثلاثين موضعا مذكورة مفصلة في كتب القراات . والله الموفق .

نعما بكسر النون والغين في النسا يكفر بالياء وارفع الرآ مصدقا

وميسرة فافتح ويحسب حيث جا تصدقوا خفف فاذنوا المد ما ارتقى

وفي ان تضل افتح لهمز مشددا تذكر فتح الذال والراء ملحقا

تجارة انصب مثل حاضرة وقل رهان بكسر الراء مع الفرق
فيغفروا رفع مع يعذب كتبه بجمع متى في الذكر جاء محققا

التاء من كتبه ساكنة لضرورة الوزن يعني ان قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي قرأة عاصم ومن وافقه بكسر النون وقراءة حفص ومن وافقه بكسر العين ايضا من غير اختلاس كسرا محضا . وكذلك قوله تعالى : وان الله نعما يعظكم في سورة النساء . وقوله تعالى : ويكفر عنكم قرأة حفص ومن وافقه بالياء وقرأة عاصم ومن وافقه برفع الراء . وقوله تعالى : فنظرة الى ميسرة قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين . وقوله تعالى يحسب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح السين . وكذلك جميع ما وقع في القران من هذا اللفظ مستقبلا سواء كان بالياء او بالتاء متصلا به ضمير او غير متصل نحو يحسبهم الجاهل ولا تحسبن الذين قتلوا وهم يحسبون انهم يحسبه الظمآن ام تحسب ان اكثرهم ايحسب الانسان يحسب ان ماله وشبه ذلك . وقوله تعالى : وان تصدقوا خير لكم قرأة عاصم بتخفيف الصاد . وقوله تعالى فاذنوا بحرب من الله قرأة حفص ومن وافقه بترك المد وسكون الهمزة وفتح الذال . وقوله تعالى : ان تضل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الهمزة . وقوله تعالى فتذكر قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد الكاف وفتح الذال ونصب الراء . وقوله تعالى : تجارة حاضرة قرأة عاصم بنصب التاء فيها . وقوله تعالى : فرهان مقبوضة قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الراء وفتح الهاء واثبات الالف بعد الهاء . وقوله تعالى : فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قرأة عاصم ومن وافقه برفع الراء في الاول ورفع الباء في الثاني . وقوله تعالى : وكتبه ورسله قرأة عاصم ومن وافقه بالجمع في كتبه حيث وقع نحو وصدقت بكلمات ربها وكتبه في سورة التحريم وشبه ذلك . والله الموفق .

سورة آل عمران

بيتا تغلبون اقراء كذا تحشرون قل
يرون بيا رضوان اكسر متى التقى

كذا همزان الذين يا يقتلوا افتحن بلا الف والتاء فاضمم لتسبقا
بما وضعت فافتح كذا التاء ساكن وفي الميت التشديد حيث تحققا
وكفلها شدده واقصر مشددا لياء زكريا حيث جا همزه أمحقا
وسكن فنادته وان أفتحن ويا يبشرك أضمم شدد الشين مطلقا
يعلمه باليـاء أنى بفتحة على الهمز والتسكين للياء أطلقا
بلا الف طير أو سكن ليائه كأيدة والياء يوفيهم ارتقى

يعني ان قوله تعالى : قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء فيهما على الخطاب . وقوله تعالى: يرونهم مثليهم قرأة عاصم ومن وافقه بالياء على الغيبة . وقوله تعالى: ورضوان قرأة حفص ومن وافقه بكسر الراء حيث وقع سواء كان مضافاً او غير مضاف . وقوله تعالى : ان الدين عند الله الاسلام قرأة عاصم ومن وافقه بكسر همزة ان . وقوله تعالى : ويقتلون الذين قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم التاء من غير الف . وقوله تعالى: بما وضعت قرأة عاصم ومن وافقه بفتح العين واسكان التاء . وقوله تعالى: الحي من الميت والميت من الحي قرأة حفص ومن وافقه بتشديد الياء . وكذلك قوله تعالى: الى بلد ميت وشبه ذلك حيث وقع . وقوله تعالى: وكفلها قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد الفاء . وقوله تعالى زكريا قرأة حفص ومن وافقه بالقصر وتشديد الياء بلا همز . وكذلك حيث وقع في ساير القران . وقوله تعالى: فنادته الملائكة قرأة عاصم ومن وافقه بسكون التاء من غير الف . وقوله تعالى: ان الله يبشرك قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة ان وضم ياء يبشرك وفتح الباء وكسر الشين مشددة وكذلك ويبشر ويبشرهم ونبشرك وشبه ذلك مما وقع في ساير القران واليه اشرت بقولي مطلقا اي سواء اتصل بالكاف او بالهاء او لم يتصل بشيء . وقوله تعالى: ويعلمه الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بالياء المثناة تحت . وقوله تعالى : اني اخلق لكم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة وسكون الياء . وقوله تعالى : فيكون طيرا باذن الله قرأة عاصم ومن وافقه بياء ساكنة بين الطاء والراء من غير الف ولا همزة وكذلك قوله

تعالى : ويكون طيرًا باذني في سورة المائدة . وقوله تعالى : فيوفيهم اجورهم قرأة حفص ومن وافقه باليا. على الغيبة . والله الموفق .

وها انتم امدده بهمز متى اتى او اقصر وكسر الها يوده حققا
ونوته ايضا نصله ونوله وصله بياء اللفظ ايان ما التقى
ويتقه سكن قافه الهاء قاصرا فالقه بسكون الهاء فيه قد انتقى
وياته كسر الهاء وفي اللفظ صل بيا ويرضه ضم الهاء واقصر لتسبقا
كذا يره وامدده ارجه مسكن بلا همزة والجيم بالكسر منتقى

يعني ان قوله تعالى : ها انتم قرأة عاصم ومن وافقه بالالف بعد الهاء وهمزة محققة بعد الالف مع المدّ والقصر . وكذلك حيث وقع في جميع القران . وقوله تعالى : يؤده اليك ولا يؤده اليك قرأة حفص ومن وافقه بتحريك الهاء بالكسر . وكذلك قوله تعالى : نؤته منها في الموضعين وفي النساء نوله ونصله وفي الشورى نوته بكسر الهاء . وصلتها بياء في اللفظ حيث وقع . وقوله تعالى: ويخشى الله ويتقه في سورة النور قرأة حفص بسكون القاف وقصر حركة الهاء يعني باختلاسها . وقوله تعالى : فالقه اليهم في سورة النمل قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الهاء . وقوله تعالى : من يأته مؤمنا في سورة طه قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الهاء . وصلتها بياء في اللفظ . وقوله تعالى : وان تشكروا يرضه لكم قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهاء . وبالقصر يعني باختلاس ضمة الهاء . وكذلك قوله تعالى خيرا يره وشرًا يره في سورة الزلزال قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهاء . وصلتها بواو في اللفظ وهذا معنى قولي وامدده . وقوله تعالى : ارجه في سورة الاعراف والشعراء قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الجيم واسكان الهاء من غير همزة .

ولا يأمرا نصب رائها وتعلموا بتشديد لام ضم تاء تحققا
لما فافتحن واضم لتاء أتيتكم بلا الف في حج الكسر قد رقى
ويبغون بالياء ويرجعون ويفعلوا فلن يكفروه لا يضركم ارتقى

بضمة ضاد رفع راء وشددت وفي منزلين الزاي خفف محققا
وبالكسر والتشديد واو مسومين قرح يفتح مثله القرح حققا
مضاعفة خفف وزد الفا بها وقاتل فافتح ثم بالالف انطقا
بما تعملون اقرا بتاء وسارعوا بواو وشدد كله الفتح ملحقا
ومتم بضم الموضعين وكسر ما بقي وبياء يجمعون قد انتقى
ويا ان يغل افتح وبالضم غينه كذا قتلوا فاخففها متحققا

يعني ان قوله تعالى ولا يأمركم قرأة عاصم ومن وافقه بنصب الراء . وقوله تعالى : تعلمون الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بضم التا. وتحريك العين بفتحها مع كسر اللام وتشديدها : وقوله تعالى : لما اتيتكم قرأة عاصم ومن وافقه بفتح لام لما وبتاء مضمومة في اتيتكم بين اليا. والكاف بلا الف . وقوله تعالى : ولله على الناس حج البيت قرأة حفص ومن وافقه بكسر الحا. . وقوله تعالى : افغير دين الله يبغون قرأة حفص ومن وافقه باليا. على الغيبة . وكذلك قوله تعالى: واليه يرجعون قرأة حفص باليا. على الغيبة. وقوله تعالى : وما يفعلوا من خير فلن يكفروه قرأة حفص ومن وافقه باليا. فيهما على الغيبة. وقوله تعالى: لا يضركم كيدهم شيأ قرأة عاصم ومن وافقه بضم الضاد وضم الرا. مشددة . وقوله تعالى : ثلاثة الاف من الملائكة منزلين قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف الزاي مفتوحة وسكون النون . وكذلك قوله تعالى : وانا منزلون على اهل هذه القرية في سورة العنكبوت بسكون النون وفتح الزاي مخففة . وقوله تعالى : من الملائكة مسومين قرأة عاصم ومن وافقه بكسر الواو مشددة . وقوله تعالى : ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأة حفص ومن وافقه بفتح القاف . وكذلك قوله تعالى ومن بعد ما اصابهم القرح بفتح القاف ايضاً في الثلاثة وليس في القران غيرها. وقوله تعالى : اضعافاً مضاعفة قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف وتخفيف العين . وقوله تعالى : قاتل معه ربيون قرأة عاصم ومن وافقه بالالف قبل التا. وفتح القاف وفتح التا. . وقوله تعالى: بما تعملون بصير قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. على الخطاب . وقوله تعالى : وسارعوا الى

مغفرة قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الواو . وقوله تعالى : قل ان الامر كله لله قرأة عاصم ومن وافقه بتشديد لام كله مفتوحة . وقولـه تعالى : متم في الموضعين قرأة حفص بضم الميم في هذين الموضعين فقط وبكسرها في ما سوى ذلك نحو قوله تعالى : ائذا متنا وكنا ترابا . ويقول الانسان : اذا مـا مت افاين مت فهم الخالدون وشبهه . وقوله تعالى : ورحمـة ربك خير مما يجمعون قرأة حفص بالياء على الغيبة . وقوله تعالى ان يغل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم الغين وقوله تعالى: وما قتلوا قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف التاء . وكذلك قوله تعالى : والذين قتلوا : وقوله : ثم قتلوا في سورة الحج بتخفيف التاء ايضاً . والله الموفق .

بتا تحسبن افتح ليا يحزن اضممن — لزاي متى جا فتح ان تحققـا
بيا يحسبن اقراهما يا يميز قبـل — بفتح وكسر الميم الانفال الحقا
وفي تعلمون التآ سنكتب ضمها — وللنون فافتح نصب قتلهم ارتقى
تقول بنون تكتمون تبيننه — تحسبن اقرا بتاء مصدقـا
وفي الزبر اقرا منه للبآء مسقطا — عن الهمز ايضاً والكتاب تعلقا
هنا قتلوا قاتلوا وفي اخره عن — براة المضموم اخره حدقـا

يعني ان قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب وبفتح السين . وقوله تعالى : يحزن حيث جاء قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الياء وضم الزاي نحو قوله تعالى: ولا يحزنك الذين ليحزنني لا يحزنهم وشبه ذلـك . وقوله تعالى: وان الله لا يضيع قرأة عاصم ومن وافقه بفتح همزة ان . وقوله تعالى : ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون قرأة عاصم ومن وافقه بالياء فيهما على الغيبة . وقوله تعالى : حتى يميز الخبيث من الطيب قرأة عاصم ومن وافقه بفتح اليـاء الاولى وكسر الميم وسكون الياء الثانية . وكذلك قوله تعالى: وليميز الله في سورة الانفال . وقوله تعالى: بما تعملون خبير قرأة عاصم ومن وافقه بالتاء على الخطاب . وقوله تعالى : سنكتب ما قالوا وقتلهم ونقول ذوقوا قرأة عاصم ومن وافقه بضم تا. سنكتب

وفتح النون ونصب لام قتلهم وبالنون في نقول . وقوله تعالى: لتبيننه للناس ولا تكتمونه قرأة حفص ومن وافقه بالتا. على الخطاب فيها وقوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. على الخطاب ايضاً . وقوله تعالى : والزبر والكتاب قرأة عاصم ومن وافقه بحذف البا. من قبل همزة لام التعريف فيها . وقوله تعالى : او اوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا قرأة عاصم ومن وافقه بتقديم الممدود على المقصور . واما قوله تعالى : فيقتلون ويقتلون في سورة براة فقرأة عاصم ومن وافقه ايضاً بتقديم المفتوح اليا. على المضموم اليا. يعني المبنى للفاعل على المبنى للمفعول . والله الموفق .

سورة النساء

وبالنصب والأرحام خفف تسألوا
بمائدة فامدد قياما هنا التقى
ومع نصب يا يصلون واحدة كذا
ويوصي بفتح كسر اولى قد انتقى
وفي امها في ام فلامه اضممن
ويدخله باليا معا كن محققا
وهذان هاتين اللذان اللذين مع
فذانك خفف نونها متأنقا
وكرها بفتح الكاف عند براءة
مبينة بالكسر للياء حققا
كجمع متى وافى احل بضمة
وفي المحصنات الصاد فافتح متى ارتقى
واحصن فاضمم همزة انصب تجارة
كذا مدخلا بالضم والحج الحقا

يعني ان قوله تعالى والأرحام قرأة عاصم ومن وافقه بنصب الميم . وقوله تعالى : الذين تسألون به قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف السين . وقوله تعالى : الذي جعل الله لكم قياماً قرأة عاصم ومن وافقه بالمد اي باثبات الالف قبل الميم . وكذلك قوله تعالى : قياماً للناس في سورة المائدة بالالف . وقوله تعالى: سيصلون سعيرا قرأة حفص ومن وافقه بنصب اليا . وقوله تعالى : ان كانت واحدة قرأة عاصم ومن وافقه بنصب واحدة . وقوله تعالى : يوصي بها او دين اباؤكم ويوصى بها او دين غير مضاد قرأة حفص بكسر صاد الاولى وفتح صاد الثانية مع الالف بعد الصاد في الثانية واليا بعد الصاد في الاولى. وقوله تعالى : فلامه الثلث فلامه السدس قرأة عاصم ومن وافقه بضم الهمزة في الموضعين وكذلك قوله تعالى: وفي امها رسولا في سورة القصص. وفي ام الكتاب في سورة الزخرف الجميع بضم الهمزة وصلا ووقفا . وقوله تعالى : يدخله جنات ويدخله نارا قرأة عاصم ومن وافقه باليا . وقوله تعالى : واللذان يأتيانها منكم قرأة عاصم ومن وافقه بتخفيف النون من غير تمكين للالف . وكذلك قوله تعالى : ان هذان لساحران في سورة طه . وهذان خصمان في سورة الحج واحدى ابنتي هاتين في سورة القصص واللذين اضلانا في سورة فصلت فذانك برهانان من ربك في سورة القصص الجميع بتخفيف النون . وقوله تعالى : ان ترثوا النسا كرها قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الكاف . وكذلك قوله تعالى : قل انفقوا طوعاً او كرهاً في سورة براة . وقوله تعالى : الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرأة حفص ومن وافقه بكسر اليا متى وقع . وكذلك كل ما جا بصيغة الجمع كقوله تعالى : ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يتلوا عليكم ايات الله مبينات ونحو ذلك . وقوله تعالى . واحل لكم ما ورا ذلكم قرأة حفص ومن وافقه بضم الهمزة وكسر الحا . وقوله تعالى والمحصنات ومحصنات قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الصاد متى وقع . وقوله تعالى : فاذا احصن قرأة حفص ومن وافقه بضم الهمزة وكسر الصاد . وقوله تعالى : تجارة قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى مدخلا قرأة عاصم ومن وافقه بضم الميم . وكذلك قوله تعالى : وليدخلنهم مدخلاً في سورة الحج بضم الميم ايضاً . والله الموفق.

وهمز اسئلوا واسئل كذا سأل افتحن وفي عقدت منه فللاًلف احققا
وبالبخل ضمّ الباء والخاء ساكن كذا في حديد حسنة نصبه التقى
تسوى بضم التاء وافتح لسينه مخففة لامستم الالف انتقى
ومائدة وارفع قليل كلاهما كان لم تكن بالتاء جاء محققا
ولا تظلمون اقراء بتاء مخاطبا وبيّت اظهر وافتح التاء محدقا
واصدق مع اشباهه الصّاد خالصا وبالألف اقراء في السّلام لتسبقا
وبالنون كالحجرات قل فتبينوا وغير اولى ارفع رأيه متحققا

يعني ان قوله تعالى واسئلوا الله من فضله واسئل فسأل الذين وشبه ذلك قرأة عاصم ومن وافقه بالهمزة المفتوحة . وقوله تعالى : والذين عقدت ايمانكم قرأة عاصم ومن وافقه بغير الف . وقوله تعالى : بالبخل قرأة عاصم ومن وافقه بضم البا. واسكان الخا. وكذلك الواقع في سورة الحديد . وقوله تعالى: وان تك حسنة قرأة عاصم ومن وافقه بالنصب . وقوله تعالى : لو تسوى قرأة عاصم ومن وافقه بضم التا. وفتح السين مخففة . وقوله تعالى : او لامستم قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف وكذلك الواقع في سورة المايدة . وقوله تعالى : قليل عنهم قرأة عاصم ومن وافقه بالرفع في الموضعين . وقوله تعالى : كان لم تكن قرأة حفص ومن وافقه بالتا. على الخطاب . وقوله تعالى:ولا تظلمون فتيلا قرأة عاصم ومن وافقه بالتا. على الخطاب في الثاني ولا خلاف في الاول انه باليا. على الغيبة . وقوله تعالى بيت طائفة منهم قرأة عاصم ومن وافقه بالاظهار من غير ادغام وبفتح التا. . وقوله تعالى:ومن اصدق قرأة عاصم ومن وافقه بالصاد الخالصة من غير اشمام وكذلك كل صاد ساكنة نحو يصدفون وتصدية وتصديق ويصدر وقصد وشبهه . وقوله تعالى : السكم السلام لست مؤمنا قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الالف بعد اللام . وقوله تعالى : فتبينوا قرأة عاصم ومن وافقه باليا. والنون من التبين في الموضعين هنا وفي سورة الحجرات . وقوله تعالى : غير اولى الضرر قرأة عاصم ومن وافقه برفع را. غير. والله الموفق.

لنؤتيه نون فتح يا يدخلون قل	وفى مريم مع غافر فاطر رقي
ويا يصلحا فاضممه والصاد ساكن	وبالكسر تلك اللام فاقرا مصدقا
وان تلووا بالواوين نزل فيهما	فشدد لزاي فتحة النون ملحقا
وانزل سكن نونه افتح لهمزة	وزاي وفي الدرك السكون تحققا
بيا سوف يوتيهم وتعدوا لداله	فخفف سكون العين منه قد ارتقى
وبالنون نوتيهم زبورا بفتحة	لزاي وفي الاسراء فى الانبيا التقى

يعني ان قوله تعالى فسوف نؤتيه اجرا قرأة عاصم ومن وافقه بالنون . وقوله تعالى: يدخلون الجنة قرأة حفص ومن وافقه بفتح اليا. وضم الخا. وكذلك الواقع في سورة مريم وسورة غافر وسورة فاطر . وقوله تعالى: فلا جناح عليها ان يصلحا قرأة عاصم ومن وافقه بضم اليا. واسكان الصاد مع تخفيفها وحذف الالف وكسر اللام. وقوله تعالى: وان تلووا قرأة عاصم ومن وافقه باثبات الواوين في الخط الاولى مضمومة والثانية ساكنة وسكون اللام. وقوله تعالى: والكتاب الذي نزل على رسوله. وقوله: قد نزل عليهم في الكتاب قرأة عاصم ومن وافقه في الاول بفتح النون وفتح الزاي مشددة وقرأة عاصم وحده في الثاني بفتح النون والزاي مشددة ايضاً وقوله تعالى: والكتاب الذي انزل من قبل قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الهمزة وفتح الزاي وسكون النون . وقوله تعالى : في الدرك قرأة عاصم ومن وافقه باسكان الراء . وقوله تعالى : سوف يؤتيهم اجورهم قرأة حفص باليا. التحتية . وقوله تعالى : لا تعدوا في السبت قرأة عاصم ومن وافقه باسكان العين وتخفيف الدال . وقوله تعالى : سنؤتيهم اجرًا عظيماً قرأة عاصم ومن وافقه بالنون. وقوله تعالى: واتينا داود زبورًا رسلًا قرأة عاصم ومن وافقه بفتح الزاي وكذلك قوله تعالى: واتينا داود زبورًا قل ادعوا في سورة الاسرا.. وقوله تعالى : ولقد كتبنا في الزبور في سورة الانبيا. الجميع بفتح الزاي . والله الموفق .

(يتبع)

من فرائد الشعر الغنائي في اللغات الجرمانية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

نشرنا في جزء تموز الى تشرين الاول ١٩٦٠ من « المشرق » مقالة طويلة على فرائد الشعر الغنائي في اللغات اللاتينية، والحال ان امثالها في الالسن الجرمانية مساوية لها بالابداع والكثرة والتنوع، فرأينا ان نقدّم الى قراء هذه المجلة نخبة منها.

اشهر اللغات الجرمانية هي الانكليزية التي فاقت، في عصرنا على الاخص، سائر الالسن العالم بانتشارها في الخافقين، حتى بين ملايين من غير اصحابها، في ميادين العلم والسياسة والتجارة. تليها برفعة المقام الالمانية، ثم بدرجات متساوية واسفل جدًّا، الهولندية، الفلمنكية التي ينطق بها قسم كبير من اهالي بلجيكا، الاسوجية، الدانمركية الشديدة الشبه بالنروجية المكتوبة، لا المتكلّم بها، وبهذا المقدار تشابه الهولندية والفلمنكية.

غاية الشعر التعبير الموسيقي عن الجمال، ومن ثم لا ريب في ان الله تعالى الجميل بدون حدّ والمصدر الوحيد لكل جمال مخلوق، هو اسمى المواضيع الشعرية.

لقد ابدع فريدريك فون ماتيسون von Matthisson الالماني (١٧٦١ — ١٨٣١) في وصف فرط حقارة الانسان امام عظمة الله المالئة الكون « الى اقصى حدود دوران العوالم »، والتي اجمل الخلائق شبه مرآة ضئيلة تعكس لنا شعاعًا كامدًا من شمس حسنها الفتّان:

« اياك يعظّم، يا كلي القدرة، صوت تهلل الكواكب! اياك يعظم، يا كلي اللطف، غناء الساروفيم! الكون بأسره هائم، في تآلف اجزائه المتنوع الابدي، الى اقصى حدود دوران العوالم وسطوع ربوات الشموس.

معبدك — وهو الطبيعة — ما اشد امتلاءه بجلالك وحلمك! حلة زهور الربيع ومجر سنابل الصيف وتلالؤ عنب الخريف ورواني فضة الشتاء[1]، هي مراني[2] قدرتك الكاملة.

١) يشير الشاعر الى الثلوج المتراكمة. ٢) جمع مرآة.

من انا ، يا رب ، امامك ؟ اني اتنفس منذ البارحة على الاكثر ، ولا يفصلني عن راحة الموتى سوى بون شبر ! الطوبى لي مع ذلك ! من رقد بالموت رقاداً هنيئاً بين ذراعي الآب ، فحقه ان يثق بكلمة الايقاظ ، وهي الرحمة . »

عظمة الله تُثير فينا ألم الشعور بعدمنا المطلق ، بيد ان محبته اللامتناهية لنا قد حثته على اشراكنا في حياته الآلهية ، بتأنس ابنه الوحيد ، وجعل سعادته الفائقة كل ادراك وكل مُنية ، جزاء ابدياً في ملكوته السماوي لخدمتنا القصيرة له على الارض . فلا بدع بكون امل الطوبى الكاملة يلازمنا من المهد الى اللحد ؛ ذلك ما تغنى به فريدريك شيلر Schiller الالماني (١٧٥٩ — ١٨٠٥) :

« كثيراً ما يتحادث الناس في شأن ايام مستقبلة خير من الحاضرة ، ويحلمون بها . تراهم يركضون ، بل يتهافتون على تلك الغاية الذهبية السعيدة . العالم يشيخ ويشبّ على الدوام ، والانسان لا يزال يؤمل تحسن حالته . الامل يُدخله الحياة ؛ يرفرف حول الصبي الفارح ؛ يحمس الفتى بضيائه الساحر ؛ لا يُدفن مع الشيخ ؛ فاذا ختم هذا في القبر سيره المتعب ، ففي القبر ايضاً يزرع الامل ! ليس الامل وهماً فارغاً ، مملقاً ، يلده دماغ الحمقى ، فان في القلب يعلن بصوت عالٍ اننا وُلدنا لما هو خير من هذه الحياة ! وما يقوله الصوت الباطني لا يخدع النفس الآملة . »

اذا رسخ فينا رجاء امتلاك الله ، الخير الاعظم ، فمن المحال ان تميل عن حب جلاله الى الهيام بالخلائق الجذابة ، مهما اثارت فينا من عواصف الشهوات المنحرفة . قد عبّر عن هذه الحقيقة تعبيراً مطرباً عمانوئيل فون كيبل von Geibel الالماني (١٨١٥ — ١٨٨٤) .

« مهما اشتد تهديد الشتاء بحركات عجرفة ، ونثر الجليد والثلج حوله ، فلا بد ان يأتي الربيع . ومهما كثف تلبد الضباب امام نظر الشمس ، فسوف توقظ بنورها العالم يوماً من الايام للنعيم .

فاعصفنَ ، يا عواصف ، اعصفن بشدة ؛ لن يخامرني خوف من ذلك ، فان الربيع يأتي — لا محالة — ماشياً في الليل على باطن قدمه الخفيف . بعدئذ

تفيق الارض مخضرّة ، وهي لا تدري كيف جرى لها ذلك ، ويعلو ضحكها الى السماء المشمسة ، وهي تكاد تموت من فرط السرور ! تضفر لذاتها اكاليل زهور وتُدخلها شعرها ، وتردان بالورد والسنابل وتجعل الينابيع الصغيرة تسيل صافية ، كأنها دموع الابتهاج .

صه اذا وكيفما صُعقت الارض ، يا قلبي ، فارضَ بذلك ، فان هناك يوم ربيع عظيماً مقدَّرًا للعالم اجمع ! ولو اعتراك الخوف والاشمئزاز مرارًا عديدة ، كأن جهنم على الارض ، فاتكلنّ على الله اتكالًا شجاعــاً ؛ لا بد ان يأتي الربيع عمّا قليل ! »

الله تعالى لا يزال ساهرًا علينا بعناية ابوية محضة ، هيهات ان تقاس اليهـا عناية ارق الآباء بأولادهم . فهي حزننا الحريز في جميع ضيقاتنا ، وعلى الاخص حين يهاجمنا الموت الرهيب ، ويسلبنا كل خيراتنا الزائلة ، فيُخرجنا من الارض عُراةً كما دخلناها . قد البس هذه الحقائق المعزية ثوبًا زاهيــاً من الخيالات المبتكرة إريك ياير Geijer الاسوجي (١٧٨٣ — ١٨٤٧) :

« بحلمك ، يا رب ، قد فكرت فينا : ارضُنا تضيف غناك ، والحنطة التي انزلتاها في حضنها تسطع في نضج ذهبي . البركة تقدر ان تعطيها انت وحدك ؛ بينك قد منحت بلادنا الحنطة والسميذ .

ها هي السنبلة تُصرع عند قدمنا ، وسيف الموت يصرعنا ! الهُري يأخذ حصادنا ، والقبر يأخذ الحاصد ، وربما القى فلاح بعد بضعة اعوام ، بدون علمه ، البذر على قطعة الارض التي تغطينا ! عندئذ تملكنـا الارض التي ملكناها ، وتلك غيرنا مالنا ، وحول ناحية لحدنا توجد مساكن جديدة حيث تمشي اجيال جديدة . لكنك ، يا رب ، سوف تجعل في ذلك الوقت ، كما تفعل الآن ، شمسك تُشرق ، والحصائد تزين الارض .

كل الارضيات ذاهبة وزائلة بسرعة شديدة ، فلا يسوغ لنا التشكي من ذلك . في الحياة قد اختبرنا لطفك ، وسوف نختبره في الموت ، فان من اتكلوا عليك سوف يجمعون بصفة حصادك ، في مثواك ، بدون ان يسهم الموت ! »

الليل الطويل الهادئ ، الذي يُريح نفوسنا واجسادنا بعد اشغال النهار

الصخاب واتعابه المضنية وكروبه العديدة ، هو رمز واضح للراحة الابدية التي يمتع الله بها نفوس اولاده الابرار عند غروب شمس حياتهم في منفاهم الارضي. من ذلك الفكر البسيط المألوف قد صاغ فريدريك روكرت Rückert الالماني (١٧٨٨—١٨٦٦) قصيدته الرائعة « نم ، يا فؤادي » ، كما يصنع النحات الماهر تمثالًا ناطقًا من الحجر الاصم :

« نم ، يا فؤادي ، بسلام ، فان الليل قد اتى خواجب الزهور التعبة بالندى المرطب . نم ، يا فؤادي ، بسلام ، فان الحياة نائمة على الارض ، والقمر ساهر في ابهة هادئة ، وهو عين لله .

نم ، يا فؤادي ، بسلام مفصولًا عن الخوف والغم ، ان من يُعنى بالعوالم يعتني ايضاً بقلب من القلوب . نم ، يا فؤادي ، بسلام مُبعَدًا عن الحلم السيء ، مقوّى بقدرة الايمان ، والرجاء ينظر اليك ضاحكاً . نم ، يا فؤادي ، بسلام ، واذا قُدّر لك الموت هنا في الليل ، فتكون قد استيقظت هناك ! »

بعد الله تعالى ، الينبوع الفياض لكل كمال وجمال ، لا موضوع اجدر بالقريض من الفضيلة التي تطبع على الانسان ، ابن التراب بل العدم ، شيئاً فاتناً من ملامح ابيه السماوي . اما الفضيلة اعظم انتصار ، فانها غلبة النفس الروحية على الجسم المادي ، واغتناؤها المتواصل بما تحرمه اياه من الاموال والملذات المحرّمة او المحلّلة الباطلة . الشاعر الانكليزي المفلق وليم شكسبير Shakespeare (١٥٦٤ — ١٧١٦) قد خاطب نفسه ليحثها على كبح جماح جسده ، ببضعة ابيات مزدانة بالايجاز والاعجاز :

« ايتها النفس التاعسة ، مركز تربائي[1] الخاطئة ، انت التي تخدعك تلك القوى المتمردة الزائنة لك ، لماذا تضنين في باطنك وتقاسين المحل ، وانت تنقشين بنفقة باهظة جدرانك الخارجية نقشاً بديعاً ؟ لماذا تنفقين على دارك الزائلة مبلغاً فاحشاً ، مع كون مدة استئجارها قصيرة جدًا ؟ اتريدين ان تتم إنفاقك الديدان ورثة إفراطك هذا ؟ اهذه عاقبة جسمك ؟

١) التربآء هي التراب او الارض . وقد عنى الشاعر بها الجسد .

عيشي اذاً، يا نفس، بما يخسره خادمك[١] ودعيه يضني لتزيدي بمؤونتك. إشتري ازمنة الهية ببيع ساعات من الخَبَث. في داخلك اغتذي، وفي الخارج لا تكوني غنية منذ الآن. هكذا تغتذين بالموت[٢] المغتذي بالبشر، واذ يكون الموت قد مات، لن يبقى ابداً من يموت! »

جوهر الفضيلة حب الله مستولياً على قلب الانسان ومحولاً الى ذاته السامية كل حب آخر للخلائق. فمن كف عن حب مولاه عاش مضطرباً، تعساً، خائباً، يتضور من الجوع ويكاد يفنى من العطش، ولو ظل يبادل اجمل المخلوقات بكؤوس الهوى المسكرة. قد اختبر اكليمنضس برنتانو Brentano الالماني (١٧٧٨ – ١٨٤٢) في نفسه اعواماً عديدة آلام تلك الخيبة المبرّحة، ولم ينجُ منها الا بعودته الى حب ربه. هاكم وصفه المؤثر لاهتدائه:

« كيف؟ ايمكن ذلك؟ ايمكن ان يحبط الحب، الحب الذي لا يعرف سوى سعادة الشخص الآخر المحبوب؟ ايمكن ان يعذب ذاته وحبيبه، ان يلذ الالم والنظر المندّى بالدموع؟

قد رأيت عدداً لا يُحصى من الناس المضطرمين بالحب، وهم غير سعداء، مع انهم يحبون ويحَبون؛ يتحدون اليوم وينفصلون غداً مثل القصب الذي تُميله كل ريح.

لقد احببت انا ايضاً، واستولى عليّ شوق حار، واشتعل قلبي بنار قاسية. وأحببت، وحينئذ تسلط عليّ – آه – خوف دائم وتوالت الاوجاع. كنت اشرب يوماً ماء الكوثر من الشفاه الارجوانية، وفي غده السم والموت من كل نكبة. في بحر الحب آلاف صخور طافية؛ وقد غرق فيه زورقي الصغير مع الف زورق آخر! وبينما كان يغرق، سمعت نوحاً خافتاً، ورأيت دموعاً – واهاً لها – جميلة كاللآلى، وقال لي قائل: « إرفع عينيك الى ذلك الطاهر[٣]، وتعلم منه فهم كنه الحب. » فاذا الامور التي كانت ملتبسة عليّ،

١) الجسد.
٢) يعني بفكرة الموت والاستعداد له.
٣) يعني الشاعر الله تعالى المحب كل خلائقه.

في الاحلام دون سواها ، قد انبسطت امامي كجنان الفردوس ، وما كان يشق السُحب الدكناء ، بين حين وآخر فقط ، شبه ثورة صاعقة ، تحت الانقاض والخرائب ، قد صار فجأةً نيّرًا في اعماق نفسي ؛ وليت ذلك النور الجميل ينزل ايضاً عليك ! واذا اصوات راقدة الى ذلك الوقت في باطني ، قد تحولت الى نغمات !

يوجد حب واحد فقط ، لا يمكن ان يحبط ؛ حب واحد فقط هو جوهر كل حب والرابطة الوحيدة القوية لجميع النفوس ؛ هو الحب الهادئ الامين للرب ! »

منذ سن التمييز تنقضي حياتنا الشقية في حرب ضروس بين هيامنا بالله تعالى وشغفنا باصنام الخلائق . ولا يخرج ظافرًا سالمًا من ذلك الجهاد الهائل سوى اقلية زهيدة من الابطال ؛ اما الاكثرية فهي ملايين من الجرحى بل القتلى المجندلين في المعركة . الشاعر الاميركي النابغة هنري لنكفلو Longfellow (١٨٠٧ — ١٨٨٢) يحثنا في قصيدته الخالدة « مزمور الحياة » على البطولة في هذا القتال الدائم طول حياتنا :

« لا تقل لي بابيات مكتئبة : « ليست الحياة سوى حلم فارغ » لان النفس الغافية ميتة ، والاشياء ليست ما تظهر لنا . « الحياة حقيقية ، الحياة جدية ، والقبر ليس غايتها ؛ » انت تراب وسوف تعود الى التراب » لم تُقل عن النفس . ليست اللذة ولا الحزن الغاية او الطريق المقدَّر لنا ، بل العمل حتى يجدنا كل غد متقدمين بالنسبة الى اليوم الحاضر .

الفن طويل والوقت سريع الزوال ، وقلوبنا ، ولو كانت قوية وباسلة ، فهي مع ذلك كطبول مغطاة بما يخفض صوتها ، تدق بنغمة سير موكب جنازة الى القبر .

في معركة العالم الفسيحة ، وفي معسكر الحياة ، لا تكن كالماشية العجماء المسوقة ، بل كن بطلاً في القتال ! لا تثق بالمستقبل ، ولو حلا لك ؛ ذرِ الماضي الميت يدفن موتاه . اما انت فاعمل ! اعمل في الحاضر الحي ، والشجاعة في باطنك ، والله تعالى فوق رأسك . سير الرجال العظام تذكرنا اننا قادرون على

جعل حياتنا سامية ، فنخلّف عند رحيلنا آثار اقدامنا على رمل الزمان . آثار ربما رآها شخص آخر سائر على محيط الحياة الوقور ، اخ مخذول وغريق ، فانتعشت همته . فلنكن منتصبين ودائبين على العمل ، ذوي قلوب مستعدة لكل الاقدار ، ولنتعلم الشغل والانتظار ، ونحن مواظبون على انجاز العمل ومواصلته . »

ناظم هذه القصيدة المطربة يوضح لنا في وصفة الدقيق لحياة حداد الضيعة ان جهاد الفضيلة المفروض علينا ليس سلسلة مآثر غير مألوفة ، تلفت نظر الناس وتُثير اعجاب السُذج . انما جوهره القيام الكامل بواجباتنا اليومية المصحوبة حتماً بموكب طويل من الاتعاب والاحزان ، وذلك بهمة قعساء ، لا يغلبها قط الضجر ولا الجزع ولا اليأس :

« تحت شجرة بلوط ممتدة الغصون ، يوجد معمل حداد الضيعة . الحداد رجل قوي ، ذو يدين ضخمتين عضلتين ، وعضلات ذراعيه الشديدتين تضاهي بالقوة كبولاً من حديد . شعره جعد اسود طويل ، ومحياه كالدبغ ، وجبينه مندّى بعرق النزاهة . يكسب كل ما استطاع كسبه ، وينظر الى وجه كل الناس ، لانه غير مديون لاحدهم . طول الاسبوع ، من الصباح الى المساء ، يمكنك سمع نفخة كيره . يمكنك ان تسمعه ، وهو يهز مطرقته الكبيرة الثقيلة ، ويضرب بها ضربات موزونة[1] بطيئة ، مثل واهف يدق جرس الضيعة حين تميل شمس المساء . والاولاد العائدون من المدرسة الى بيوتهم ينظرون من باب المعمل المفتوح الى داخله . يحبون ان يروا المعمل الملتهبة ناره ، ويسمعوا دويّ الكير ، ويمسكوا الشرار المحرق المتطاير كالتبن الدقيق من البيدر .

يذهب يوم الاحد الى الكنيسة ويجلس بين صبيانه ، فيسمع الكاهن مصلياً وواعظاً ، ويسمع صوت بنته مرتلة في جوقة مرتلي القرية ، وذلك يسر قلبه . هذا الصوت يرن له كصوت امها المترنمة في السماء ، فلا مندوحة له عن التفكر مرة اخرى فيها وفي كيفية انطراحها في القبر ، وبيده الصلبة الخشنة يمسح دمعة من عينيه .

١) هذا النعت يدل على ان بين كل ضربة والتالية وقتاً ثابتاً .

يجتاز الحياة سائرًا الى الامام في الكد والسرور والحزن . كلُّ صباح يراه شارعاً في شغل ؟ وكل مساء يراه خاتمًا اياه ؟ شيء محاوَل وشيء متمَّم قد استحقا راحة ليلة .

الشكر لك ، الشكر لك ، يا صديقي الفاضل ، على التعليم الذي علمتنيه ! هكذا في معمل حدادة الحياة الملتهبة ناره ، يجب ان تصاغ خيراتنا . هكذا يجب ان يكيَّف على سندانه الرنان كل عمل وفكر مضطرمين ! »

في « اليوم المطير » يبين لنا هنري لنكفلو ، بخيالات شعرية جديدة ، ان من اجمل مظاهر شجاعتنا في جهاد الحياة عدم خمود همتنا وتباطؤ سيرنا الى الامام نحو غايتنا القصوى ، حين تخيِّم فوقنا الغيوم الدكناء المتلبدة ، المادية او المعنوية، ولو لم ينفذ منها الى قلبنا الكئيب الملول شعاع واحد من شمس الفرح البهيجة المنعشة :

« اليوم بارد مظلم محزن ؛ المطر هاطل والريح لا يعتريها قط الكلال . الكرمة لا تزال متعلقة بالحائط المتداعي ، بيد ان الاوراق الميتة تسقط عند كل هبة ريح ، واليوم مظلم محزن .

حياتي باردة مظلمة محزنة ؛ المطر هاطل والريح لا يعتريها قط الكلال . افكاري لا تزال متعلقة بالماضي المتداعي ، بيد ان آمال الشباب تسقط كثيفة في هبة الريح ، والايام مظلمة محزنة !

إهدأ ، ايها القلب الكئيب ، وكُفَّ عن بث الشكوى ، فان الشمس لا تزال ساطعة وراء الغيوم . نصيبك هو النصيب العام لكل البشر ، فلا بد ان يسقط بعض المطر في كل حياة،ولا بد ان تكون بعض الايام مظلمة محزنة !»

حين تكتنفنا دياجي الهموم والكروب ، فتوشك ان تطفئ في اعماق نفوسنا لهيب الامل الوهّاج ، فلنتذكر ان في هذا العالم نحو ثلاثة ملايين من العميان ، يقضون حياتهم في الظلام الدامس ، محرومين ملذات النظر التي هي اكثر جدًا من مجموع ملاذ سائر الحواس . واجم الحق ما اصعب عليهم الصبر على تلك المصيبة الفادحة وقبولها بخضوع تام من يد الله ! بيد ان المولودين منهم في العمى — وهم الاكثرية — لا يتجرعون سوى قطرة من غمار آلام غيرهم ،

لجهلهم فتنة الانوار والالوان. قد وصف كولي سيبر Colly Cibber الانكليزي (١٦٧١ — ١٧٥٧) هنا.هم التفوع وصفاً مؤثرًا في « الفتى الاعمى » :

« آه! قولوا لي ما هو الشيء المسمى نورًا ، الذي حتم عليَّ الا اتمتع به ابدًا! ما هي فوائد النظر ؟ آه! اخبروا فتاكم الاعمى التاعس!

تحدثون بأشياء عجيبة تشاهدونها ؛ تقولون ان الشمس تلوح ساطعة . اما انا فاشعر بكونها حارة ، ولكن كيف تستطيع ان توجد النهار او الليل ؟ انا ذاتي اصنع نهاري او ليلي كلما نمت او لعبت؛ ولو قدرت ان ابقى على الدوام يقظًا ، لدام النهار لي .

كثيرًا ما اسمعكم ترثون بزفرات ثقيلة لمصيبتي المتعسة ، ومع ذلك لا جرم اني قادر ان احتمل بصبر خسارة لن استطيع قط معرفتها . فلا تدعوا ما لا يمكنني نيله يزيل حسن حالة نفسي ! بينما اغني هكذا ، انا ملك مع كوني فتى اعمى تاعسًا ! »

من مقتضيات الفضيلة المحضة ان يضحي صاحبها بذاته تضحية كاملة دائمة لخير قريبه ، فيسقيه خمر الرفاهة والسعادة ويشرب كأس العلقم حتى الثمالة . قد بلغت ربوات الامهات ، في كل اقطار العالم ، ذروة ذلك الايثار العجيب ؛ ومن اعظم الشعراء المجيدين وصفه كل الاجادة زكريا توبيليوس Topelius الفنلندي (١٨١٨ — ١٨٩٨) ، في قصيدته الشهيرة « امي » المنظومة باللغة الاسوجية :

« اين يوجد حب يثبت حتى الموت بدون تغير ، في كل تقلبات النصيب ، حب يسهر علينا مثل ملاك الله ، ولا يطلب منا شيئًا ، بل يحرم ذاته كل شيء . ؟ في هذه الارض لا يوجد غير حب واحد من هذا النوع ، وهو حب الام فقط .

كل قيد يقيد القلب هو اناني : القبلة الحارة على خدي الفتاة المخطوبة ، الذراع اللطيفة التي تمدها اخت ، الذراع النحيفة التي يمدها الينا الطفل . ان خير صديق يتوق الى اخذ اجر صداقته ، والام وحدها طابت نفسًا عن كل اجر . متى تتذكر ما قاسته في الاعوام الطويلة من الالم الثقيل والدمع السخين ،

وفقدان ربيع صباها الذي لن يعود، وتعب النهار وسهر الليل، في سبيل ذلك الولد الذي تزيد حبها له بزيادة ما تبذله من العطايا لاجل سعادته؟

ومن يستطيع منحنا مثل ما تمنحنا هي؟ الفكرة الاولى التي يفكرهـا الولد، الصلاة الاولى التي تتمتم بها شفتاه، اللهيب الطاهر للحب الاول، الارشاد الاول الى الحق، الفضيلة، الحقيقة، الحرية والوطنية؟

ونحن ماذا نعطيها مقابلةً لعطاياها؟ اواه! احزاناً كثيرة تغفرها لنا غفراناً رقيقاً، حبنا الضعيف المقسوم عـلى عدة اشخاص، عنايتنا المشتتة والقاوية في الغالب، فلا تجد العزاء حتى في رؤيتنا، بل نتركها وحدها في خريف الحياة!

مع ذلك تتبع بأفكارها الولد الضال الذي يجول بطّالاً في العالم، وصلاتها مثل مصباح ملاك، تسبقنا بضيائها الساطع، حين يرتخي سيرنا، فتنير طريقنا بالايمان المسيحي، فتمهد السُبل وتشيد بناء العائلات.

بركة الله على مثل تلك الام! آه! انه لحلاوةٌ في فيضان الدموع، انه لفرح في كل الاوقات ان يستطيع الانسان الالتصاق الراسخ بمثل ذلك الصدر في معاركات الحياة الانانيّة، وقبول لثم حبها الحار!

جازها، اللهم، الجزاء الذي عجزنا عن منحها اياه! البذر الذي بذرته في اوانه هو بذرك؛ انما الحب الذي ينعكس ضياؤه في عـين الام هو حبك السامي الابدي، ولذلك، متى زال سطوع تلك العين، نشعر كأن احدى الشموس قد غابت!»

هنري هاينه Heine الالماني (١٧٩٧—١٨٥٦) يعترف لنا بانه قـد هجر والدته، بعدما استخف بحبها وعدّه تافهاً، ثم هام على وجهه مستعطياً كالمتسول فُتاتاً من حب اشد والذ من هيام والدته. وبعد جولانه المضني الباطل، عاد اليها شاحب الوجه، فارغ القلب، فوجد في ضياء عينيها الدامعتين لهيب الحب الرقيق النزيه الذي طالما طلبه من غيرها، فلم يعثر عليه:

« في وهمي الجنوني هجرتك يوماً، يا امي؛ اردت الذهـاب الى اقاصي العالم؛ اردت ان اعرف هل اجد الحب، لكي اعتنقه بتلهّ حبي. طلبت الحب في كل الطُرق؛ امام كل باب مددت يدي مستعطياً حسنة حب زهيدة؛

لكن الناس لم يعطوني سوى البغض البارد ، ضاحكين عليَّ ! ظللت هائمًا على وجهي انشد الحب على الدوام ، لكني لم اجد الحب قط ، فعدت الى الدار مريضًا ، حزينًا ! غير انك اتيت ساعتئذ لمقابلتي ! آه ! ذلك الشيء الذي كان يطفو على عينيك ، هو الحب العذب الذي طالما سميت وراءه ! »

ناظم هذه القصيدة الجميلة يُقر لنا ايضًا بان سمو فضيلة امـه تقهر سطوة كبريائه ، فتُثيب الهيبة والتواضع منايا ، وتُثير فيه اشد الحزن لكونه قد جرح فؤادها المشنوف به بطعنات اهاناته العديدة :

« انا معتاد نصب رأسي عاليًا جدًا ، وفي طبعي شيء من التصلب والعنود. ولو حدّق الملك نفسه الى وجهي ، لما خفضت العينين . مـع ذلك ، يا امي العزيزة ، اريد ان اجاهر بانني ، مهما انتفخ قلبي المتكبر انتفاخًا شديدًا ، فان هيبةً ملأى بالتواضع تستولي عليَّ مرارًا عديدة في جوارك السعيد العذب المحبوب .

هي روحك التي تغلبني غلبة خفية ، روحك السامية التي تنفذ بجسارة كل شيء ، وتطير الى ضياء السموات قاذفةً البروق . ويعذبني تذكري اني قد ارتكبت آثامًا كثيرة بثيرة احزنت فؤادك ، الفؤاد العجيب الذي هام بي كل الهيام ! »

من اعظم الفضائل حب الوطن ، ان لم يُحصر في نطاق ضيّق من العواطف الغريزية اللذيذة التي تحوّله الى اثَرة حقيرة ، بل سما بصاحبـه الى بذل النفس والنفيس في سبيل مواطنيه . مَن احب وطنه ذلك الحب العامل النشيط ، حُق له ان يتغنى بجماله الساحر ، كما فعل رسموس ڤنتر Rasmus Winther الدانيمركي (١٧٩٦ — ١٨٧٦) ، في قصيدته « وطني » :

« الا تعرفه كل المعرفـة ذلك القُطر الصغير الجميل ، الذي ينثني حول ساحله ماء البحر المالح ، وتظلله غابات الزان الهادئة ، وتنبت من ارضه سنبلة القمح شبيهةً بالذهب ؟ هل تعرفه ؟ آه ! هناك ، هناك فقط يمكن ان يكون هم الحياة وفرحها عزيزين عندي !

الا تعرفه ذلك البيت الوطني الهادئ ؟ في غرفته تجد السلام وفي حجرته

السكينة ، امام نافذته تهتز اوراق الزيتون المريضة ، ويزقزق الدوري ، وتبسم الشمس فرحة. هل تعرفه ؟ هناك ، هناك فقط اقدر ان احلم احلامي واجدها مستحبة جداً !

الا تعرف ارض جدودنا القديمة ، الغنية كل الغنى بتذكاراتها الجليلة واساطيرها واناشيدها ، التي يُثير صوتها الرزين في صدري ألم الوحشة ولذة الشوق الحزين ؟ هل تعرفه ؟ هناك ، هناك فقط اشعر بأني على الارض اقرب ما اكون من السماء ! »

للفضيلة درجات لا حد لارتقائها نحو قداسة الله اللامتناهية . من اعلى معارجها في تاريخ العالم المسيحي ان الامبراطور شرل الخامس ، اعظم عواهل اوربة في عصره ، المالك على بلاد عديدة كبيرة في القارة المذكورة وفي العالم الاميركي الجديد مدة تسعة وثلاثين عاماً ، قد زهد زهداً كاملاً في المال والملذات والمجد ، فتخلى عن اسمى العروش واسنى التيجان ، ودخل سنة ١٥٥٦ دير يوسته (Yuste) ، الواقع في غرب اسبانية ، ليشاطر رهبانه الفقر والعفة والطاعة ، فضلاً عن صلواتهم الطويلة وتقشفاتهم الاليمة ، حباً للسيد المسيح واستعداداً لملاقاته في يوم الدينونة الرهيب . قد وصف شرل فون پلاتن von Platen (١٧٩٦ — ١٨٣٥) الالماني دخول سيده العظيم القديس دير يوسته وصفاً جديراً بتخليد تلك المأثرة الرائعة :

« الوقت ليل ، والزوابع تزمجر بلا انقطاع ، ايها الرهبان الاسبانيون ، افتحوا لي الباب. دعوني استريح هنا الى ان توقظني دقة الجرس التي تغطسكم في برد الكنيسة لاجل الصلاة . اعدوا لي ما يقدر عليه منزلكم : اسكيماً وقبراً. اعطوني القلنسوة الصغيرة وأطلعوني على اصول حياتكم ، قد كان لي اكثر من نصف هذا العالم ! الرأس المنقاد الآن للمقص[1] كان متوجاً بتيجان عديدة ! الكتفان المخفوضتان تحت الاسكيم قد زانهما ثوب امبراطوري من فروة القاقم ! اما الآن فاني امام الموت لشبيه بالموت ، ومنهار كالامبراطورية القديمة ! »

معظم الناس يسخرون بالابرار ويعدونهم بُلهاً بل مجانين بقدر سمو فضيلتهم

١) المقص الذي يقص اكليل الكاهن او الراهب ، وهو دائرة جرداء في اعلى رأسه .

وكمال تجردهم عن حطام الارض الفانية . ولا عجب من ذلك ، فان اولئك الساخرين المتحذلقين مولعون بالترهات ، منهمكون في السعي وراءها ، كأنهم قد خُلقوا للتمتع بها . اما نقولا لِيناو Lenau الالماني (١٨٠٢ — ١٨٥٠) فقد عظّم زهد النُساك ، عُشاق الله وجلادي نفوسهم واجسادهم الطاهرة ، تكفيراً عن جرائم اخوتهم الخطأة :

« آه ! لا تسخروا بالنساك الحزانى، لكونهم يعذبون جسمهم بآلام حادة ، ويحرمون ذاتهم افراح الارض العذبة ، الزائلة ، المتلاشية بغاية السرعة ! بجانب الذين يحصدون بحرص علق الملذات ، قد خفقت على الدوام ، منذ ايام الفردوس المفقود ، قلوب عديدة ، مالت عنه واحتقرت مرتع هذه الارض ! الشعور الخجول بأن الانسان كائن ساقط ، يحيد باولئك الاشخاص عن سوق الافراح الصاخب ، ويأمرهم بأن يسلكوا في الخلوة طريق الاشواك . وتزيد رزانتهم حين يرون بجانب سعادة ارضية ، لا يستحقونها ، والحياء يمنعهم عن مد يدهم اليها بوقاحة . »

لولا الموت ، الذي هو ختام تجارب الصدّيقين وباب السعادة السماوية ، جزاء انتصارهم على جميع الشهوات السافلة ، لتحتم عليهم ان يحاربوها الى الابد بلا هدنة ولا راحة ، مما يناقض عدل الله وحكمته ولطفه مناقضة مطلقة . وكما ان المُبحر في سفينة تهزها العواصف وتصدمها الامواج ، يحدّق لتسكين اضطرابه الى منارة الميناء البعيد ، هكذا تُثير فينا كروب العيش المتواصلة توقاً حاراً الى ميتة صالحة ، تنقلنا من غمارها الهائلة الى امن المرفإ السماوي ، حيث يشركنا الاله المعطاء في سعادته الفائقة لجميع مُنانا . قد طعنت الاشجان قلب نقولا لِيناو Lenau ، السابق ذكره ، طعنة نجلاء ، ادمته وامضّته ، ولم يستطع كشف جرحه المتزايد العمق لامه المتوفاة ، فتوسل اليها ان تنقله من دار الشقاء الى جوارها المُسعد :

« انا حامل في قلبي عبء جرح عميق ، وقاصد ان احمله صامتاً حتى الخرَس حتى نهاية حياتي . اشعر بتضمه العادم الكلال والمتزايد العمق على الدوام ، وبكيفية انتقاص الحياة من ساعة الى ساعة !

لا اعرف سوى امرأة واحدة كنت استطيع ان استودعها معرفة حالي واقول لها كل شيء ، لو قدرتُ ان اشهق واتشكى على عنقها ، بيد ان تلك المرأة الواحدة منسطحة ، وهي مدفونة في الارض .

يا ام ، تعالي ولوثر فيك تضرعي ! اذا كان حبك لا يزال ساهرًا في الموت ، واذا ساغ لك ان تعتني ايضاً بولدك كما فعلت في الماضي ، فدعيني افارق هذه الحياة عن قريب ! انا تائق الى ليلة هادئة ، فساعدي الالم على تجريد ولدك التعب عن ثوب الحياة ! »

ليس موت البار سوى رحيل من المنفى الى الوطن ، ولذلك تذوب بسل تلاشي في عذوبته الفائقة آلام النزاع ومرارات الوداع . قد وصف توما هود Hood الانكليزي (١٧٩٩—١٨٤٥) بدقة كاملة تفاصيل موت ضابط في سفينة جاب بها البحار مرارا ، وهو قائم بوظيفته خير قيام ، الى ان وافته المنية في حجرته الضيقة :

« مشهد هائل ، جدير بالتأمل : في سفينة على بُعد فراسخ من البر ، في الحُجرة التي تنيرها بنور احمر آخر اشعة النهار ، الشاب منسطح هادئًا واخرس. لن تفضَّ ابدًا دمعةُ فرح او حزن ختم هاتين العينين الثقيلتين ، ولن تنفتحـا لاي غد كان . اليدان المضمومتان على صدر خال من نبضات الحبي المختلة ، تفصحان عن راحة بلا انقطاع ، لا تستطيع لغة ارضية التعبير عنهـا ! ويخيَّل للناظر ان بسمة عذبة تنمو وتحوم على الشفة ، بينما الظلال في ذهاب واياب بسبب حركة السفينة . في الختام قد وافت الراحة والسلام ؟ ما اشدهما ومـا اعظمها ! وكأن الامواج العزيزة للميت تدندن له : « قد وصلت الى دارك في النباية ! »

يُخيَّل لجميع من الهوا الخلائق ووقفوا حياتهم على حبها وعبادتها ان الموت ليل اليل ، وليسوا مخطئين في ذلك التصور ، فان الموت يدهورهم في لجة عين في ظلام جهنم الدامس وعذابها الهائل ، الى ابد الابدين . امَّا وفاة الابرار فهي غروب شمس مخلوقة كثيرة النقائص ، وتجلي شمس جمال الخالق التي لا يعتريها افول . لله در يوسف بلانكو وَيت Blanco White (١٧٧٤ — ١٨٤١) ،

من نوابغ الشعر الانكليزي ، نقد حدته مخيلته القديرة الى تشبيه فرط خوف الانسان من الموت بارتياع ابيه آدم من ظلام اول ليل في حياته ، مع ان ذلك الظلام ما لبث ان كشف له آلاف بدائع عالم النجوم :

« ايها الليل الغامض ، حين عرفك والدنا الاول ، من انذار الله ، وسمع اسمك ، الم يرتمش لهفة على بناية السما. المستحبّة ، على ذلك السُرادق البديع، المصنوع من النور والزرقة ؟ ورا. ستار من الندى الشفّاف ، غاطسةً في اشعة الشعلة الكبرى الغاربة ، وافت الزُهرة مع جيش الكواكب ؛ ها هو الكون قد اتسع في نظر الانسان !

من كان يستطيع الظن ، ايتها الشمس ، ان مثل هذا الظلام كان مختفياً في اشعتك ؟ بل من كان يقدر ، وانت تُزينه الزهور والاوراق والحشرات ، ان يكتشف إعماءك ايانا عن تلك النجوم التي لا عدد لها ؟ فلماذا ، والحالة هذه ، نبتعد عن الموت بجهاد مضطرب ؟ ان كان النور يقدر ان يخدعنا ، فلماذا لا تقدر الحياة ؟ »

على كل حال ليس الموت سوى ثانية جازمة تضع حدًّا لا يمكن تجاوزه لحريتنا وتجاربنا . امّا حياتنا ، وان بلغت اقصى مدى الهرم ، فهي اقل من ثانية بالنسبة الى الابدية التي نسير حتماً اليها . فيجب علينا تخفيف لوعتنا على وفاة اعزائنا الموتى وتواريهم عنا في دياجي القبور ، بامل تأله حياة نفوسهم الكامل في الابدية السعيدة . قد عبّر هنري لنكفلو الاميركي عن تلك الفكرة السامية في ابيات قليلة ، لكنها ابدع من ماسات ساطعة منتظمة على سلك من الذهب الابريز :

« خُذهم ، ايها الموت ؛ واذهب بكل ما تستطيع ان تسميه ملكك ؛ صورتك المطبوعة على هـذا الطين البشري تحولك ذلك الحق ، ولكن ذلك الحق وحده ! خذهم ، ايها القبر ، وأرقد جثثهم مثنية على رفوفك الضيقة ، كأنها ثياب وضعتها النفس على حدة ، ولا قيمة لها الا في عيننا . خذيهم ، ايتها الابدية الجليلة ؛ حياتنا الدنيا ليست سوى عصفة ريح ، تحني اغصان شجرتك ، فتجر ازهارك في التراب ! »

ان الله تعالى ، مبدأنا الاول وغايتنا القصوى ، قاصد ان يتجلى لنا بعد موتنا ، الى دهر الداهرين ، بكماله اللامتناهي الذي عجزنا كل العجز عن استقصا. كنهه الواحد ، فكثرنا اسماءه ودعوناه قداسة ، علماً ، غنى ، قدرة ، عظمة ، جمالاً ، سعادة ، عدلاً ، رحمة ، حباً ، عناية الخ . بيد ان الطبيعة التي اخرجها من العدم بمجرد ارادته الخالقة ، تحتوي في كل مظهر من مظاهرها الفتانة ، بل في كل جزء من اجزائها التي لا يستطيع اسمى العقول كمال فهمها واحصائها ، آية اي علامة مبينة لالهنا وسيدنا المالىء الكون باسره ، مع اختفائه فيه ! ولله در الشاعر الفيلسوف الذي عبّر عن تلك الحقيقة الجوهرية ببيته الخالد :

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على انه الواحد !

فلا بدع بكون اعظم الشعراء الغنائيين في اشهر لغات العالم — وهي مئات — قد حاولوا قراءة اسم الله الجليل في سفر الطبيعة ، بوصفهم شيئاً يسيراً من محاسنها الآخذة بمجامع القلوب .

إسمعوا وليم ووردزوورث Wordsworth الانكليزي (١٧٧٠ — ١٨٥٠) يحدثنا عن شغفه بطير الوقواق الذي قد افعم بالفرح ، بل سحر اياماً لا تحصى من حياته :

« يا حديث المجيء ، الفرح ، لقد سمعتك والآن اسمعك وابتهج . ايها الوقواق ، هل اسميك طيراً او صوتاً متسكعاً ؟ بينما انا منسطح على العشب ، اسمع صيحتك المزدوجة ، وكأنها تجتاز من تل الى تل آخر ، وهي بعيدة جداً وقريبة في الآن ذاته . مع انك تثرثر للوادي دون سواه ، في شأن ضياء الشمس والزهور ، تأتيني بوصف لساعات الرؤى[1] .

ارحب بك ثلاث مرات ، يا محبوب الربيع ! حتى الآن لستَ في نظري طيراً ، بل شيئاً لا يُرى ، صوتاً ، سراً ! انت ذاتك الذي كنت اصغي اليه ايام كنت تلميذاً ؛ ذلك الصوت الذي جعلني التفت بالف وجهة الى الجنب والشجر والسماء . كثيراً ما كنت اهيم على وجهي في طلبك ، وانا اجتاز

١) ربما عنى الشاعر بذلك التعبير ساعات الوحي الشعري .

الغابات واسير على العشب القصير؟ وانت مع ذلك موضوع رجا. وحب، شائق على الدوام وغير منظور اصلاً!

ويمكنني ان اصغي اليك ايضاً، ان انسطح على السهل واصغي الى ان أخرج ثانية الى حيّز الوجود ذلك العهد الذهبي. ايها الطير المبارك، ان الارض التي نمسحها تظهر لنا مرة اخرى مكاناً غير مادي، سحرياً، هو مثوى لائق بك!»

البر رودنباخ Rodenbach البلجيكي الفلمنكي (١٨٥٦—١٨٨٠) يصف لنا جمال انبلاج الفجر وطلوع الشمس في ضيعة من بلاده:

«لاح النهار على الضيعة والريف، وناحية الشرق كلها ملتهبة ومحرقة. المروج المغشّاة بالندى مبخرة، والهيادب[1] متدلية بين الاشجار، والهيادب هاربة على طول النُهير، وكل ورقة تسكب قطرة ندى.

القنبرة تشرع في الطيران الى العلاء، وهي تغرد في اجتيازها الجو الازرق؛ الدوري يسرق على السقوف، والعصافير تزقزق تحت الاعشاب المخضرّة، حين قلعها، ويغني كل ما يُسمع ويُرى.

فوق الحقل الضاحك الاخضر يطنطن الجُريس[2] الرنان البطي. الدقة، والعمال المستيقظون عند شروق الشمس، يتشتتون في كل جهة، في ساحات البيوت وفي الحقول، ويُشرع في الشغل بالصلاة والغناء، وجميع ما يقع تحت النظر يصير حياة.»

وليم كلوس Kloos الهولندي (١٨٥٩—١٩٣٨) يصور لنا بكل الايجاز راحة المساء الشاملة بعد ضجة النهار المزعجة، ثم يبوح لنا بان قلبه يأبى ان يشاطر الطبيعة سكونها الكامل:

«الزهور البيضاء، وهي لا تكاد تُرى، تهتز في الشفق بتأثير زفرة[3] خفيفة. انظروا كيف ينطلق، الآن ايضاً، امام نافذتي، بدوي فجائي، طير مفرط التأخر[4]. وفي البُعد هناك السماء اللطيفة التلون كصدف اللؤلؤ، التي تنحي

١) الهيدب سحابة متدلية بقرب سطح الارض.
٢) جريس كنيسة الضيعة.
٣) يعني نسمة من الريح شبهها بزفرة.
٤) التأخر في العودة الى عشه.

فيها كل صبغة[1] امحاء رقيقاً . . .

الراحة ؟ يا لها لذة عجيبة الغرابة ، فان كل الاشياء ليست في النهار قريبة من القلب الى هذا الحد . لقد ماتت كل ضجة كانت تواصل التكلم[2] عن بعد ؟ الريح والسحب وكل شيء . لا يزال يزداد تمهلاً ؟ كل شيء يبيت كامل السكون . ولا ادري كيف يمكن هذا الفؤاد المتناهي الضعف والسالف اللغوب ان تزيد على الدوام شدة خفقانه ، ان تزيد على الدوام ، فيأبى ان يستريح . »

قوس قزح هي بانتصابها من الارض الى السماء وارتفاعها الشامخ وكمال استدارتها وزهاء الوانها السبعة ، من ابدع محاسن الطبيعة ؛ هي شبه جسر غير مادي بنته اشعة الشمس بعيد المطر المضجر ، رمزاً لكون احزاننا الارضية الزائلة تزول بنا ، اذا قبلناها بالشكر من يد الله ، الى دار الضياء الدائم والسعادة الابدية . لقد اجاد كل الاجادة في وصف تلك القوس العجيبة توما كمبل Campbell الانكليزي (١٧٧٧ — ١٨٤٤) :

« يا قوس الانتصار المائلة السماء حين تأهب العواصف للابتعاد ، اني لا اسأل الفلسفة المتشامخة ان تعلمني ماهيتك . إظهري لي مع ذلك ، كما ظهرت لنظر طفولتي ، محطة متوسطة متاحة لارواح الطوباويين ، ليتزلوا فيها بين الارض والسماء . ايمكن كل ما يعلمه علم النور ان يشرح شكلك ، بحيث انتعم به مثل تنعمي اذ كنت احلم بجواهر وذهب مختفية في قوسك المشعة ؟

على كل حال ليست الاحلام المماثلة للاساطير ، بل كلمات العلي التي قالت لماذا نسجت المرة الاولى في السماء حلتك المصنوعة بالاشعة . حين سطعت بصفة عهد رب السماء على الارض الخضراء المنقذة من الطوفان ، كيف تقدم آباء العالم الموخوطون ليرتقبوا علامتك المقدسة ! يخيل لي ان اول ترتيل منظوم قد رن على الارض المخلصة من المحيط ، وان اول شاعر قد انشد للاحتفال بيوبيلك ولن يستطيع قريضنا ابداً ان يحيّي باقة اشعتك بدون اختطاف الطرب ! فيا موضوع نبوءة مرتقية الى اقدم العصور ، إبقي من الآن موضوع الشاعر !

١) كل صبغة من حمرة الشفق .
٢) قد عربنا هذه الاستعارة الجرئية تعريباً حرفياً .

ما ابدع منطقتك الملقاة على الجبال والسهول والمدن ، او المنعكسة في المحيط الرهيب الى عمق الف باع ! في ذلك الافق المظلم تبدو محاسنك جديدة حديثة ، كما بدت حين لها النسر في اشعتك المرة الاولى بعد انطلاقه من سفينة نوح ، لان الله الامين لكتابه المقدس يعيد الى الآن بنا. انفراج قنطرتك ، ولا يدع المثال الذي بشر الناس بالسلام ، يشحب بسبب الشيخوخة ! »

قلما نجد بين الخلائق المادية المحضة ما يضاهي البحر تمثيلاً للعظمة الالهية باتساعه الرائع ، واقتدرتها باغراقه لاكبر البواخر ، ولاستحالة حدوث ادنى تغير فيها بنبوته على حالة واحدة ، دون القارّات الخُس ، مع تقلبات الزمان الدائمة . لقد ابدع الشاعر المفلق اللورد جورج بَيرون Byron الانكليزي (١٧٨٨—١٨٢٤) ، في وصف ذلك التمثيل ، ابداعاً يجعل قصيدته « الى المحيط » من اجمل منظومات اشهر الالسن :

« واصل دحرجة مياهك ، ايها المحيط العميق والمشبّع الزرقة ؟ الا واصلها . ان ربوات الاساطيل تهرول عليك سدى ! الانسان يُعلم عـلى البر بالخراب ، لكن سلطته تقف عند الساحل ؟ اما على سهل المياه ، فكل غرق هو فعلك ، فلا يبقى ادنى اثر لتدمير الانسان سوى تدمير ذاته ، حين يغوص في لجّ البحر ، مثل قطرة مطر ، في اعماقك ، نائحاً نوحاً مصحوباً بتغمغم ، من دون قبر ولا دقّ جرس النعي ولا نعش ، وهو مجهول !

اوزار الحرب التي تصعق اسوار مدن مشيدة على الصخر ، حاتمةً على الشعوب الارتعاش ، وعلى الملوك الارتعاد في عواصمهم ، البوارج الجبّارة المصنوعة بخشب السنديان ، التي تجعل ضلوعُها الفاحشة مبدعها المصنوع من التراب يلقب ذاتـه تلقيب الكبريا. بمولاك والسيد المطلق للهيجا. ، كل هذه هي لُعبك ، ومثل قطعة من رُضاب الثلج ، تذوب في خميرة امواجك التي تشين على السواء تعجرف ارمادا[1] وغنائم ترافلكار[2] .

١) كلمة اسبانية معناها اسطول حربي . سمى المؤرخون « ارمادا المستحيل قهرها » الاسطول الجبّار الذي سيّره فيلبس الثاني ملك اسبانية ، سنة ١٥٨٨ ، لمحاربة انكلترة ، فلاشه العاصفة .

٢) اسم رأس في اسبانية في جهة مضيق جبل طارق الشمالية الغربية ، وقد انتصر في جواره الاميرال الانكليزي نلسون (Nelson) على اسطولي اسبانية وفرنسة المتحالفين ، سنة ١٨٠٥ .

شواطئك ممالك قد تحولت الى كل شيء سواك . اشور واليونان ورومية وقرطجنّة ، ما هي ؟ مياهك قد افنتها اذ كانت حرة ، وبعدئذ عدة طغاة ، فسواحلها تخضع الآن للاجنبي او العبد او المتوحش . اما انت فعلى غير ذلك الحال ؛ تأبى التحول الا عند لهو امواجك الشديدة . الزمان لا يرسم غضناً على جبينك اللازوردي ، فتدحرج مياهك الآن كما رآك فجر التكوين !

انت ، يا مرآة مجيدة تنعكس فيها صورة الكلي القدرة حين العواصف ، انت الذي في كل آن ، في الهدوء او التشنج ، عند هبوب النسيم او العاصفة او الريح الزعزع ، حين جمودك في القطب او وجودك في اقاليم القيظ ، لا تزال حزيناً ، خافقاً ، بلا نهاية ، بلا حدود ، فائق الجمال ، رمز الابدية ، عرش الاله الخفي . حتى من طين قعرك تُجبل حيوانات اللجج الجبّارة . كل منطقة تطيعك ، وانت تسير قُدماً ، رهيباً ، غير قابل السبر ، وحيداً !

ولقد شُغفت بك ، ايها المحيط ، وكان فرحي بملاهي الشباب ان اكون محمولاً الى الامام على صدرك مثل نُفاخاتك . منذ الطفولة كنت اعبث بامواجك المتقهقرة بضجة بعد الاصطدام . كانت نعيماً لي ، واذا هيّبها اليَّ البحر عند برودته ، كانت هيبتي مطربة ، لاني كنت مثل ولد من اولادك ، اثق بامواجك في كل مكان ، وأضع يديَّ على لبدتك كما افعل الآن . »

لقد قيل بكل الصواب ان الهيام يوجد حتماً بعض المساواة بين المحب ومحبوبه ، ولو كان بين مقاميهما بون شاسع . ومن ثم قد حث الشغف بمحاسن الطبيعة نوابغ الشعراء على اعارتها نفساً بشرية تشاطرهم افكارهم وهمومهم ، افراحهم واحزانهم . ما اشد طرب توما مور Moore الانكليزي(١٧٧٩–١٨٥٢) باصغائه المتواتر الى احاديث اجراس المساء :

« اجراس المساء هذه ، اجراس المساء هذه ، كم من حديث تحدثنا موسيقاها عن الشباب والوطن وذلك الزمان اللذيذ الذي سمعتُ فيه آخر مرة الحانها المتآلفة ، المسكّنة ! تلك الساعات السعيدة قد مضت ، وكثير من القلوب التي كانت وقتئذ جذلة ، تسكن الآن في ظلام القبر ، فلا تعود تسمع تلك اجراس المساء ! وهكذا يكون بعد رحيلي ؛ سترنّ دقة الاجراس الرخيمة ،

بينا يسير في هذه الاودية شعرا. غيري، ويترنمون بدبحك، يااجراس المساء اللذيذة! »

جورج موريس Morris الاميركي (١٨٠٢ — ١٨٦٤) يعدّ سنديانة اظلته طول اعوام شبابه، صديقة عزيزة جدًا، فينهى الحطاب عن مساسها بفأسه المحطّمة القاسية:

« يا حطاب، لا تؤذ هذه الشجرة! لا تمس غصنًا واحدًا منها، فقد اظلّتني في الشباب وسأحميها الآن. يد جدي هي التي جعلتها في جوار كوخه، فهناك دعها، يا حطاب، يجب الا تؤذيها فأسك!

اذ لم اكن سوى صبي كسلان، كنت اطلب ظلها اللطيف. هنا ايضًا كانت اخواتي يلعبن بأتم الفرح الطافح، هنا كانت امي تلثمني وابي يصافحني. إغفر لي هذه الدمعة البلهاء، لكن دع هذه السنديانة القديمة!

ايتها الصديقة القديمة، حولك متعلقة الياف قلبي، شديدة القرب منك مثل لحائك! فلا بد من ان يغرد هنا الطير البرّي ويواصل امالة اغصانك. ايتها الشجرة القديمة، اثبتي على مجابهة العاصفة. اما انت، يا حطاب، فغادر هذا المكان، ما دامت لي يد للانقاذ، لن تؤذيه فأسك البتة! »

هنري لنكفلو الاميركي، السابق ذكره، قد سمّى تعويم سفينة تزوجها للبحر، فبلغ ذروة الابتكار والاجادة في وصف العروسين يوم اقترانهما السعيد:

« لقد تم كل شيء، اخيرًا وافى عرس الجمال والقوة، اليوم تُعوّم السفينة. السماء قد بيّضتها غيوم مجمّدة، وعلى الفُرضة تطلع الشمس الكبيرة، متهللة ومحلاة بكل حلاها البهية، لتشاهد ذلك المشهد. البحر الهرم، ابن العصور المديدة، القوي والمستقل مثل الشباب، يسير مضطربًا، من جهة الى اخرى، يصعد الى الرمال الذهبية وينزل منها. قلبه الخافق لا هدوء له، في كل فضائه الرحيب تهتز لحيته البيضاء. كالثائج مع اهتزاز صدره، بتموج غير منقطع، ينتظر عروسه بفروغ صبر. هي واقفة هناك، ورجلاها على الرمال، مزيّنة بالاعلام البهيجة، احتفالًا بيوم زواجها. راياتها البيضاء كالثلج ترفرف، ويختلط بعضها بالبعض، وتنسدل حولها شبه اللثام، وهي مستعدة لتكون عروس البحر الهرم الشائب. »

إرنست راوباخ Raupach الالماني (١٧٨٤–١٨٥٢) قد رثى لفرط شقاء بنفسجة ذبلت في ريعان شبابها ، فاتّقح وزعم ان الله تعالى قليل العناية بها ، فافحمته الزهرة المتواضعة ذاكرةً له كثرة النعم التي غمرها بها خالقها، ومؤكدةً له تجدد نضارتها وازدياد حسنها في الربيع القادم :

« قلتُ امام بنفسجة ، وانا واقف بجانب ساقية ؛ قلت لبنفسجة شقية وجدتها ذابلة : « قد انقضت حياتك الجميلة ! بسرعان ما ذبلتِ ! كيف يسوغ للرب القاسي ان يقصّر مهلة حياتك الى هذا الحد ؟ »

فقالت البنفسجة التقية : « لا توبخنّ الرب ؛ لو تشكيتُ من نصيبي ،
« لاستحققت دينونة عنيفة . لقد ضفر حياتي القصيرة ، من الفخوم الى ختامها،
« بالافراح فقط ؛ ماذا اعطيته عوضاً عن ذلك ؟ جعلني انبت فرحةً بجانب هذه
« الساقية الفضية ، ومنحني من اشجار ملتفة سقف اوراق واقياً . لم يترك دودة
« صغيرة تقضمني ، بل جعلني اغرّ جميلة هيفاء ، واعطاني بعد الايام الحارة
« شراب الندى المرطّب . لي كان نعيم المساء ، لي كانت ابهة الصباح ؛ كانت
« الشمس تلثمني في النهار ، والقمر اللطيف في الليل . فاذا انخفضتُ الآن
« رويداً ، فالسنة تجري مجراها ويعود ربيع ، فاتفتح بجمال اشدّ ! »

لقد حان ختام هذه المقالة التي سداها تعريبنا الدقيق لبعض فرائد الشعر الغنائي في اللغات الجرمانية، ولحمتها نظم تلك الدرر اليتيمة في سلك واحد يجمع شملها بعد شتاته ، ويوطد ارتباطها بترتيبها على حسب موادها . وكما ان زائر متحف صور وتماثيل رائعة يغادره بنشوة الطرب السامية مصحوبةً بفهم اعمق لاصول التصوير والنحت؟ نؤمّل ان الخارجين من معرض بدائع القريض الجرماني يزيدون معرفةً لما يقتضيه الشعر المحض — وهو ملك الفنون الجميلة — من سمو الافكار ونُبل العواطف وابتكار الخيالات ، فضلًا عن وضوح التعبير وكمال انسجامه .

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلّامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف الدال

الدامور — بلدة مشهورة في ساحل لبنان وأسمها سرياني بمعنى العجب أو باسم الإله تامار او دامور بمعنى المحامي من آلهة الارامين والفينيقيين او باسم دُمّر ومنها بلدة دمّر قرب دمشق الشام وقربها كتابة على صخر .

دان — عبرانية بمعنى قاضٍ وفي بلاد بعلبك قرية (كفردان) اي قرية القاضي .

دان (بانياس) = دان عبرانية بمعنى القاضي وبانياس باسم إله الغاب عند اليونان .

درعون — سريانية — البويب وهناك محل يدعى البويب .

درغاتا — سريانية — الدرج .

دركوشه — سريانية المغزل او صومعة الراهب .

دريّا — سريانية — الذراية او التذرية في بيادر الحبوب ودوسها .

الدلاص — شير الدلاص القلعة — سريانية — وعلى كنيسة مار يعقوب في حصرون (لبنان) إشارة إلى ان رهبان الدلاص زاروا هذه الكنيسة .

الدِرَكي — اسم بركة في مدينة بيروت وهو لفظ فينيقي بمعنى الماء كما ذكر ڤولني وهذا ينفي قول من قال ان اسم بيروت فينيقي هو جمع بئر لكثرة الآبار فيها مع ان ماءها كثير .

دملصا — سريانية — المحل الحريز الذي لا يغلب ولا يرام .

دميت والبعذي والجربان (شوف لبنان) سريانية الجنجل وهي بقلة والدليل

على ذلك انه في الجية يوجد محل يدعى — ادنيت — والبحري بجواره .

الدوق — سريانية — المطل وهو المكان الذي يشرف منه .

الدوير — دوير الرمان — سريانية — علية .

دير عوكر — سريانية — بمعنى الوليمة .

ديك المحدي — والمحتي قرب عبرين (لبنان) سريانية بمعنى نزالة — سيلان الارض من المطر .

دفنه — يونانيــة بمعنى — الغار — وهو من شارات ابولون اليوناني (اي تموز الفينيقي) وهي قرب انطاكية فيها شلالات مشهورة ودفنه هي ابنة نهر باني Pénée المعبود في تساليه كإله فكلف بهـا ابولون إله النور لجمالها وتبعها فتضرعت الى ابيها الإله باني ليخلصها منه فمسخها (غاراً) جميل المنظر (ودفنه) في كسروان على بعد ساعة من غزير الى الشمال الشرقي كلها غابات . ولعل ابولون هو تموز الفينيقي الذي كان الغار من شاراته وفي — دفنه — هذه آثار معبد بقيت بعض حجارتـه الضخمة . وجرت اليها المياه من نبع المغارة لوجود خنادق هناك تدلُّ عليها . وقرب بانياس في نواحي حاصبيا ومرجعيون بلدة سميت — تل دفنه — .

دفون — سريانية — الصندوق وقيل التابوت .

دمشق — تماسكو في الكرنك وهي سامية بمعنى مشرة اشارة الى غوطتها .

دَمنهور — مصريتها القديمة — ديمي ن هور — مركبة من ثـلاث كلمات — ديمي — مدينة و — ن — علامة الإضافة و — هور — المعبود المصري. فمعناها — مدينة المعبود هور — فقال العرب بالنحت — دمنهور .

دمياط — اصلها — تامهيت — من كلمتين — تا — ارض و — مهيت — البحري فمعناها ارض الوجه البحري وقال العرب — دمياط — .

دير القرقفة — موقعه على قمة فوق كفرشيما المشهورة والاسم سرياني بمعنى — دير الجمجمة — .

ديار بكر — تنسب الى بكر بن وائل بن قاسط سماها الرومان — آميد — وهي أهم حصن روماني في اعالي دجلة وتسمى الآن — قره آميد — اي اميد السود اللون حجارتها السوداء .

دير القمر — قصبة مشهورة في شوف لبنان .

دير ترعيل — في جهات حلب — سريانية بمعنى باب الله .

الدياس — يونانية ذيموس بمعنى غرفة وتطلق على ما يحفر من المغاور تحت الارض وهو النفق وهي قرية على طريق دمشق من زحلة والبقاع في الصحراء. ومن امثال العامة عندنا (بفرجك مين سرق الناس من الدياس) للتهديد ولها قصة تدل عليها المثل اي سارق الناس من هذه القرية سبب ربط الطريق على المارة مدة وذلك لان القرية في البرية قرب الطريق فقطعوا السبيل .

دير قانون — على طريق دمشق بالوادي بينها وبين رياق (اي دير قونون) باليونانية بمعنى — دير القانون — .

دار السعادة — من اسماء القسطنطينية بعد الفتح العثماني وذلك للتفاؤل مثل — دار السلام لبغداد و — المحروسة — للقاهرة .

دير مُرّان — في صالحية دمشق لعلها — دير يُوران — بالسريانية او تحريف — دير الرمان — .

دومة — معناها السكوت .

دورس — قبة قبال قامة بعلبك لعلها Doris ابنة اوسيانوس وزوجة فيريوس احد آلهة البحر .

دير — الزُور — كان قديماً يسمى دير الراهبات تبع لرحبة مالك بن طوق ثم سمي دير الشعّار لان فئة من سكانه لا يزال لها بقية باسم الشعار كانت تنشد العربان اشعاراً على نغم الربابة . ثم صار الآن دير الزور عند الاتراك — اي دير البساتين والعودات .

دير عطيه — ربما نسبت الى دير هناك باسم القديس تاودورس وهو لفظ يوناني معناه — عطاء الله — .

حرف الذال

ذِكابُوْلِس — Decapolis — يونانية من — ديكا — عشرة وبوليس المدن =

اي المدن العشرة وهي مقاطعة في شرق فلسطين تشمل المدن العشرة الكبيرة وهي دمشق وفيلادلفيا ورافاة وسكيتوبوليس وجدرة وهبوس وديوف وبلا وجلاتا (اي جرش) وكناتا كانت هذه المدن مدة طويلة متحدة فاطلق عليها هذا الاسم في القرن الاول للميلاد . ومنحت امتيازات سياسية بعد فتح الرومان لسورية سنة ٦٤ قبل المسيح .

ذِيُوسْبُولِيس — Diospolis يونانية معناها — مدينة جوبيتر — اي المشتري اسم لعدة مدن في مصر السفلى والصعيد .

حرف الراء

راس الشقعة — فوق البترون في لبنان (راجع كلمة — ترابوزان —) .

الرَّامة — مدينة فلسطينية ، ذكرتها التوراة مرارًا ومعناها — علو — او — نجد — وهي اصل آرام — اي نجاد — واصل المشتقات الاخرى كرام ورامتايم وراموث ورامي ورامة بمعنى التل اسمها القديم — اريتاتية — .

رَامُهُرمُز — قال ياقوت معناها بالفارسية (مقصود هرمز) وهي مدينة من نواحي خوزستان .

رَامْيا — سريانيتها — رُومَايُو — اي الماء الفائض هي في لبنان — و — رُو — عربيتها — الريّ — .

ربلة — عبرانية — بمعنى — الخصب — وهي قرب حمص قرية قديمة .

الرَّقّة — بالفتح ثم التشديد كل ارض الى جنب وادٍ ينبسط الماء عليها ايام المدّ ثم ينضب فيكون مكرمة للنبات جمعها رقاق . والرقتان بلدتان وهما الرَّقّة — والرافقة (في البستاني) والصواب الرافقة قيل لها ذلك من باب التغليب كالقمرين للشمس والقمر .

رُمُون — راجع هَدَد .

رَمّ — Ramm قال ابن الفقيه — الزموم — معناها بلغة الفرس — محال الاكراد — ومنازلهم وهي مواضع بفارس منها — رم الحسن بن جيلويه —

وسمي — رم الباذنجان — وهو قرب شيراز .

الرها — راجع اوذسا — سريانيتها — أورهي — بمعنى — قلعة الحي — او محل الحيّ وتسمى الآن — اورفا — .

رُوْدِسْ — Rhodes يونانية بمعنى — الورد — وهي اسم جزيرة في البحر المتوسط كان سكانها الاولون من اهل دوري وتتألف اذ ذاك من اقدم مدن الجزيرة وهي ثلث لندس ويالسوس وكيروس .

رُوْمْ قَلْعَة — لفظة تركية معناها — قلعة الروم — في تركية آسية على الفرات .

ريّاق — يونانية — رياكي Riaci اي مجرى الماء او السيل .

الآثار المطوّية (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٧٩

جواب الفقده (الافتقاد)

حضرة اخونا عبدالله المحترم

بعد الاحتشام وكمال الاحترام والسؤال عن غالي سلامتكم على الدوام . بابرك وقت وصل تحرير خوتكم وفهمناه وحمدناه تعالى لصحة سلامتكم ومن وفور غيرتكم به مسالين(مسائلون) عن حال اختكم فاننا بجوله تعالى وحسن نيّتكم حين رقمه حايزين تمام الصحه المرجوه دوامها لخوتكم . رجانا دايماً تكرموا علينا بتعريف الاطمئنان لنكون دايماً من نحوكم مقرّين الناظر ومجبورين الخاطر في بشاير صحتكم وتوفيق احوالكم . ومنا لثم ايدي حضرة خالنا المحترم. ومنا وفور الاشواق لحضرة اختنا والدتكم ولخوانا اخوتكم المحترمين من بعد السوال عن صحتهم . ووصل انطون نترجاكم تأمروا ولدنا شاهين يحضر صحبته على العبود والمذكور اخد (اخذ) منا كراه انه بيحمل ولدنا وانتم افهموا شاهين انه لا يمشي ولا قدّم . نرجا(نرجو)عدم المواخده باصداع خاطركم. ودايماً طمنونا عن صحتكم وصحة من ذكرنا ودام لنا بقاكم .

اختكم والدة شاهين الدحداح[1]

٨٠

غيره

جناب حضرة الاديب الكامل . الوارد من اللطف اعذب المناهل . من

---

١) يظهر ان هذه المرأة كانت تعرف باسم : امّ شاهين . وقد سبق نص كتاب لها من البطريرك يعقوب الارمني .

اذا لفظ نظم الدرر . واذا كتب رأيت الطرر على الغرر . نابغة الزمان . حايز قصب السبق يوم الرهان . محبنا المحترم دامت عليه سوابغ النعم .

غب اهداء جنابه عطر شوق يفاوح الزهور . وضياء ثناء يفاخر الشموس فضلًا عن البدور . فالمبدي لجنابكم الذي ارجو بقاءه . وعلوّه وارتقاءه . ان لسان القلم في ترجيكم طـال مع انه من شكر اياديكم في قصور . ولو عتبتم عليه لانشدكم ما يحملكم ان تجاوزه اكبر معذور ، وهو قول بعض البلغاء . شعر :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد احدًا سواك الى المكارم ينسبُ
فاصبر لعادتك التي عوّدتنا او لا فأرشدنا الى من نذهبُ

ومن جملة من يترجا ان يحلّ كسير نظركم عليه . وتميلوا بجانب العطف والحنو والمساعده اليه . رافع الوكة المودة . الباذل في شكر جنابكم جهده . القيسي[1] الذي ضربه حادث الدهر بامضى يماني . والعاني الذي كلّ لحظه لمرضه يعاني . لان المذكور مما اتضح حاله عند جنابكم واشتهر . وانتم اولى من رحم عزيز قوم ذل وغنيّ قوم افتقر . فنرجو ان لا يرجع من رحابكم ذلك المذكور . الا وهو قرير الطرف وقلبه مجبور . ويكفيكم منه دوام دعائه وطول ثنائه . هو وعياله الذين يموتون لفقره . ويعيشون ليسره . اسأل الله تعالى ان يديم لكم الارتفاع . كما ادام بكم الانتفاع . والرجا دوام المراسله . ومن عندنا جميع الاحباب يهدون مسك الشوق لذاك الجناب . . .

٨١

غيره مثله

ان السعادة امرٌ ليس يدركهُ كلُّ الخلائق الّا بالمقادير
متنوعةً من اناس طالبين لها وقد تُساقُ الى قوم بتسخير

ان ابهى ما نظمتهُ الحور في النحور . وجلته ايدي الحبور من صدور النحور . درر اشواق . وغرر اتواق . تتألق بروقها . ويخفق في خافقي القلب والاحشاء شروقها . حتى تري لطافتها بالشمول . وتحملها نسائم القبول . الى

1) ان البلاد كانت مقسومة قسمين : قيسي ويمني ، ثم يزبكي وجنبلاطي .

جناب ريحانة الاحباب . ومفخر الكتّاب . ولا نشز من يحاكيه قول الشاعر النبيه . شعر :

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت نفسك بالمداد

جعل الله السعادة بالسنة اقلامه محفوفه . والظرافة في ثغر دواته مظروفه . وافلاك القبول بها محيطه . اصناف الادب بها منوطه . ولا برحت تنشد بلسان حالها بين اقرانها وامثالها .

انا دواةٌ يضحك الجود من بكا يراعي جلّ من قد براهُ .
دلّوا على خلي من مسّهُ داءٌ من الفقر فاني دواهُ .

غب اتحاف جنابه بانوار تلك الاشواق القلبية الصادرة عن زيتونة المحبة التي هي لا شرقية ولا غربية . والتضرع بدوام مسرّاته . وطيب دقائقه واوقاته . فالذي نبديه وصول طرس البشاره . الفائق في البراعه والعباره . الذي لو جاء رآهُ قس في ميدان البلاغه لقصر عن ان يشق غباره . فكان وروده اهنأ من الما للصادي . واهدى من طلوع الفجر للغادي . واشهى من مناجاة الحبيب . في غفلات الرقيب . فطالما تطاولت لمشاهدته اعناق الرجال . حتى ظنناهُ هلال شوال . وكم انشد عند رؤيته كلٌّ منا وقال . شعر :

ورد الكتابُ فرحباً بوروده اهلاً وسهلا .
اذ كان بالفضل المبين م وبالبلاغة مستقلّا
وافى فيا لله ما اشهى فكاهتهُ واحلى
وغدا يهنئنا فقد عظم السرور به وحلّا

فاما ما اغرب واعرب . وبشر بحصوله واطرب . فذلك ما كنا نبغي من الرحيم . وما كنا نرجوهُ من جوده العميم . فعندما حقق الله تعالى ذلك الرجا . ولم يضع من اليه التجا . شملت تلك البشاره اقطار جوارحنا . واحاطت باعضائنا وجوانحنا . واشنف خواطرنا داعي الطرب . وسرّنا جميعاً باوغ الارب . لما منح الله تعالى به جنابكم من خدمة سعادة افندينا وليّ النعم التي صفت مشارعها . وعذبت منابعها . وطابت مغارسها . وحسنت ملابسها . فلقد جمّلها انقه وشرّفها . وعضد عضدها واكنفها . اذ من المعلوم ان شرف الاعمال بالعمّال.

كما ان شرف النساء بالرجال . ولعمري ان سعادة افندينا وليّ النعم . ادامهُ الله تعالى باسطاً يد الكرم . هو المهذّب الخبير . والناقد البصير . فالحمد لله الذي ألهم الهمة الجزائرية السداد . وحثّها على اصلاح امور البلاد والعباد . حتى وُضعت الاشياء في محالها . وفُوّضت امور هذه الخدمة الى الخبير بعقدها وحلّها . فالله تعالى يبقي فراسة سعادته الذي لا يطيش سهمها . ولا يتكدر نجمها . والله المسؤول ان يجعل هذه الخدمة بداية الخير والنوال . ومقدّمة نتائج العزّ والاقبال . وان يديما غرّةً في جبهة الايام ويعمّ بالحسن مبدأها والختام . ودائماً تواصلونا باعلامكم السارّة . مقرونة بما يقتضي من الاغراض الكثيرة والنادرة . . .

محبّ مخلص

وجاءت في آخر هذه « السفينة » المخطوطة ، وصيّة الشيخ جهجاه الدحداح لابنه خطّار والبكها بحرفها الواحد :

« ينبغي اولاً يا خطار ان تتعلّم قواعد الايمان قبل كل شيء وعلّم اخوتك فاعود وحنا ودائماً يكون اتكالك على شفاعة البتول مريم عليها اشرف سلام لان بدون الاتكال على راحها باطل كل تعب وامل . ودائماً اذكر موتاك بالقداسات والمنقطعين ايضاً . فالباري يجازيك خيراً وتوفيق بهذه الدنيا والآخرة يعطيك النعيم الابدي حيث انك تبقى حافظاً الناموس الإلهي مع تكرار الإعترافات والمشية اللايقة بحسن الكمالات والادب بين الناس لان ذلك واجب ولايق وبما يرضي الله والخلق . وايضاً مشية الحسنة تدلّ على حسن الديانة واذا كان الإنسان متمسك في ديانته جميع الخلايق تعتبره ويزيد توفيق بهذه الدنيا والكمالات العالية تريده محاسن . ودائماً يكون عندك الإفتكار ان هذه الدنيا زايله . وفي كل ساعيك يكون خوف الله امامك لكي تتوقى من فخاخ عدو الخير خزاه الله . واياك والكذب لانهُ يشين الرجال والشاب بالخلق ايضاً » .

يقول الناشر — الاب انطونيوس شبلي — هذا ما استحسنّاهُ ونشرناهُ من المخطوطة المسمّاة « السفينة » للشيخ جهجاه الدحداح ، ورأينا تكرار وصيّته لابنه خطار ، بان لا يدنو من الحكّام والبعد عنهم خيرٌ من القرب اليهم وقد لا ينجو من عاقبة سخطهم وانه يفضّل ان يشتغل في ارضه ولا يغتر بخدمتهم التي ربّما تجرّ عليه آخراً البؤس والهلكة ولا يعرف حلول ساعات الرضى وساعات الغضب . قال الشاعر :

ان الملوك بلاء اينما حلّوا — فلا يكن لك في اكنافهم ظلّ
ماذا تؤمّلُ من قوم اذا غضبوا — جاروا عليك وان أرضيتهم ملّوا
وان مدحتهمُ ظنّوك تخدعهم — واستثقلوك كما يستثقل الكَلّ[1]
فأستغنِ بالله عن ابوابهم كرَمًا — انّ الوقوف على ابوابهم ذلّ

وتكفي وصيّة الشيخ جهجاه لابنه خطّار التي ختم بها هذه المخطوطة الأثريّة، لان توفع منزلته في العيون والقلوب، لانها تنبئ، كما رأيت، عن رسوخ عقيدته وصحّة ديانته ووفرة عبادته وشدّة تمسّكه بأهداب الدين والآداب وعن تمدّد لسلطانة السماء والارض مريم العذراء. وفيها من النصائح الخلاصية المؤدية الى الحياة السعيدة الابدية ما يطيب وقعة ويُستعذب سمعُهُ. وهناك شبه بين هذه الوصيّة وبين وصيّة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان لصاحبه ابي يوسف اذ قال لهُ:

«يا يعقوب وقّر السلطان وعظّم منزلتهُ، واياك والكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقتٍ ما لم يدعُك لحاجةٍ، وكن منهُ كما انت من النار تنتفع منها وتتباعد عنها... وعليك بتقوى الله تعالى وإداء الامانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ولا تستخفّ بالناس وقرّ نفسك ووقرهم...[2]»

١) الكَلّ بفتح الكاف: الثقل.

٢) كتاب «الاشباه والنظائر» المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٢ هـ. صفحة ١٧١.

علم الادب[1]

توطئة

ان الطيّب الذكر الاب نعمة الله ابو ناضر، عَلَمٌ من اعلام البيان والتبيان، وحجة بالقلم وذرابة اللسان، اذا نظم سحر، واذا خطب خلب، واذا كتب سلب، فهو موسوعة معارف، فاذا سألتهُ واستكتبته جال وصال، وأفاد وحلّق في كلّ معنىً ومقال ومآل. برع في اللغة العربية ودانت له شواردها واوابدها، وصرفها ونحوها، وعروضها وقوافيها، وملك عنان رقابها، يفرغُ المعاني في قالبٍ فصيح من المباني، فيأتيك بالدرر والغرر مغلّفةً بثوب جميل مطرّز الحواشي موشّى بقلمه المراع. واذا قرض الشعر سبكهُ وحبكهُ ورصّهُ في بنيانه فيتعارف ويتعاطف ويتلاحم ويتلاصق ويلزُ ويشتدُّ حتى يصحّ ان يُسمّى بالبنيان المرصوص، ولا تستطيع ان تقتلع من قصيدته بيتاً بدون ان يُعرف موضعهُ.

درس في جامعة القديس يوسف في بيروت واتقن اللغة العربية حتى غدا من جهابذتها، والفرنسية واللاتينية واليونانية والتركية وفنَّ المحاماة. وكان محرّراً جريدة « روضة المعارف » الاسبوعية في بيروت[2] اذ كان يدعى شاكر ابو ناضر. وهو شقيق المحامي الشهير طانيوس بك ابو ناضر – بسكنتا – وعمّ روكز بك ابو ناضر. وقد علّم المعاني والبيان في جامعة القديس يوسف اذكان عالماً. وفي اثناء وجوده فيها كان الشيخ ابرهيم اليازجي يتردَّد على هذه الجامعة لتنقيح عبارة الكتاب المقدس. وقد سافر وتعرَّف بجمال الدين الافغاني الشائق الشهرة، فكان يحضر مجلسه مع تلاميذه ومريديه الذين كانوا يلتفّون حوله لاستماع دروسه ودرر حكمه. وكان كلٌّ منهم يلقي موضوعاً في عقد الاجتماع يقترحهُ عليه السيد احياناً. فبعد ان القى شاكر ابو ناضر محاضرته أُعجب به احد الحاضرين. ولما نزل شاكر عن المنبر قال لهُ: « ضيعانك تكون مسيحي » فسمعه جمال الدين وصاح به باعلى صوته ضارباً كفاً بكفٍ قائلاً: «دعهُ في دينه».

١) بقلم الاب نعمة الله ابو ناضر الراهب اللبناني.

٢) راجع عدد جريدة « البشير » البيروتية الصادر في ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٣

والحادثة أليمة عرضت لشقيقه طانيوس ابو ناضر، لا محلَّ لذكرها هنا، كره شاكر الدنيا وما فيها من الكذب والنفاق وملَّ عشرة الناس وترك التعليم فجأةً في جامعة القديس يوسف وكان وقتئذٍ يدرّس صفَّ البيان وأحب حياة الزهد والاختلاء، فانضوى الى رهبانيتنا اللبنانية المارونية وترهب في دير مار قبريانوس كفيفان تحت ادارة رجل الفضيلة والتقوى المرحوم الاب اغناطيوس داغر التنّوري ودُعي باسم الاخ نعمة الله. وقد كان كاهن راهب من بسكنتا من اسرته يسمَّى بهذا الاسم ترأس على دير مار يوحنا مارون قبيع. وسأل احد تلاميذ صف الخطابه في الجامعة المذكورة استاذه رشيد الخوري الشرتوني: «أصحيح ان الاستاذ شاكر ابو ناضر ذهب الى الدير للترهب؟» فاجاب: «نعم صحيح! رجلٌ عرك الدنيا وعرف ما فيها من الاباطيل فزهد فيها وتخصص لخدمة ربه فهنيئاً له.» وأقيم كاتم اسرار الرئاسة العامة في عهد قدس الاباتي اجناديوس سركيس، فلم تخرج رسالة من الرئاسه العامة ولم يخط سطر في سجلاتها الا من قلمه.

ومن آثار قلمه: «رواية الاهوال» ورواية «الطبيب الطريد» نُشرت تباعاً في جريده «البشير» ثمَّ جُمعت على حدة سنة ١٩٢٠ في ١٩١صفحة وكتاب «الاقتداء بمريم» ترجمة. لم يزل خطاً ومقالات في علم الادب وهي التي ستأتي وله قصائد عديدة ومقالات مختلفة هنا وهناك.

وعهدت اليه الرهبانيه تعليم اخوته الرهبان التلاميذ اخاً وكاهناً، فزاول هذه المهنة بسرور وانبساط وجلَدٍ غريب الى اواخر حياته. وهو الذي نهض باللغة العربية في الرهبانية ونفخ من روحه في صدور تلاميذها، وهي تذكر له جهاده وسهره وتضحيته بالخير والثنا... كان راهباً وديعاً عفيفاً متجرداً متواضعاً طائعاً فقيراً مترفعاً عن خيرات الدنيا، حاضر البديهة فصيح اللسان، جيد البيان. ذكيّ الجنان كثير النوادر، سريع الخاطر حاضر الجواب المحكم المقنع، حلو المعاشرة، لذيذ الحديث، وحديثهُ — اندى على الاكباد من قطر الندى — فلا يملُّ منهُ السامع لان عنده دائماً شيئاً جديداً لذيذاً، حبياً الى كل القلوب — كأنهُ من كل الطباع مركَّب — ميالاً الى المباسطة والمفاكهة عندما يثقل عليه التعب من الدرس او التعليم. وكان كريم الخُلق سماحاً يجود بمعرفته وخبرته على كل سائل:

«فما الروضة الزهراء يعبقُ نشرها بأطيب يوماً من خلائقه ريّا»

وقد درسنا عليه المعاني والبيان، وكان إماماً في هذا الفرع في شرح كتاب «عقود الجمان في علم البيان» للشيخ ناصيف اليازجي، طويل الاناة على تلاميذه، لا ينفك عن التلميذ الضعيف حتى يفهمه شرح الامثولة . ومما عُرف به ان كلامه في الشرح كان صحيحاً معرباً ولو استغرق اكثر من ساعة . وفي هذه الاثناء كان يملي علينا صفحات مختصرة جميلة في علم الادب . وزاول مهنة التعليم حتى عُيّن رئيس معاملة ادبار المتن والقاطع، فبانقطاعه عن التعليم انقطعت سلسلة تلك المقالات في علم الادب الشائقة وصرفته اشغال وظيفته الجديدة عن متابعتها . ولو ظلّ استاذاً للمعاني والبيان لكان ألّف منها كتاباً مشرق الديباجة جديد الفكر غزير النفع . وهذه هي مقالاته الطريفة في علم الادب التي كان يمليها علينا فنكتبها :

تمهيد

الفصل الاول

في علم الآداب العربيّة

ان لعلم الآداب على الاطلاق تعريفين : الاول وهو ما يرد في كتب علم الادب واصوله . انه عبارة عن قواعد او قوانين تؤدي مراعاتها الى اكتساب فنّ الكتابة . والثاني هو عبارة عن مجموعة كتابات الادباء الذين كشفوا لنا عن حقيقة هذا الفن .

فان علم الادب بالنظر الى تعريفه الاخير انما هو مجمل ثمرات القرائح التي بها يظهر العقل البشري بواسطة فنّ الانشاء او الكتابة . على ان كلّ كتاب يبيّن ويكشف لنا عن مكانة عقل واضعه وشعوره فانه مرآة نفسه . ومجموعة هذه المؤلفات التي ظهرت للوجود في عالم الادب تبيّنُ لنا ما كان عليه كتّاب كلّ عصر وكل مصر من قوّة الفكر وشدّة الشعور الخاصة بهم .

ان علم الادب هو لسان حال الامّة وهو صحيفة من التاريخ العام لان الكتّاب الذين وصل الينا منثورهم ومنظومهم يبيّن لنا ما كان عليه معاصروهم من التراوح

بين اليقين والشك والسرور والحزن، وما كانوا عليه ايضاً من شدَّة العارضة وضعف العقل فانهم كانوا كصدى تلك الامة الصادق في نقل حكاياتها .

فانه لا محلّ في علم الادب الّا لكل كتابةٍ يُعتبر انشاؤها . امّا تاريخ الادب فيستقري جميع ارباب الاقلام من اول نشأة اللغة التي كتبوا فيها الى حين تلاشيها اي حتى تصبح تلك اللغة من اللغات المندرسة . فان هذا التاريخ كناية عن معرض تُعرض فيه جميع القرائح المولّدة او كلّ صاحب قلم ظهر في عالم الادب والفضيلة في ذلك التاريخ هو ان صاحبه يستوعب جميع الكتّاب اي من اية طبقة كانوا ولا يغفل عن ذكر احدٍ منهم .

الفصل الثاني

في كتب علم الادب التعليمية

ما هي كتب علم الادب ؟ هي بعض الكتب التي تفرّدت بحسن الانشاء، او بعض الاعصار التي عُرف كتّابها بحسن الانشاء . فصلحت ان تُتخذ قاعدةً يُؤخذ عنها هذا الفن .

فعصر علم الادب عند اليونانيين يبتدئ من نهاية الحروب المادية وينتهي بنزوات اسكندر الكبير . ويبتدئ عند الرومانيين بعصر شيشرون وينتهي بموت اغوسطوس قيصر . وامّا في فرنسة فالعصر السابع عشر هو عصر علم الادب التعليمي .

ومن شروط الكتب الواجب اتخاذها قاعدةً للتعليم هو :

اولاً : ان تتجلّى فيها التصورات العامة ؛ لان اعصار الادب وكتبه المتخذة قاعدةً للتعليم انما هي عبارةٌ عن تآليف اولئك الكتّاب التي يؤثرها الذوق العام على غيرها من الكتب ويبسطها ائمة العلم في حلقات التدريس ومجالس التعليم . فالكتّاب الحقيقيون بهذا الاختصاص انما هم اولئك الذين أُلهموا تصوُّرات عامّة شائقة يفهمها كلُّ عاقل ويعجب بها كلُّ صاحب ذوق سليم . ومثال ذلك ما نشعر به من التأثُّرات عند مطالعة الإلياذة وغيرها من كتب هوميروس الشهير

اذ تتجلّى لنا فيها الشجاعة والصداقة ومحبّة الوطن والنخوة الاهلية وحماية الذمار. فمثل هذه العواطف شائعٌ في كلّ الاعصار والامصار وهي مما يتناوله الفهم ويجلى في القلب في ايامنا هذه كما كانت في ايام هوميروس نفسها لانها لازمة عن قوة جوهرية مستقرة في النفس البشرية . وهذا هو السببُ الذي من اجله تُسمّى تصوُّرات عامة .

ثانياً : ان ما يجعل الفرق بين كتب التعليم وغيرها انما هو الذوق السليم الفاصل بين الحسن والرديء وادراك معنى حسن نظام الفواصل في الكلام وكمال صيغ الانشا. واساليبه فترى في تلك الكتب الخيال والحسّ تحت قيد العقل يتراوح بينهما الكلام على خط الاعتدال وترى في حسن التعبير عن الافكار انطباقاً كاملاً .

أمّا الانشاء الحالي من هذا التعادل بين الخيال والحسّ الذي وان يكن صاحبه مالكاً المزايا الاولى التي يتطلبها حسن الكتابة يعثر القارئ الاديب فيه على كثير من النواقص ، ليس بحقيق ان يُعدّ من كتب التعليم لان الطالب يقف متحيّرًا ومتردداً عند مثل هذه الكتابة القلقة الملتبسة ويُشفق من انه يقتدي باجزائها المختلّة فتسري اليه عدوى الركاكة والهجنة منها . فمن الضروري اذن في علم الادب الّا يوضع نصب اعين الطلاب سوى كل كتابٍ يكون مثال الاجادة والكمال .

ثالثاً : ان من هذه الشروط القِدَم فلا بدّ للكتابة من ان يمرّ عليها بعض السنين ويمضي عليها ردح من الحين حتى تصحّ قراءتها وتعليمها على منابر المدارس لان كل ما غير الزمان سكن الهوى وسقطت الاوهام وتجلّت لنا الافكار ولو عن بعدٍ شاسع من وراء عصرنا في سماء صافية لا يشوبها كدر . وحينئذٍ لا يتقيّد العقل بشيء يمنع ادراكه الساطع وحكمهُ القاطع . ووجوه الخلل تظهر بعد ذلك ظهورًا واضحاً وهي حين وضعها تخفى على كل عين ناقدة او تكاد لانه من النادر الّا يغلب في كلامهم بعض اساليب او تعابير ساقطة بالاستعمال.

ولنا ايضاً في القدم وجهُ فائدةٍ أخرى وهي كمال دقّة النظر في كمال محاسن الكلام. اجل ! ان اصحاب القرائح والكتّاب النوابغ الذين أُلهموا الكلم النوابغ اي الكلم الفصيح قد تكون اوضاعهم وافكارهم في اجيالهم

اي تعبيراتهم وتصوراتهم سابقة اوانها فتفات بعض شذراتهم عن مدارك معاصريهم رغماً عنهم وتفوت دائرة اعجابهم بها .

والحاصل ان مرور الايام يُكسب الكلام ما يستحقهُ من الاعتبار . فان القصيدة او المقالة اذا مرَّت بمحاكم عديدة وتجاوزتها الواحدة بعد الاخرى ولم تعلق عليها هذه المحاكم سوى قرار واحد بعينه ولم يحكم فيها القضاة القائمون كالنُصُب (اي العلامات) على خط الاجيال الاحكماً واحداً باجماع الآراء ترجح ان حكمهم هذا صدر موافقاً للحق والصواب لان هذه القصيدة او المقالة لو لم تكن من الانفاس المعتبرة الجيلة ومن الانشاء العالي الجليل لما أعجب نقاداً متفرقين مختلفين وكسب حكمهم له بدون خلاف فلئن كان لكلّ عصر او أمة افكار محصورة تندفع كما يندفع الافراد الى سوء الفهم وفاسد الحكم فلا بدَّ من ان تصحح هذه الافكار وتتعدل هذه الاحكام كما يحصل في الافراد فتنكشف لها الحقائق يوماً بعد يوم وينتهي بها الامر الى الرسوخ واليقين فيرد حينئذٍ حكمها قاطعاً جازماً فتعتمد عليه وتطمئن اليه.

نفاذ الكتب التمثيلية

ان كتب التعليم هذه الحائزة على الصفات المنوَّه بها هي التي على حسب الحكم العام انارت العقول ووسَّعت نطاق معارفها . وأعارت الذوق سلامة ولطافة في كل كاتب اديب اخذ عنها وتخرَّج عليها من دون ان تغيّر الحال التي طُبع عليها من الذكاء الفطري فانك تراه يعجب بها ويدرسها ويستظهرها ويتفهم معانيها ويغذي عقله بها من دون ان تتغيَّر حالتهُ الطبيعية بشيء من الاشياء . فان هؤلاء الكتبة ولئن كانوا متشربين ارواح اعصارهم ترفعوا في كتاباتهم عن هذه الافكار الخاصة الى طبقة اعمّ وصاغوا اساليبهم بقوالب الكمال العالي حتى اصبحوا قدوةً وقاعدةً لكلّ الاجيال والاعصار . فانهم على ما هم عليه من كمال القريحة وبسطتها ومؤالفة جميع العقول لا يقيدون الطالب بقيد ولا يشترطون عليه شرطاً ولكنهم يقوّمون أوده بكل عنفٍ ويسندونه بدون دفع . فكُتب التعليم هذه قد احرزت هذا اللقب الذي اخطأ البعض بفهمه من وجه كاصحاب المذهب الرواني فانهم فهموا به معنًى غير المعنى المقصود . فمن جملة مبادئ هؤلاء

الرواة ادّعاؤهم بوجوب تحرير الكاتب من التقيُّد بالقواعد والاصول واطلاق العنان لقريحته الذاتية ولم يعرفوا لهم نظاماً يُتبع سوى الحقيقة ولا طريقاً يسلكون فيها سوى الطبيعة . وعندهم ان الكتب التعليمية تناقض الكتب الروائية وان اصحابها مقيدون بسلاسل القواعد التي تستعبدهم فيقعدهم الجزع ويمسون لا اقدام لهم ولا نهضة . وانهم لم يزالوا صارفين الهمّة الى ضبط الخيال والحسّ تحت نير العقل الثقيل . فهذا مذهب الروائيين جاء يناقض كلَّ المناقضة طريقة النظم التي كانت حلقاتها تضيق يوماً فيوماً حتى خمدت انفاس اصحابها . وهذه المعاكسة جاءت مثل كلّ معاكسة خارجة عن حدّ الاعتدال وبالغة حدَّ الافراط .

فاذا كان اصحاب الكتب التعليمية لم يفرق بعضهم بين القواعد الكليّة التي ما كان يجوز مخالفتها وبين القواعد التي تولّدها الامكنة والظروف . فقد اخطأ خصومهم برفضهم مجازفة الامرين معاً . فاذا ضُغط على المخيّلة والحسّ من قبلُ فقد طاش سهمُ المولّدين الذين اطلقوا لها العنان كلَّ الاطلاق .

على اننا نرى رغماً عن هذا الادّعاء . اكثر الرواة او اشهرهم لم ينقطعوا كلَّ الانقطاع في ما كتبوهُ من المنظوم والمنثور عن روح الكتب التعليمية الحقيقي اي عن الذوق والصواب وعن هذه المزيّة التي بها يضبط الكاتب الموضوع الذي يكتبُ فيه ، الامر الذي لا قوام لحسن الانشاء من دونه في النظم ولا في النثر ، فانهم كلما كانت تتملّك فيهم صولة الحسّ ويجرُّهم تيّار الخيال كان ذلك يغضّ منهم ومن رونق كلامهم ويسومهم خسفاً .

الباب الثاني

الفصل الاول

في علم الادب والفنون

موضوع الفنّ : ان علم الادب اذا ما نظرنا اليه من حيث مظهرهُ العالي اي من حيث الشعر الذي هو اهمّ جزء منهُ ، فهو قسمٌ من مملكة الفنون الواسعة الاطراف لان الغاية منهُ كالغاية منها ألا وهي ان يمثّل لنا في مجالي الحسن العالم المحسوس والغير المحسوس . وأخصُّ الفنون خمسة وهي . الشعر والنحت والحفر

والرسم والبناء والغناء . والثلاثة الفنون الاولى تُسمّى فنون التمثيل لانها تنقل لنا صور الاشياء الطبيعية الخارجية. فالشعر يمثّل لنا الاخلاق والاهواء ويُشخّص لنا الوقائع . والحفر ينصبُ لنا تمثالاً منقولاً عن انسان . والرسّام يتحفنا بمشاهد طبيعية ومناظر بديعة تحت اشكال الالوان .

واماّ اختلاف الفنون فيترتب على اختلاف الاداة التي تعبّر عنها . فاداة علم الادب هي اللسان المعتمد على مقاطع الالفاظ سواء كان في التكلّم او في الكتابة . واداة الحفر هي الخطوط . واداة الرسم هي الالوان والمناظر ، واداة البناء هي الحجارة والاقيسة النسبيَّة. واداة الغناء هي صوت آلات الطرب وصوت الانسان والاوزان .

يُعتبر الحسن في الفنون ولا سيما في علم الادب إمّا بالنظر الى ما يلزم عنه من التأثير في النفس وإمّا الى ما هو عليه بذاته وجوهره . فالبحث في الوجه الاول يسوقنا الى الكشف عن الوجه الثاني. فمن خصائص العقل ادراك الحقائق العلمية . واماّ الحسنُ الفنيُّ فانهُ يَفرق عن هذه الحقائق بانه يُعجب العقل ويلّق الحسّ ويلذُّ المخيّلة كانه يخاطب الإنسان بجميع خواصه وحواسه . فتعريف الحسن في الفنون هو انه تمثيل الطبيعة تمثيلاً حيّاً معنوياً نظرياً .

تمثيل الطبيعة: ان الفنَّ على رأي اريسطو ليس هو بالنظر الى اتباع الشعر سوى تمثيل كامل. فالفنُّ يتناول مواضيعهُ من الحقائق الخارجية فيشخّصها كانسان او شجرة او مشهد من مشاهد الطبيعة وما يركبهُ الوهم ايضاً اصلهُ من هذه الحقائق كتوهُّم الغول والعنقاء . فان القوَّة الواهمة تتناول من الخارج اجزاء تراكيب هذه الصور كالرأس واليد والصدر وما شاكل ذلك . والطبيعة تبيّنُ لنا وجوه النسبة بين الاجزاء. والكلَّ المتركب منها ككبر الرأس وصغره وطول اليد وقصرها بالنسبة الى باقي جوارح الجسم وتعرّفنا ايضاً ما يدور من افكار في خلد البخيل او المتكبّر . واذا ما عرض لنا هوى في النفس كيف تلزم عنهُ نتائج معلومة . فالطبيعة احكام لا يسوغ ان يجهلها صاحب الفنّ والعلم . واننا عندما يعرض علينا رسم شيء او وصفه نقول للرسّام مثلاً : رأس هذا الشخص متجاوز الحدّ في الكبر ، والاشجار في الخارج ليست على هذا الازرقاق ، وان للجبال لونا غير ما نراه هنا . ونقول للشاعر ما فرضته من

العواطف في ممدوحك غير صحيح ولم نرَ احدًا من الناس افتكر في هذا او شعر بهذا . فالحاصل اننا نبحثُ في كلّ هذه الاستقراءات وانواع النقد عمّا لو كانت القريحة امينة في التمثيل اولًا . فصاحب الفنّ والناقد لا يحوّلان نظرهما عن الطبيعة ابدًا فهي قاعدة لصاحب الفنّ وحدّ مقابلة للناقد لا مناص منهُ .

امّا تمثيل الطبيعة فليس هو نقلها ولا نسخها لان التمثيل الفني لا يتوقّف على نقل الحقائق نقلًا جامعاً محيطًا بجميع اطرافها وظروفها مطابقًا حقيقتها كما هي هي بخلاف نقل ما هو من باب العدل والحساب فانما الفضل والحسن في الحساب هو ضبط الاعداد فيه وصحتها . ولو تمشّينا على هذا النمط لكان التمثال المفرغ في قالبه او المطبوع على الشمع الملوَّن اكمل من التمثال الذي يصنعه النحّات ، وان التصوير الشمسي افضل من فنّ الرسم . فـأنّنا ليست بشيء من ذلك والفنُّ يكون من العَبَث اذا قمنا به نقل الحقيقة كما هي هي حتى يتوهمها الناظر ويغشّ بها الرائي . فلا بدَّ اذن ان يراعى في الشعر بعض طرق عرفيّة ولو أدّت الى ما يخالف الامر الواقعي او حقيقة الاشياء . فان لتلك المخالفة مزيّةً فضل تحصل من مراعاة القواعد العرفيَّة الفنيّة . نعم ! اننا اذا ما رأينا تمثالًا او رسمًا يطابق كلَّ المطابقة ما يمثله من الاشياء الخارجة عجبنا به ولكنَّ اعجابنا هذا يحصل من استدلالنا على براعة الحفّار او الرسّام ومن اجادته بالصناعة واتقانهِ اصول الفنّ لا من حسن عمله بذاته . وكذلك اصحاب الذوق واهل الطرب يطربون حذاقة ضارب العود اذا ما أحسن الضرب فأدّى دورًا صعباً من النغم وان تكن صناعتهُ لم تبلغ بعد حدّ الكمال .

فالتمثيل وحده غير كاف لان يولّد في النفس الشعور الحسن الفائق ، فما هي اذًا الشروط اللازمة لادراكه ؟ انّا يلزم لذلك ثلاثة شروط ، اي ان يكون التمثيل حيًّا ، معنويًّا ، مطابقًا الصورة النظرية .

١ً الحياة في التمثيل

ان الآثار الفنيّة لا بدّ لها من ان تولّد في القلب شعورًا بالحقيقة وبالحياة لا وهماً بها . فما الفائدة من ان يظهر لنا صنعٌ بدون حياة ولا حراك . فاذا مثّل لنا الرسّام مشهدًا طبيعياً يقتضي ان يرينا الرسم عصير تلك الاشجار يسيلُ

ويجري من جذعها وفروعها . او مثّل لنا رسم شخص فعليه ان يجمل النفس في ذلك الشخص مختلجةً تحت بياض أديمه والدم جارياً في عروقه. على انك عندما تقرأ وصف معركةٍ في كتاب عليّ بن ابي طالب يُخيّلُ لك انك في حومة تلك المعركة تسمع صلصلة السلاح ووقع صدمات الجيوش الذين يحرّكهم ذلك الخطيب المصقع ويُمثّلهم تمثيلاً حيّاً . واليك ما كتب في ذلك الشيخ محمد عبده في مقدّمة « النهج » اذ قال: « كان يُخيّل اليَّ في كلّ مقام انّ حروباً شُبّت وغارات شُنّت وان للبلاغة دولة وللفصاحة صولة وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافحُ (تضارب) بالصفيح الابلج (السيف) والقويم الاملج (الرمح) وتتلج (تمتصّ) المهج برواضع الحجج وتفلُّ (تقطع) من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس فما انا الّا والحق منتصر والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود وان مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب اه » .

فالفنّ هو ان تستحضر شخصاً او تصف جيلاً من الناس ذاكراً عنهم وقائع كاشفة عن احوالهم فلا يصعب على الشاعر ان ينقل صورة الموضوع الذاتية كما هي وان لا يفوته اقلّ تفصيل او جزء منها . غير ان نظمه هذا ربما لا يكون سوى نظم اعتيادي لا معنى له او يكون مبتذلاً كلّ الابتذال .

فما هي اذن هذه الحيلة او هذا السرّ الذي يجلو لنا هيئة هذا الممدوح من الناس العظام او صورة هذا الجيل من الاجيال الغابرة ويُخرجها من حيّز دياجير التجرّد المتقلّبة ويبرزها لدى النور الساطع ويبعث فيها الحركة والحياة ؟ فابداء الجواب القاطع مستنداً الى دليل عقلي دامغ انما هو الاخذُ بناصية الفنّ وامتلاك ازمّته الامرُ الذي لا يتعلّق بسوى العقل والذي يحولُ دونه حجاب من الغموض فعلى الشاعر او الكاتب ان يختار الاساليب المشخّصة التي تخاطب العيون والارواح .

فمن يستطيع ان ينفخ الحياة بصورة خيالية يكون له اوفر نصيب واكبر حظّ من القوّة المبدعة. فهذه هي الغايةُ الشريفة السامية التي ترمي اليها الفنون . وهذا هو السبب الذي من اجله نقضي العجاب وننشده عندما ننظر صنع كبار

المتفننين البارعين فانهم ينقشون في الحجر ويصورون على النسيج . وفي الشعر حقائق ادبية خالدة خلوداً يمتنع على الحقائق الخارجية التي يدركها الزوال ويغشاها الاضمحلال .

٣ً القوة المنوية أو الكتابية

يجب ان يكون للتمثيل معنى او مغزًى يدلّ على عاطفة عرضت للحسّ او تصوّر لاح للعقل مبنيّين على ادراك الموضوع الخارجي . فالالوان عند الرسّام والاوصاف عند الشاعر عدا ما لها من الدلالة الخاصة بلوحان (يشيران) الى معنًى في الموضوع جوهريًا او صفةً مهمّة فيه تلويحًا محسوسًا كالفرح والحزن والجمال والقوّة بحسب ما يكون هذا المعنى او هذا الوصف أثّر في الكاتب او الرسّام فحاولا اظهارهما على النسيج أو القرطاس . وان حذاقة الكاتب في سوق تفاصيل الموضوع الذي يكتب فيه وفروعه الى الوجه الذي يقصد بيانه منه يتوقف عليها خصوصاً ما يكون للكفاءة من رفيع الشأن والمكانة عند اهل الحكم الصائب . فقدرة الكاتب على بيان احوال الامر الخارجي وفروعه وكيفيّاته وخواصه وظروفه بصورة يستعين بها على اظهار تصوّر ما او توليد عاطفة ما، هي من اهمّ الاسباب التي ترفعُ شأن الكتابة وتحلّها في محلّها الاسمى.

قال احد الادباء : الراوي يعجبنا بالقائه على مسامعنا حوادث الحياة اليومية العاديّة دون الحوادث المبتذلة التي ليست حقيقيةً بالذكر لا اذا زاد عليها شيئاً من عنديّاته فقط ، بل ايضاً اذا حسَّ بما يكون من السرور بكأس خمرة يشربها حيبان في مجلس صفاء، او من الغمّة في دماغ متشرّد تلعب به الهواجس.

وقال آخر : ان ما يتحفنا به اصحاب الفنّ لا يكون على شيء من ارتفاع الشأن الّا اذا كان له مغزًى او كان كنايةً عن حقيقة من الحقائق .

وقال آخر : الفنّ هو كنايةٌ عن شيء غير منظور تكشف عنه دلالات طبيعية . وان فضل الفنون العالية الوحيد وغايتها الضرورية هي ان تُخيّل لنا النفوس من وراء الاجساد .

على ان للجلاد عند الانسان معنى نظريًا من شأن المتفنّن ادراكه وكشفهُ ، فانك اذا ما استحضرت في ذهنك صورة البحار والجبال تتصوّر قوّتها الغريبة

وتشعر بجنانها العجيبة . وان ما نسميه مواتاً كالاطلال والرسوم والرمم تحلى في قلوبنا بلسان حالها وبما تبعث فينا من انواع الحسّ . فان اطلال تدمر وبعلبك تحوّل العقل ولو آسفاً الى ذلك الجيل الغابر التارك على هذه الاطلال آثار العظمة والفخار . وانّ منظر الدوحة العظيمة المطروحة على الحضيض يُحزنك كما يُحزنك منظر البطل الباسل عاجلته المنيَّة فانشبت فيه اظفارها. وهل من شيء لا معنى له مثل حطام اخشاب منتثرة ؟ فما قولك فيما لو كانت هذه الحطام بقايا سفينة بعد غرقها فما اشدّ ما يكون لها من التأثير باعتبار هذه الظروف . وما اعظم الافكار التي تثيرها فينا ! وما اعجب اعجابنا بها فانّنا ننظر اليها بعيون حسّاسة ونفهم ان لها محلًا مهمّاً في رسم صانع حاذق او وصف شاعر مجيد .

قال بعضهم : لا شيء من المخلوقات ميت ، فان الحجر الذي اتصوّره يُثير فيَّ حسًّا مخصوصاً . وان ما يظهر لنا من الاشياء انه جماد لا حياة فيه قد خلق الله له كما خلق لنا صوتاً يشعر بفرحه كما يشعر ببكائه وسيماء ذاتية بها يُستبح ويأمن على حسب ما يتوارد عليه من العوامل المختلفة . فاليك ما تلقيه على مسامعك السماء في ليلة مقمرة من ليالي الربيع ، او ما يبديه تيّار البحر من المعاني المؤثّرة . فان الشاعر يسمع هذه الاصوات ويفهمها وصاحب الفنّ يعبّر عن جميع معانيها .

وقال آخر : من الصفات التي لا بُدَّ منها للشاعر هو ان يُدرك ما بين العالم الادبي والعالم المادّي من العلاقات والاسرار اكثر ممّا يدركه عامّة الناس .

فالخلاصة لا يكون الشعر او الاثر الفني على شيء من الحسن الّا ان تبدو لنا منه قوّة معنوية . وهذه القوّة المعنوية هي في الشعر او في علم الادب اشدّ منها في آثار الفنون الباقية .

في المثال النظري او الصورة الخيالية

ان ما يتصدّى اصحاب الفنّ لبيانه من انواع التصوّر وضروب الحسن ليس له بذاته ما يُظهرون لنا فيه من العظمة والسناء . فانّنا اذا نظرنا اليه بمجرد ذاته نراه كانه حجر الماس في معدنه منحصر في محله محجوب حسنه باعراض متباينة وظروف لا معنى لها . فعلى صاحب الفنّ المجيد ان يُمثل لنا ذلك المعنى

بكمال ما هو عليه من الحسن والجمال . وهذا التمثيل البديع يتوقف على المثال النظري او الصورة التخيلية الذي لا يقصد به تحسين الطبائع بحسب المعنى الذي يُفهم به هذا اللفظ على وجه العموم ، ولا اخفاء ما فيها من الخلل والنقص بالتصوّر انها بالغة حدّ الاعجاز ولا بافراغها بقالب الحسن والكمال . بل إنما هو تتميم الصورة التي رسمتها هذه الطبائع وتكميلها وتعظيم بعض صفاتها واطراء بعض خواصها الحقيقية واتقانها . او هو استحضارك لدى العيان اشخاصاً يظهر انهم اكبر جرماً او اشدّ بسالة مما هم عليه بذاتهم ونصبك اياهم مثالاً للاقتداء بهم . فممثلو الحقيقة المحدثون يضعون امثلة نصب اعيننا اتخذوها من الطبيعة والافضل عندهم ان ينقضوها ويبدلوا فيها بحسب ما يستطرفونه من ان يزيدوا فيها ما لا يزيدها رونقاً وطلاوة .

وقياماً بهذه الغاية يُصلح الاديب صنعهُ او اثره بالتبديل والتكميل فيه وجمع اجزائه بعضها الى بعض ويكشف النقاب عن معانيه او عمّا أثّر فيه هو من صفاته المعتبرة ويصحح ما وقع في ذلك من الخلل ويبقي على ما يُكسب صنعهُ هذا جلاء وظهوراً ويكمّل ما نقص فيه . ثمّ يشرع بعد التبديل والتمثيل في تنسيق هذه الاجزاء المتشتّتة ويجمعها حول الفكرة الاصلية التي تكتسب منها قوّة وبياناً فيكون بذلك وحّد مزجع الاشياء المختلفة وجمع اليه شتاتها .

الفصل الثالث

المثال النظري في الفنّ لا سيما في علم الادب

المثال النظري في الفنّ : ان المثال النظري في الفنّ على اطلاق معناه لا يفرق عن كمال الحسن او حدّ الاعجاز . والحال ان حدّ الاعجاز ليس من شأن الانسان وهو السبب الذي من اجله نرى عيوباً في اكمل الصنائع . ويحسُّ صاحب الفنّ ان ما انجز ايجادهُ لم يجد فيه وانه لم يجئ مطابقاً ما في فكره كلّ المطابقة .

فبناء على هذا الاعتبار يمكن تعريف المثال النظري انه مجموع شروط يؤذن كمال مراعاتها بالبلوغ الى الحسن المطلق . وهذه الشروط هي اولاً اهمية التصوّر المطلوب ابداؤهُ . وثانياً ما به من ارتفاع الشأن والعظمة الادبية . وثالثاً اجادة التعبير عنه بفصاحة وبلاغة .

اجادة التصوّر المطلوب ابداؤه

انّ ما يأتيه الاديب من ضروب الانشا. يقرب من الكمال بقدر ما يكون التصوُّر المقصود اظهاره ضروريًا ومهمًّا . وعليه ان الروايات الهزلية التي يدور محور الكلام فيها على الاخلاق ويُعبِّر واضعها عمّا في القلب البشري من انواع الحسّ العميقة المستقرّة فيه كالبخل والبغض. والانس والوحشة وآخر ما في الحياة من هذا القبيل لافضل من تلك التي يدور محور الكلام فيها على العوائد والتي تصور سخريات عصر من الاعصار وما كان فيه من الولوع بالاذواق والطرائف ومن الامور المستهجنة المموّجة التي يكثر وقوعها ويعجل زوالها.

ثمّ ان الرواية في العوائد افضل من الرواية في الدسائس التي يهتمّ صاحبها بجمع حوادث فجائية وتوقيع احوال غريبة عجيبة يدعو وقوعها الى الضحك على غير انتظار .

فالفنّ كالعلم يدرك جواهر الاشيا. واسرار الحياة والشرائع العامة التي يتقيد بها الانسان والهيئة الاجتماعية ؛ لكنّ الفرق في ذلك هو ان العلم له قواعد لغة جافّة مجرَّدة لا يفهمها الّا اصحابه .

وامّا الفنّ فيخاطب القلب والقوّة المتخيلة ؛ ولغته حيّةٌ لا يستصعبها احدٌ ؛ وفضيلته على العلم انه مرغوبٌ من العامّة اكثر منهُ .

سموّ الفكر الادبي المقصود بيانهُ وعظمتهُ

من احوال الانسان الضرورية المهمّة ما هو جيّدٌ كالصحة والفضيلة والبسالة ومنها ما هو سيّئ ومضرٌ كالمرض والظلم والرذيلة والجبانة فيرتفع شأن الفنّ بقدر ما يُمثِّل لنا من جيّد الاوصاف وحميد السجايا . وعليه يكون الكلام كالسلّم لهُ طرفان اعلى وهو كمال الحسن ؛ وادنى وهو الانحطاط .

قال القزويني في كلامه عن البلاغة : للبلاغة طرفان اعلى وهو حدُّ الاعجاز او ما يقرب منه ؛ وأسفل وهو ما اذا غيّر عنه الى ما دونه التحق عند البلغا. باصوات الحيوانات وبينهما مراتب كثيرة وتتبعها وجوهٌ أخرى تورثُ الكلام حسنًا اه .

وشرح التفتزاني معنى حدّ الاعجاز فقال . هو ان يرتقي الكلام في بلاغة

الى ان يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته . والكاتب الذي يُمثل لنا رجلاً عاقلاً حكيماً او بطلاً من الابطال يفضلُ عندنا الكاتب والشاعر الذي يُمثل لنا مجرماً او جباناً . فالاول يؤثر فينا تأثيراً سامياً سليماً اذ يُحرك فينا الجوارح الشريفة التي لا يدركها الثاني ولا يطالها .

كمال التعبير

لا بُدَّ ايضاً ان يتوقّف حسنُ الآثار الفنيَّة على كمال التعبير عنها والحذاقة التي بها يوجّه صاحب الفنّ كلَّ جزء من صنعه وكلَّ ظرفٍ منه الى غرضٍ واحدٍ وهو بيانُ التصوُّر او الحسّ الذي يقصدُ ابداءهُ .

فالصيغةُ هي عند الشاعر وعند الرسّام جزء جوهري بدونه لا يُعدُّ الباقي شيئاً وسيُفسح لنا مجالٌ اوسع للتكلّم في هذا المعنى من حيث وجهه الادبي عندما نتكلم في الانشاء .

ومن المعلوم ان اشرف نوع من الحسن اذا ما عبّرنا عنه بالفاظٍ غليظة مستهجنة ، واعجب مشهد من رسم اذا ما كان تركيبه ووضعه معيباً يفقدان كل اعتبار ورونق عند نقدة المحاسن .

المثال النظري الخاص بكل فنّ

ان المثال النظري على حسب ما لاح لنا من تحليله هو معنًى عام يشملُ كل الفنون ويجعل بين الآثار الفنيَّة مراتب متفاوتة ، ولكن لكلّ فنّ مثال نظريٍ خاص ونوعٌ من الحسن يُعرف به . فالمثال النظري للرسم الذي غايته تشخيص الجسم ليس مثال علم الادب النظري الذي موضوعه النفس البشرية ، فان في علم الادب نفسه لا يصلح مثال الرواية الهزلية التي تصوّر لنا اموراً مضحكة مثالاً للمأساة التي تُرينا رجالاً ابطالاً ، فاذا ما حصرنا المثال النظري في هذا المعنى يتحصّل انه كناية عن جملة شروط تؤذن بادراك ما ترمي اليه غايةُ الفنّ وتوفّق صاحبه الى مطابقة حقيقته . وهذه الشروط تتغيّر بالطبع بتغيّر الفنون .

فالحاصل من هذه الاعتبارات ضابطٌ لا ينبغي ان يُذهل عنه والّا نظرنا رسماً منظوماً ونظماً مرسوماً ومسرحاً غنائياً وغناء مسرحياً والحال كما قال بعضهم : يُبخس الفنُّ قدره متى استعار اسباب محاسن غيره لنفسه وترك اسباب محاسنه الخاصة به اه .

فاذا عمد الرسّام بادئ ذي بدء الى ان ينصب امام العيون صورة حياة روحية وصفات ادبية كما عالج ذلك بعض كبار المتفننين عوضاً عن ان يلوّح الى ذلك بطريق الايهام والاشارة اصبح رسمهُ ذلك شعرًا وضرب صفحاً عن محلّ القوّة الراسمة الذي هو الجسم البشري وجعله لغوًا . ومن هذا الصنف من يطلون الجسم بسيّال شفّاف فيصبح كأن به ليونةً ومرونةً ويركّبون له اعضاءً ضامرةً للدلالة على انشغال الرسوم بهمومٍ ناصبةٍ ، او يصوّرونه بهيئة متألمٍ محدودبٍ مقطّب الجبين ليعبّروا عن حركة الفكر الداخلية .

المثال الخاص بكل متفنن

ان المثال النظري يُطلق بعض الاحيان على التصوّر الذي يقصد صاحب الفنّ بيانه على الصورة التي يستحضرهُ بها . وهذا هو المعنى المقصود في قولهم : ان هذا الرسّام او هذا النحّات او هذا الشاعر صاحب نظرٍ . او بعبارة اخرى: لهذا الرسم او التمثال او هذه القصيدة مثالٌ نظريٌ بديع ، ولكن ليس للمثال النظري هنا معنى المثال النظري الحقيقي ، لانه ما من صاحب فنّ الّا وينظر الى حقيقة الاشيا نظرًا شخصيًا ومن وجهٍ خاص وذلك بالنسبة الى جوهر قريحته وما اكتسبه بالتخرّج والمحيط الذي عاش فيه والقواعد التي نقل عنها .

فالمثال النظري عند هذا الشاعر غيرُ المثال النظري عند الآخر ، بل نرى بعض الاحيان تضادًا ظاهرًا بينهما لانه ربما يصفُ الاول سوء مصير الهوى مثلًا والثاني يطريُ القيام على الواجب . والاول يستحضرُ مواقع لكلامه مطابقةً للاخلاق والطباع . ويوجد الثاني من قبلُ اخلاقاً وطباعاً ثمّ يُطبّق عليها مواقع كلامه كما نرى في شعر ابن الفارض وشعر المتنبي . قال الشيخ عبد القادر في كتابه « دلائل الاعجاز » : « كما ان تبيّن انسانٌ من انسان يكون بخصوصية توجد في هذا دون ذاك ، كذلك يوجد بين المعنى في بيتٍ وبينه في بيتٍ آخر فرقٌ فعبّرنا عن ذلك بان قلنا للمعنى في هذا صورة غيرُ صورته في ذاك وليس هذا من مبتدعاتنا بل هو مشهورٌ في كلام الادباء من العرب . وكذلك قول الجاحظ : وانما الشعرُ صياغةٌ وضربٌ من التصوير اه » .

على اننا نرى هذا الاختلاف بالتصوّر في اشيا . يظهرُ انّه ممتنعٌ فنيا ، فلو

اوقفنا مئة رسّام امام منظر واحدٍ من المناظر لرسموا لنا مئة رسم منقول عنه يخالف احدها الآخر . فاذا ما تعدّد الرسّامون رسم الطبيعة البشرية او الانسان من وجهيه الطبيعي والادبي فكلٌّ واحدٍ منهم كما قال بعضهم يُصوّب نظرهُ الى ما يدعو الى اعجابه او كراهيته . فكلُّ رسمٍ هو مجدٌ ذاته طريقةٌ من طرائق الفنّ . فهذا النظر الخاصّ هو سببٌ من اسباب اختلاف وجوه الفنّ وغزارتها فيه .

قال بعضهم : ان المؤلفين لمّا كانوا مختلفين من حيث الحسّ والعقل والتخرّج اصبحوا يؤثّر فيهم الموضوع الواحد تأثيرات شتّى . وكلٌّ واحدٍ يتناول منه تصوّرًا مبتكرًا ومذ يظهرُ هذا التصوّرُ المبتكر في اثرٍ جديد لا يعتّم ان ينتصب في معرضِ المُثُل النظرية بين الآثار النفيسة رغمًا عن اعجاب المتأمل فيه واستغرابه وجوده .

وعرّف الفنّ بعضهم : بانهُ الطبيعة أُضيف اليها الانسان او انها الحقيقة تتراءى من وراء الصناعة . ولنا في تأييد هذا المعنى ما قاله بديع الزمان الهمذاني في المقامة القريضية : فقلنا ما تقول في امرئ القيس . قال : هو اول من وقف بالديار وعرصاتها واغتدى والطير في وكناتها ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسبًا ولم يُجد القول راغبًا ففضل من تفتّق الحيلة لسانه وانتجع للرغبة بنانه .

قلنا : فما تقول في النابغة . قال : يثلبُ اذا حنق ويمدح اذا رغب ويعتذر اذا رَهِبَ ولا يرمي الّا صائبًا .

قلنا : فما تقول في زهير . قال : يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يذيبه ويدعو القول والسحرُ يجيبه .

قلنا : فما تقول في طرفة . قال : هو ماء الاشعار وطينتُها وكنزُ القوافي ومدينتُها مات ولم تظهر اسرار دفائنه ولم تُفتح اغلاق خزائنه .

قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق وايّهما أسبق . فقال : جريرٌ أرقُّ شعرًا واغزرُ غزرًا . والفرزدق امتنُ صخرًا واكثرُ فخرًا . وجريرٌ اوجعُ هجوًا واشرفُ يومًا . والفرزدق اكثرُ روحًا واكرمُ قومًا . وجريرٌ اذا نسب اشجى واذا ثلب اردى واذا مدح انسى . والفرزدق اذا افتخر اجزى واذا احتقر ازرى واذا وصف أوفى .

الفرق بين المثال النظري وبين الاختراع في القصص

ليس في المثال النظري شيء من الاختراع، لان الاختراع يشوِّش الطبيعة وليس للمخترعات مرجعٌ في الحقائق الوضعيَّة تتعلَّق به كالغول والعنقا. وما ورد في كتاب الف ليلة وليلة من الحكايات والقصص الوهميَّة المحضة. فيفهم بالاختراع في علم الادب القصص الخرافيَّة والتخيُّلات الوهميَّة والاساطير الملفَّقة.

اما المثال النظري فيجلي محاسن الطبيعة ويشرحها ويُشير الى كمالها ويفسح له مجالاً ولا يخرج في كلّ ذلك عن دائرة الحقيقة الوضعية ولكنَّه يضيف الى الرسم الاصلي سواء كان لامر محسوس او غير محسوس، رونقاً وبهاء. وهو لا ينفكُّ عن الحقيقة والصدق او يزب القارظان كما افاده ارسطوت اذ قال: ان الفرق بين المؤرخ والشاعر لا يتوقف على ان كلام ذاك نثرٌ وكلام هذا نظمٌ لانه لا مانع من نظم ما اخبره المؤرخ هيردوت من الوقائع، غير انها لا تخرج عن كونها تاريخاً سواء برزت في كلام منظوم او غير منظوم.

امَّا الفرقُ فهو ان الاول (المؤرخ) يُخبِر عن حوادث ماضية. وان الثاني يُخبِرُ عن الصورة التي كان ينبغي ان تمضي تلك الحوادث عليها. فالشعر يستدعي نظرًا واهميةً اكثر من سرد الوقائع التاريخيَّة وسببه انه يغلب في الشعر بيان الحوادث العامَّة وفي التاريخ بيان الحوادث الخاصة.

والتاريخ يروي لنا وقائع مكانية ويصوّرُ لنا الاشخاص على ما هي عليه من المناقضات وما كان في عصرهم من العوائد المختلَّة والاصطلاحات الجارية بينهم. وكلُّ ذلك من الاشياء الموقتة الزائلة خلافاً للشعر فانه يترفَّع عن ذكر الظروف الزائلة التي تتعلَّق بالطباع او التفاصيل والاعراض المكانيَّة ويعمد الى اهمّ الحوادث العامَّة الثابتة وينصبُ امام اعيننا صورة الانسان ناتئةً ناطقةً.

الفصل الرابع

في أهمّ الطُرُق الفنيَّة والبيانيَّة

لمَّا كان تصوّر الحسن مركَّباً كما تحققنا، اي انهُ حاصلٌ من مصادر كثيرة اختلفت طُرُق التوصُّل اليه باختلاف ما يُعزى الى بعض تلك المصادر من المزيَّة

التي ترفعها عن غيرها او من مزيد اختصاص او فضيلة تجمل في بعضها فرقاً عن البعض الآخر . فاذا ما قصدنا ان يتغلب الجزء الغير المحسوس اي التصوُّر او الجزء المحسوس اي التمثيل او وجهُ الربط بينهما اي الكناية او الدلالة العقلية ، كانت لنا من ذلك الطريقة التصوريَّة والطبيعية والواقعية او الحقيقية او الكنائية .

فالطريقة التصوريَّة هي ما نزع اصحابها الى التقيُّد بهذا الالتزام فقط وهو الاقتصار على بيان نوعٍ من الحسن او من التصوُّر بحسب ما تقتضيه الحال ، وغضّ الطرف على قدر الاستطاعة عمَّا سوى ذلك من ظروف الحقيقة الوضعية . فعندهم الاهمّ انما هو غير المحسوس . فما يبدو على وجه الشخص من السيماء الخارجية وكلّ ما يُطلق عليه الوصفُ المكاني لا اهميَّة له عندهم مطلقاً فيكتفون بوصف النفس والعُمدةُ في كلامهم العقلُ والحسُّ . وأمَّا الخيالُ والمحسوسات ففضلةٌ عندهم .

وأمَّا المحاسن واللطائف والمُلَحُ التي ينقلونها عن حقيقة الشيء فيأخذون خلاصتها او صفوتها المعنوية ويجرّدونها عن كل ما فيها من الخشونة المادّيَّة . وعندهم كلُّ معنًى مجرَّد خيرٌ من كل وصفٍ وتصويرٍ فيتكلمون عن وجهٍ باسمٍ وعن امرئٍ كيّسٍ ولكن لا نعلم بايّ شيءٍ يقوم هذا الابتسام او هذه الكياسة .

ولهذه الطريقة التصوريَّة درجات متفاوتة :

فالطريقة الطبيعية هي ما قصد اصحابها ، وكان الاهمّ عندهم ، ان يخالفوا الطريقة القصصية التخيلية البالغ الحسُّ فيها حدَّ الافراط ، وعُنوا بتمثيل الطبيعة تمثيلاً مطابقاً الحقيقة بكمال الضبط والدقة حتى انهم يقيمون انفسهم شهودَ عدلٍ صادقين على الطبيعة ويحرصون كلَّ الحرص على كلّ ظرفٍ من ظروف حقيقة الاشيا. ويلتمسون لها دليلًا ويرغبون في تمثيل مشاهدهم في محالّها (مظانّها) ويشخصون صورهم تشخيصاً ويبالغون في الاوصاف المكانية مبالغةً شديدةً . وهذا الامرُ جرَّ بعض الكتّاب الى الافراط في بعض كتاباتهم الوصفية والاجتهاد في وضع جداول التزموا فيها الصدق في بيان افراد الرياش والملابس حتى اصبح بعض الكتّاب يروقهم التعبير المبتذل المستهجن اكثر من التعبير بالالفاظ المجرَّدة

ولا يتحاشون المشاهد الغليظــة الخشنة ويعتقدون ان وجوه الاشياء القبيحة الكريهة حتى الوحشيَّة جديرةٌ بان يكون لها نصيبٌ من التمثيل لا قصد الدلالة على نكتة معنى او رقَّة عاطفة ذات شأنٍ فيها ، بل قصد تصوير ذلك لذاتــه لانه من جملة لوازم الحياة ومن عداد المخلوقات. وللطريقة الطبيعية هذه كالطريقة التصورية مراتب متفاوتة ايضاً .

امَّا الطريقة الواقعية فما هي سوى فرعٍ من الطريقة الطبيعية او نوع منها اخصّ لان اصحاب هذه الطريقة ذوو عقولٍ مغلقة يحصرون مضار القريحــة ويلتزمون حدَّ التمثيل الوضعي التام ونقل الصور المحسوسة نقلًا مطابقًا لاصلها بالدقَّة والضبط . فهؤلاء الأولى بان يقال فيهم انهم نبذوا الذوق ظهريًا وانهم ليسوا على شيء من الذكاء المعتبر ، وانهم لا ينظرون الى سوى الجزء الابتدائي ممّا يقوم به الفنّ اي الانتباه ، ولا يتنبهون الّا الى ما يُنتبهُ اليه بديهيًا بغير عناء اي سطوح الاشياء. ويقفون عند تمثيل الاشارات حتى يُعفوا انفسهم من تفسير حركات النفس ويتجاوزوا المعنى الشعري حيث يتولَّدُ من الحقيقة فيفوتهم. وهذا هو بيانُ حقيقة هذه الطريقة الجديــدة من طرائق علم الادب . ومنهم من طوَّحت بهم النفس الى تصوير الاخلاط والاوزاع من النــاس واسفل دركات الحياة البشرية ورغبوا في ذلك .

غير اننا نرى في مؤلفات ادباء هذا العصر ان الطريقة الطبيعيَّة هي البالغة آخر حدّ من الغُلو بالمقابلة الى الطريقة الواقعية . فما قلناه عن هذه يجب ان نقولــه عن تلك والعكس بالعكس ولكن لا يخلو التعبير من سوء استعمال اللفظ فيه على غير المراد .

قال بعضهم : لو سلّمنا بتعليق معنًى غير مرضيّ على لفظ الطريقة الطبيعية لتعرَّضنا لخطر الغضّ من مبدإ وجوب تمثيل الطبيعة . ومن جهةٍ أخرى لو نظرنا في اصل اشتقاق لفظة الواقعية من الوقوع او في نسبتها الى الواقع ، تبيّن لنا ان معناها أخصُّ من معنى الطبيعية ، فظهر لنا من هذا البحث سيان لمخالفة عُرف علماء الادب في هذين التعبيرين .

ولنا فوق ذلك ما يثبته لنا تاريخ الادب ، من ان بعض اصحاب الطريقة الطبيعية بسطوا لنا آفاقًا بعيدة المدى اكثر مما فعل اصحاب الطريقة الواقعيــة

الذين انتهى بعضهم الى نشر ما دلّ على اختلال شعورهم واختلاط عقولهم .

أمّا ما نسمّيه فصاحةً وبلاغةً فعلى الظاهر يجعل ارتفاع شأن الشعر معلّقاً على كمال محاسنه مقصوراً على تركين القوافي وحسن النظم . أمّا الفكر فعندهم امرٌ ليس من الاهمية بشيء واهمين ان الكمال كلّ الكمال في التركيب الفصيح البليغ فقط . والاهمّ عندهم حسنُ سبك البيت من الشعر ولو كان فارغاً من المعنى . ويتحاشى الشاعر منهم الانقياد للحسّ حتى يتلافى تعكير صفاء نظمه والوضع من رونقه فكأنه على هذه الصورة تبرّأ من كل شعور ووجدان .

أمّا الطريقة الكنائية فتعرّضُ اصحابها لمعاكسة باقي الطرائق ولاسيّما الواقعية، واصحابها اتخذوا الغموض والابهام شعاراً لهم فجاءت افكارهم ملتبسةً وتعابيرهم معقدةً معتقدين ان سحر البيان مقصورٌ على الوجه الكنائي فقط اي على الرابط الخفيّ القائم بين الاساليب الفنية وبعض عواطف لم يُعبّر عنها . وتتراءى معانٍ كنائية في كل شيء مثل العطور والالوان والاصوات والالفاظ. فالفنُّ على هذه الصورة عبارةٌ عن تبديل في الحسّ والتصوّر، به نرى معنًى آخر من وراء المعنى الحرفي ، اي ان اللفظ يدلّ دلالتين الأولى على معناهُ الوضعي والأخرى على غرضٍ يقصده به الكاتب فحينئذٍ ننظر الى الوانٍ بما نسمعه من الاصوات ونسمع اصواتاً بما ننظره من الالوان . فمن العبث بيان ما في هذه الطريقة من الصعوبة وانواع المبالغة .

فالخطأُ في هذه الطُرُق المختلفة التي ذكرناها هو ان اصحاب كل مذهبٍ منها يحصرون الحسنَ في مراعاة طريقتهم بحيث لا يجوز عندهم تجاوزها الى غيرها ، والحال ان على صاحب الفن ان يجمع بين المحسوس والغير المحسوس والواقع والخيال والحقيقة والحسّ بروابطَ طبيعيةٍ صريحةٍ لا تفوت فهم احدٍ من الناس.

فتمثيلُ الطبيعة ان لم يكن كل الفن فهو اساسه وشرطه الاول الضروري وركنه الذي يُبنى عليه . فيصحّ اذن ان يُقال : لا بدَّ من ان يلابس الطريقة التصورية او الكنائية شيءٌ من الطريقة الطبيعية لحفظ قيامها وبقائها لانها بدون ذلك تتحوّل الى بخارٍ ومن البخار تصير الى التلاشي .

وكذلك لا بدّ من مراعاة حسن السبك في النظم والمتانة في القوافي

والاهمال في ذلك يضع من رونق الحسن ، لان تذليل الصعاب الذي هو شأن الصناعة له ايضاً محلّ اعتبار من الفن .

الباب الثالث

الادب في الفن وعلى الخصوص في علم الادب

يُنظر الى مسألة الادب في الفن من وجهين :

الاول الصلة بين الحسن والخير . والثاني ضرورة صاحب الفن واضطراره الى طلب الخير .

الصلة بين الحسن والخير — ان الحسن يلابس الخير وقد يردان بمعنى واحد كقولك : ما احسن الموت شهادةً للدين . وكقولك : خيرٌ لي ان اموت شهادةً للدين . ويرد هذا الاتفاق في كل الاحوال التي تدلُّ على بسالةٍ وحماسةٍ وفضيلةٍ . فمن جملة اقوالهم : خيرُ الناس من راعى حقوق الناس ، اي احسنهم . وخيرٌ لك ان تفعل كذا ، اي الاحسن لك . وهذا من خيار القوم ، اي من أحسنهم . فترى في هذه الامثال ان الحسن والخير يتعانقان ويتلاءمان ومتى اجتمع الحسن والخير بدا لنا الكمال .

تأثير الحسن في الوجه الادبي

ان تجلّي وجه الحسن في كل انشاء لا يكون الوجه الادبي من اغراضه المقصودة يرسمُ فيه اثرًا محمودًا . فالاعجابُ الذي هو من اخلاق الانسان الفطرية والذي لا يملك حبسه احدٌ يرفعنا عمّا تنفثه فينا الأثرةُ والهوى ويسمو بالنفس ويوسّع العقل ويرقيه . والحسن مدعاةٌ للاعجاب فان لم نكن من اهل الصناعة او لم نستطع ان نمثل بالرسم او بالنظم هذا المشهد او هذا المعنى الذي تبيّن لنا وصادفنا قصيدةً او رسماً يطابقان الصورة الخيالية او المثال النظري المرسوم في عقلنا ننشده لدن نرى ذلك وتأخذ بنا الحماسة أيَّ مأخذٍ .

فاذا ما حضر شاعرٌ تمثيل روايةٍ شعرية واتى على آخرها ، يخرج من مرسح التشخيص وقد خفق قلبه لِمَا ارتسم فيه من التأثر ودارت في خلده صورٌ واشباح

ولّدتها المخيّلة والقوّة الواهمة مما لا يملك نفسه عن ردّها ، وتستمرّ على ابواب ذهنه مدّةً غير قصيرة . فالانسان مطبوعٌ على الاقتداء والتشبّه فلا يسع احد الّا ان يحتشم لدى امير كبير او ملك ذي شأن . وتعوّد مماسّة الامور الحسنة يُثيرُ في القلب نفورًا من الاشياء البذيئة ، وانّ من ذلك النفور لحكمةً لمن يفقهون .

تمثيل الشر ليس مخلًّا بالادب بذاته

ان الفن يمثل غالب الاحيان جنايات فظيعة كالقتل والدمار وشن الغارات كما ترى في المعلّقات وغيرها من القصائد التي يكون الغرض منها وصف الاهواء البشرية من غضب وغيظ وقلى وأخذ ثأر وغير ذلك مما ينطوي عليه قلب الانسان من الاسواء والشرور . فذلك من شأنه ان يورثَ المطالع تأثيرًا شريفاً ، تأثير رجل كريم واقف على اسرار الاشياء ، مشاهد ما تجري عليه النفس الواحدة والانسانية جمعاء من النواميس والشرائع التي وضعتها عليها القوّة الغريزية فيها .

وربما يخال للمتفكّر أن بين الفن والادب مخالفة ، والحال انهما ليسا في شيء من ذلك . فان الشعراء في شرحهم الاهواء كالعشق والظلم والانتقام لا ينفكّون مهما تجاوزوا حدّ الغلوّ والافراط محافظين على مبادئ شريفة دالّة على عظمة وجلال وبريئة من كل وصمة سوء . على انهم يظهرون من البأس ما يذلّلُ الصعاب ، ومن العزائم ما يفلّ غرار الصوارم ، ويخوضون امواج المنايا بصدورهم ، كل ذلك يدعو الى الاعجاب منهم مبيّناً وجوه محاسن النظم الشائقة . فان لكلّ هوىً من اهواء النفس عاملين : القوّة وسوء الاستعمال . وهذا لا بدّ منه في كل ضلال يحدث ، لان الضلال كناية عن تحويل وجوه الحقائق الى غير ما هي عليه ، ولئن كانت الحقيقة والقوّة تحفظ شيئاً من بقايا حسنها الاصلي . ولكن ليس لسوء الاستعمال في كليهما نصيب من الحسن بذاته ، لا بل انه يطلي كلًّا من القوّة والحقيقة ويشوههما ، فان بدا شيء من الحسن الحقيقي في تمثيل الاهواء تمثيلًا حسيًّا ، فلا عجب وذلك لا يختلف فيه اثنان ، بل انما هو من الامور الضرورية . غير ان هذا الحسن لا يحصل من هذا

التشويش المخل وانه لا يُعدُّ حُسناً كاملاً في بابه ولا يدعو الى الاستحسان التام الّا بقدر ما يساعد على توليد الشهامة والمروّة في القلب فحكمه حكم الظلّ في الرسم فانه يساعد على رفع شأن ما هو واقعٌ في النور منه .

أمّا تصوير الاهواء المخلّة بالآداب فهو على جانب من الخطر عظيم . فهذه الطريقة القائمة باصلاح الرذائل بتمثيل اصحابها ليست من الطُرُق الامينة السليمة العاقبة . فالافضل والأولى ان تُداوى الرذائل باضدادها من الفضائل . فان ارسطو عرّف الانسان بانه حيوانٌ مقتدٍ . وأهمُّ اسبابٍ ما يقعُ من الزيادة في ارتكاب الجنايات وتكاثر حوادث القتل اليس هو حضور المسارح وقراءة الروايات والصُحُف المتداولة التي تسرد لنا حوادث القتل وغيرها من امثالها بكل ظروفها ومتعلقاتها . فالنفس أمّارةٌ بالسوء وهي تميل الى التشبه بما يظهر لها فيه مسحة من الحسن ، او ما يستفزُّها من الحسّ على حدّ قول الشاعر :

وتشبّهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبُّهَ بالكرامِ فلاحُ

فهذه القوّةُ الفطرية التي تحدو بنا الى الاقتداء ترخي سدولًا بيننا وبين الوجه الادبي وتتمحّلُ لنا اعذارًا من ضعف الطبيعة . وهذا الضعف يحوّله التعلّق بالخيالات الشعرية والمناظر المختلّة الى غرورٍ وخيم العاقبة .

فهذا الهوى اذا ما تمكّن من النفس وأهاج فيها اشواقاً لا تحلُّ لها يصوّرُ لها انها تتمتّع بلذّاتٍ فائقة وتحظى بسعادةٍ شائقة . فالشاعرُ الذي يسوقه كلفُهُ الى تمثيل الطبيعة الحقيقي يصفُ تلك الملاذ وهذه السعادة بصورٍ كأنها السنةٌ من نارٍ تستعرُ حتى يمتنع القول ان هذه الصور لا تستفزُّ قلوب الحضور ، وان مثل هذا اللهيب لا يمتدُّ الى احشائهم فيحرقها . ومهما حدث لنا بعد اليقظة من الهلع فان لنا من هذه الرؤيا لسحرًا غالبًا حتى نتمنّى ان تحدث فينا . فانك لا تعتقد انك توفي تحقيق هذا التمثيل فيك حقّهُ ولو جرَّ الى ما لا تحمد عقباهُ او افضى بك الى الداهية الدهيا . فالمهم عند البعض ولا سيما من كانوا في ريّق العمر انما هو الطريق لا الغاية ، فان كانوا يستلذون الطريق اتبعوها غير مبالين بالهاوية التي تؤدي اليها . قال احدهم : ان الحياة كنهرٍ يُعارضُ بعضهم جريَ سيله وتلهيهم محاسنُ ضفّتيه عن سوء المنية .

الحسن في ما يخالف الآداب

ربَّ تأليفٍ له نصيبٌ من الحسن من وجهٍ وهو يخالف الآداب مخالفةً ظاهرةً من وجهٍ آخر ، اي انه يورث النفس انواعاً من الحس سيئةً ويوقظ الشهوات الذميمة ويحملنا على الشرّ. على ان الانسان يتصرّفُ بما آتاه الله تعالى من النعم كيفما يشاء ويريدُ . ولا شيء يمنعه ان يحطّ عقله ويحوّله الى اشياء بذيئة ليكسبها بعض الرونق بوصفه لها وان ينصبه محامياً عن العيوب والمفاسد. فهؤلاء الكتّاب يدفعهم فساد الاخلاق والعماء الى تزيين بعض الملاذ فيهملون بيان ما لهذه الملاذ من سوء المصير وضعف البصر والانحطاط ، ويطرئون مـا لهواهم من الوجه الحسن ويخفون ما له من الوجه القبيح . فحذارِ حذارِ من مثل هؤلاء الكتّاب الذين يضيفون الى بيان افكارهم السيئة ما تمكنهم منه الصناعة من الاساليب الجارحة .

فلا نرى في تأليف هؤلاء سوى حسنٍ اضافي ولا نسلّم لهم بالحسن المطلق لانهم شوَّهوا وجه النظام ولم يستوفوا اسباب حسنه ، ولانهم لا يفرقون بين شطط الفكر والتعبير . فاذا عبّرنا عن فكرٍ فاسدٍ او شعورٍ كاذبٍ باحسن الاساليب وابدعها نجمع في كلامنا بين المتناقضات ونسبب للطالع مللاً وسآمة.

قال بعضهم : ان الماء الزلال اذا مزجته بماء آسنٍ يُفسدُ طعمهُ ، هكذا الحسُّ الدافع الى الشر الذي يُعرّضُ المطالع للخطر ، يشوّش أثر الحسن الخاص به ويحوّله الى شرٍّ مكروهٍ . وهل بيدك ان تجزّئ ما بدا لك من الحسّ فتصرف النظر عن التأثير السيّء ولا تنظر الّا الى الوجـه الحسن كلّا . ولا تستطيع ايضاً ان تشطر شعورك شطرين فتشعر بالماء المشوب وتنسى ما مُزج به من الماء الفاسد .

يجب على صاحب الفنّ ان يتطلّب الآداب

كلُّ صنعٍ فنيٍّ من شأنه ان يحدث تأثيراً إمّا حسناً واما سيئاً . والتأثير هو الدافع الوحيد الى العمل . فالحاصل اذاً هو ان الفن لا بدَّ له من اقترانه بالادبية حتى يكون كاملاً مفيداً . وطلب الادبية على هذه الصورة من مقتضيات

علم الادب ولم يُسم هذا العلم علم الادب الّا لتحصيل هذه الغاية . فان اسمه دليلٌ عليها ؛ ثمّ ان كلّ كلمة تنوب عن تصوّر او فكر ، وكلّ فكر هو صنعٌ على ابواب ظهوره . فالانسان وجماعات الناس اذا مسّت الحاجة ينبذون الفنّ ظهريًا ، ولكن لا يتأتى لهم ان يفعلوا ذلك بالآداب. وقد اصاب بعضهم ان يلقّبوا بعض ارباب الاقلام بالادبا. المضرّين وهم الذين لا يبالون بالنتائج الادبية ويستودعون النثر والنظم افكارًا وانواعًا من الحسّ شأنها تبديد الاعتقادات الواجب احترامها اشدّ وجوب .

وبناء على ذلك ظهر فساد توهّمهم : « الفنّ للفنّ » . فان الشاعر استنادًا على هذا المبدأ لا يكترث للتأثير الذي يطبعه شعرهُ في قلوب منشديه سواء كان حسنًا او قبيحًا ويكتفي برأيه في الامور البشرية من غير اعتبار ما ينجم عنها من الفوائد الادبية او الاوهام الفاسدة . وكفاه فخرًا ان يعبّر عنها بابدع طراز من الكلام مقتصرًا على ذلك لا غير . ولا يسوغ للناقد ان يزيّف شيئًا من حسّ الشاعر لان نقده محصورٌ في بيان ما للتعبير عن هذا الحسّ من درجات الحسن .

في ما هو مقام الادبيّة في علم الادب

ليس على الاديب ان يجتهد بافراط في بيان الوجه الادبي. فانّ مقام الشعر يفارق مقام الوعظ ، ومنابر المسارح غير منابر الكنائس . فالانسان ينفرُ اذا ما احسَّ بانك تقصد تعليمه فان شئت ان يؤثّر به صُنعك اسعَ في اخفائه ولا تعرّضه للعيان وحسبك ان تتخذ لنفسك من الاشيا. الطبيعة معلّمًا وواعظًا . فاهتمام غيرك في وعظك سببٌ لتجافيك عنه ونفورك منه ، فضلًا عن انه يقيد حرية التبصّر ويضع من كمال الارتياح الى العمل الذي هو غايته ويمنع الشاعر من اشتغال قريحته في استنباط المعاني الشريفة وكشف محاسن البلاغة ويلهيه عن ذلك ببيان وجه من وجوه الآداب ، فانه اذا اتى بوعظةٍ في تضاعيف كلامه يفسد امره ويشوّه وجوه حسنه ويعتاض عمّا تدعو اليه السليقة والحقيقة بالخلل المنافي العقل .

فما قصد شاعرٌ ان يثبت في شعره مسئلةً من مسائل المعتقدات او الآداب

الدينية وأفلح ، ولكن اذا كان يُحجر عليه تعليلُ القضايا الادبية فلا يمنع ذلك من بيان افكاره الشخصية وما يرتأيه في امور الحياة وما يفهمه منها وما يدلّه اليه العقل فيها ، غير ان الذوق الشعري لا يؤذن بابدا. هذه القضايا الّا ان تَرِدَ في خلال سياق الكلام بصورة لا تكاد تشعر بها وان تسوقها اليك مضامينه فتأتيك بعدها عفوًا من غير تكلّف بخلاف ما لو تكلّفها الشاعر مشوّهًا وجه محاسن الشعر وهاتكًا ستره .

العمدة على التأثير الادبي

فقصارى الكلام ان الضابط الادبي الوحيد هو ان يُحدث الشاعر فيك تأثيرًا محمودًا . قال بعضهم : متى قرأتَ قصيدةً واعجبتك افكار الشاعر فيها وأوحت اليك من الشعور اشرفه واسماه فاحكم حينئذٍ من دون ان تلتجئَ الى ضابطٍ آخر ، ان تلك القصيدة من جلائل القصائد وان ناظم بردها من فحول الشعراء .

فأدبية كل تأليفٍ تُعرف بما تورث قراءته من حسن الشعور في النفس . وهذا يصدق في كل الروايات وانواع الشعر وفي كل صنعٍ فنيّ . فان غاية كل أثرٍ فنيّ ما يُبقي من التأثير الاخير لا في الذهن فقط بـل في القوّة المخيلة والقوّة الحسّاسة بعد طبق ذلك الكتاب او ارخاء ذلك الحجاب . وان هذا الّا حالةُ تحيّرٍ واندهاش تستولي على النفس وتتوارد عليها اشكالٌ من الصور وتتناوبها انواعٌ من الحسّ تنبّهُ فيها شيئًا بعد شيء بما يكون لذلك المشهد او لتلك القراءة من قوّة التأثير. ولكن يبدو لنا من خلال هذا الاضطراب الذي يحدث فينا ابتداء ، حالةٌ تنفصل عنه ناتجةٌ لا عن الفكر والنظر بل عن هذه المشاهد التي طال التأمل فيها وعمّا سبّبت من الارتجاجات في القوّة الحسّاسة ، الامرُ الذي هو عبارةٌ عن قَبَسٍ من سعير ذلك التمثيل المشتعل .

فهذه الحالة الناتجة في النفس عن هـذا المشهد او هذه القراءة هي معظم قوّة المتفنّن التي يستغني بها عن كل شيء سواها ، ولا يستغني بشيء عنها ، وهي التي تجعل الصنع محمودًا او مذمومًا بحسب حسن التصرّف فيها او سوءه.

(يتبع)

عود على بدء

كتاب البخلاء للجاحظ

للاستاذ رشدي الحكيم

كانت مجلة «المشرق» الغراء نشرت لي في الجزئين الرابع والخامس من المجلد الثالث والخمسين مقالاً عن كتاب البخلاء للجاحظ طبعة دار اليقظة العربية بدمشق قلت فيه ان هذه الطبعة خير طبعة اخرجت للناس وقلت ان هذا الكتاب على تعدد طبعاته [التي ناهزت العشر] وما بذل من الجهد في تحقيقه لا يزال فيه عبارات غامضة لم يعرهـا الصواب نوره يعوزها تحقيق ادق وتصحيح اتم حتى يجيء الكتاب كما املاه مؤلفه شيخ الكتاب عمرو بن بحر الجاحظ، ثم اوردت ملحوظاتي ذاكرًا اصل العبارة وما ارجح انه الصواب فيها .

وقبل نشر هذا النقد ظهرت طبعة اخرى للكتاب بتحقيق العلامة الدكتور طه الحاجري وتعليقه اصدرتها دار المعارف بمصر وقد اطلعت عليها بأخرة وقرأتها قراءة تدقيق وتبين فرأيت ان هذه الطبعة قد غبّرت في وجه سائر الطبعات التي سبقتها لان المحقق الفضال اطلع على مخطوطتين لم يُطّلع عليهما فيما قبل احداهما مخطوطة كبريلي الوزير العثماني والاخرى مخطوطة باريس وهي ناقصة لا تحتوي الا على نحو ثلث الكتاب كما انه رجع الى مصادر كثيرة غير مباشرة من كتب الادب في تصحيح العبارات وذيل الكتاب بتراجم مستفيضة لمعظم الاعلام الواردة فيه وجلهم من الاعلام الذين اغفل المؤرخون الترجمة لهم ولكن المحقق نقب عنهم في مصادر كثيرة حتى اهتدى اليهم، كما فسر الكلمات الغامضة والادوات والمصطلحات العمرانية مما كان يستعمل في ذلك العصر واغفلته المعاجم وهذا عدا الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب لاسماء الاشخاص والاماكن والاطعمة والادوات والشعر حتى انصاف الابيات وحتى المراجع وهذا الذيل الذي هو ذيل الطاووس يربي على حجم الكتاب .

وقد جاء الكتاب وذيله مجلوا في طبعة دار المعارف بالورق الجيد قطعة

فنية وتحفة انيقة تكاد تكون الحسناء التي عدمت الذام لو ان الدكتور اكمل فضله ففسر الكلمات اللغوية ايضاً.

وقد لحظت ان كثيراً من المآخذ التي أوردتها في نقدي لطبعة دار اليقظة العربية قد جاء على الصواب في حين ان المؤلف لم يطلع على ما كتبت.

ولكني وجدت في الطبعة الجديدة عبارات لا يزال في نفسي منها ما في نفس الفراء من حتى ورأيت ان اعرض رأيي فيها فيما يلي خدمة لهذا الكتاب الجليل الجميل الذي يعد من امهات كتب الآداب العربية.

ص ١ — (لأجعل المنزل مستراحا والراحة جماما) والراحة والجمام في معنى واحد وربما كانت الراحة محرفة عن المزاحة والمزاحة المزاح.

ص ٢ — (وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح وادرك به الجليل الغامض) ولعل الجليل الثانية معدولة عن الضئيل او الخفي.

ص ٣ — (وربما ظن ان قد فطن له وعرف ما عنده فموه شيئاً لا يقبل التمويه ورقع خرقاً لا يقبل الرقع) ضبطت (خرقا) بضم الخاء. والصحيح فتح الخاء.

ص ٣ — (ودلت على حقائق المتموهين وهتكت عن امتار الادعاء) ولعلها وهتكت من استار الادعاء.

ص ١١ — (وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وختم على كيس فارغ وقال: طينة خير من ظَنّة) وربما كانت (خير من ظِنّة بالظاء مكسورة او (طَينه خير من ظَيه) من طان الكتاب اذا ختمه بالطين.

١٢ — لا يقترن احد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته ان يرى اكرومته ولا يخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك غيره) وربما كانت العبارة (ان يرى اكرومته على سواه).

١٥ — عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك وشبة في قلب غيرك) وعندي ان الجملة (وشباة في قلب عدوك) ومن جملة معاني الشباة الحد وابرة العقرب.

١٨ — ورأيت انا حمارة منهم زهاء خمسين يتغدون على مباقل بحضرة قرية

الاعراب في طريق الكوفة وهم حجاج) ولعل الصواب فيها (ورأيت انا جمارا او جماعة منهم) والجمار الجماعة .

٢١ — (فأن وجد قيم البستان رمى اليه بدرهم ثم قال اشتر لي بهذا او اعطني بهذا رطبا) ضبطت اشتر بكسر الراء من الاشتراء . والاولى ان تكون بجزمها فعل امر من الاشتيار بمعنى القطف والجني .

٤٢ — (والجدي بعشرة دراهم انما ينكر عندنا بالبصرة لكثرة الخير ورخص السعر فاما في العساكر فأن انكر ذلك منكر فانما ينكره من طريق رخصه) ربما كانت العساكر محرفة عن الدساكر بمعنى القرى .

٥٩ و٦٢ — (واما ابو محمد الحرامي عبد الله بن كاسب كاتب مويس وكاتب داود بن ابي داود) وجه الصواب فيها (دُواد بن ابي دواد) لا داود ودواد بن ابي دواد ورد له ذكر في الجزء الاول من البيان والتبيين ص١٠٣ تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٦١ — (ما اخوفني ان اكون قد قصد الي بقول ما اخوفني ان يكون الله في سمائه قد قصد الى ان يفقرني) وربما كانت كلمة بقول معدولة عن (يغول) بالغين والغول بالضم الهلكة .

٧٤ — (واطعموهم ما يعرقون فأنه انجع واشفى للقرم) ربما كانت (واطعموهم ما يعرقون) بالقاف من عرق العظم اكل ما عليه من اللحم يدل على ذلك ما جاء بعدها من انه (اراد ان يكيدهم بالثريد ويملأ صدورهم بالمراق) والعراق العظم دون لحم او بلحم .

٨٥ — (ومحبة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيف شاء ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بحبس وان شاء بموت) بزمانه محرفة عن بزمانة بمعنى العاهة لا ان يشغله بالزمن .

٨٦ — (وربما اخذهم ومعه امرأة يفجر بها فيجعل استنجار البيوت وتصفح المنازل علة لدخولها والمقام ساعة فيها) وعلق المحقق على هذه الجملة بقوله (ولعلها كما يدل السياق (وربما اخذ [المفتاح] منهم) وارى ان الجملة (وربما جاء احدهم ومعه امرأة الخ) .

٨٦ — (وربما بلغ من استضعافه واستثقاله لامرأة الكراء اذ يدعي ان له شقيصا وان له يدا ليصير خصماً من الخصوم) يغلب على الظن ان استضعافه محرفة عن استعظامه .

٨٨ — (ومن اتخذ دارا فقد اقام كفيلا لا يخفر وزعيما لا يغرم) ولعلها (وزعيما لا يغر) .

٩٦ — (وهو ان تحضر هذه الزيادة من الخبز على طبق ويكون قريباً بحيث تناله اليد فلا يحتاج احد مع قربه منه الى ان يدعو به ويكون قربه من يده كثرة على مائدته) الصواب (كثرة على مائدته) الكاف هنا للتشبيه والاثر التفريق والتبديد ويكون المعنى ان وضع الخبز على طبق قريباً من يد الآكل مثل تفريقه على المائدة .

٩٧ — (وكانوا يعلمون ان احضار الجدي انما هو شيء من آيين الموائد الرفيعة وانما جعل كالعاقبة والخاتمة وكالعلامة لليسر والفراغ) لعل كلمة الفراغ معدولة عن الفرع والفرع للمال الطائل المعد .

١٠٢ — وكان اذا دخل الصيف وحر عليه بيته اثاره حتى يغرق المسحاة ثم يصب عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطؤه حتى يستوي فلا يزال ذلك البيت باردا ما دام نديا فاذا امتد به الندى ودام برده بدوامه اكتفى بذلك التبريد صيفته . وان جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر عاد عليه بالاثارة والصب وكان يقول : خيشتي ارضي وماء خيشتي من بئري) ولعل الجملة (وكان يقول خيشتي ارضي) كما قال بعد (من بئري) .

١٠٣ — (وقد يأكل الناس القت قداما والشعير فريكا) وارى ان قداما معدول بها عن (قراحا) والقراح بمعنى الخالص .

١٠٥ — (وجعلت ما لا رقعة له مسحاة لي وللجارية اذا نحن قضينا حاجة الرجال والنساء)مسحاة ربما تكون محرفة عن مسحاة وهي ما يسحى به من سحى الطين قشره .

١٦٧ — (ذلك لان الطعام يسكر ويخدر ويختر ويبل الدماغ ويبل العروق

ويسترخي عليه جميع البدن) وربما كانت العبارة (ويثل الدماغ ويثل العروق) بمعنى يهدم والقائل يرمي الى ذم الطعام لا الى مدحه.

١٢٣ — (وها هنا اموال باسمي ولك شطرها واموال باسمك ولي شطرها وصامت في منزلي وصامت في منزلك لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض وان طرقنا امر الله ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية وطال الصخب بين هؤلاء النسوة) ولعل ركدت محرفة عن وقدت كما يقتضيه السياق .

١٣٤ — (إنّك ان اطعمتهم اليوم البرقي اطعمتهم غدا السكر وبعد غد الهلباث ثم يصير ذلك بعد ايام الجمع في سائر ايام الأسبوع ثم يتحول الرطب الى الغداء. ثم يؤدي الغداء. الى العشاء. ثم نصير الى الكساء. ثم الاجداء. ثم الحملان ثم اصطناع الصنائع) الغالب ان (الاجداء) محرفة عن الاهداء. يؤيد ذلك ان الحملان ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

١٣٧ — (وكان شديد العقل شديد العارضة)والعقل لا يوصف بالشدة ولعلها محرفة عن (سديد العقل) بالسين.

١٤٣ — (وما كان من المسامير وقطع الحديد فللحدادين وما كان من القراطيس فللطراز وما كان من الصحف فلروس الجرار) الاقرب ان تكون كلمة الطراز محرفة عن (فللظران) والظران الحجر يقدح به اي ان القراطيس هذه توضع في جانب الظران عند قدحه لتساعد على اشعال النار والطراز علم الثوب والموضع الذي تنسج فيه الثياب الرفيعة والقراطيس الملتقطة من كساحة الدار لا تكون عادة من طراز يستعمل للطراز.

١٥٥ — (تراثه جنة للوارثين اذا اودى وجثمانه للرب والدود)
وربما كانت جنة محرفة عن نهبة .
(وقريت في مقرئ قلائص اربعا وقريت بعد قرىً قلائص اربع)
ربما كان الشطر الاول
وقريت قبل قرى قلائص اربعا
يؤيده ما جاء في الشطر الثاني

١٦٥ — (وقالت عائشة في حبة عنب «ان فيها لمثاقيل ذر » ولعل الصواب « لمباقل ذر » بمعنى ان الذر يستفيد منها لغذائه كما يستفيد الناس من المباقل.

١٦٧ — (زمن خزون ووارث شفون وكاسب حزون) والاوجه ان يكون «وكاسب خزون» بالخاء المعجمة من الخزن .

١٦٩ — (فان نحن جعلنا لابتدائه جوابا وجعلنا لجوابه الثاني جوابا خرجنا الى التهاتر وصرنا الى التخاير) وارى ان التخاير محرفة عن التعاير بالعين .

١٦٩ — (ومتى قامت اخلاطه على الاعتدال وتكافأت خواطره في الوزن لم يعرف من الاعمال الا الاقتصاد ولم يجد افعاله ابدا الا بين التقصير والافراط) وارى ان الجملة (ولم يُجر — بالراء — افعاله) .

١٦٩ — (فدع عنك خلطة الامعة فأنه حارض لا خير فيه) لعل حارض معدولة عن خارص بالصاد المهملة بمعنى حازر اي ليس على يقين من امره .

١٧٠ — (لان ابواب تدبير العاقل وحيله معروفة وطرق خواطره مسلوكة ومذاهبه محصورة معدودة وليس لتدبير الاحمق وحيله جهة واحدة ومن اخطأها كذب) سياق الكلام يدل على ان الصواب (احصاها) لا (اخطأها).

١٧١ — (وسواء جاع فظلم واحفظ وعسف ام جاع فكذب وضرع) كلمة احفظ وان كانت مجزية هنا ولكن كلمة خبط اقرب الى سياق الكلام لتتسق مع جارتيها الظلم والعسف .

١٧٣ — (فأيّنا جعلك معبرا لمدرك حاجته ومركبا لبلوغ محبته) قد تكون (محبته) محرفة عن مغبته وللاولى وجه ايضاً .

١٧٨ — (لكانت حيلهم في الناس اشد تغلغلا واعرض واسرى في عمق البدن وادخل الى سويداء القلب) ارى ان اعرض محرفة عن اعرق كما يقتضيه سياق الكلام .

١٧٨ — (ولو اتخذت الحيطان الرفيعة الثخينة والاقفال المحكمة الوثيقة ولو اتخذت المارق والجواسق والابواب الشداد) ربما كانت (المارق) محرفة عن المحاوز جمع محوز من حاز المال اذا جمعه وضمه اليه .

١٧٩ — وقال عمر : « لفارس الشفارق والحوض » هي الشبارق بالباء ما قطع من اللحم صغارا وطبخ .

١٨٠ — السويق (من عدد المسافر وطعام العجلان وغذاء المبكر وبلغة المريض يسرو فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود) ربما تكون (المكدود) وهو المتعب .

١٨٠ — (وقيل لبعض هؤلاء العامظة والمستأكلين والشناغيف والمقمين) ربما كانت الشناغيف محرفة عن الشناقيق جمع شنقناق وهو الداهية .

١٨٢ — (ولكني خلقت اذا لمال فاجمل بعد ذلك او انيل)

قد تكون رواية الشطر الاول من البيت :

ولكني خلقت ازاء مال

بمعنى سائس للمال كما في معاجم اللغة .

١٨٥ — (ان التواني انكح العجز بنته)

لعل هذا الشطر من البيت :

اذا ما التواني انكح العجز بنته

١٨٧ — (احذر اعطاء المخدوعين وبذل المغبونين فان المغبون لا محمود ولا مأجور) الاولى ان تكون (عطاء المخدوعين) لا اعطاء .

١٨٨ — (اللهم لا تثر لي ماء سوء فاكون امرأ سوء) صوابه (اللهم لا تثرلي ماء سوء) .

١٩١ — (وقد ترى شنف الفقراء للاغنياء وتسرع الرغبة الى الملوك وبغض الماشي للراكب) ربما تكون العبارة (وتسرع الرعية الى الملوك) والتسرع يستعمل في الشر .

١٩٢ — (ومن طمع في السلامة من غير تسلم فقد وضع الطمع في موضع الاماني وانما ينجز الله الطمع اذا كان فيما امر به) لعلها (وانما يجيز الله الطمع) .

١٩٥ — (لا تعينني على الزمان ولا تواسيني ببعض مالك ولا تتفرج لي عن شيء) اظن ان تتفرج محرفة عن تتفرغ بالعين المعجمة .

٢٠٠ — (وادركه ما يدرك المنين من التيه فلم يحملها (خابية فارغة) فكان يركلها ركلة فتدحرج وتدور فيبلغ حمية الركلة ويقوم من ناحية كي لا

يراه انسان ويرى ما تصنع) الاصح ان تكون (ويرى ما يصنع) .

٢٠٢ — (قال : يئس العيش هذا ليس [هذا] عيش آل الخطاب) هــذا الثانية زادها المحقق في حين ان الكلام تام دونها واسم ليس معلوم من الجملة التي سبقتها .

٢٠٤ — (ولم ار لشهواتي تدبيرًا ولا لشرهي صبرا) وفي رأيي ان صواب الجملة (ولم ار لشهواني تدبيرًا ولا لشره صبرا) .

٣٠٤ — (وكان سالم بن قتيبة يركب بغلة وحده ومعه اربعة آلاف مرابطة) وربما كانت (يركب بغلة واحدة) بمعنى انه لا يداول بينها وبين غيرها ولا يبدلها .

٣٠٩ — (فانا لا اتكلم في الولايات ولا اتكلم في الدراهم من قلوب الناس) لعلها (من جيوب الناس) .

٣٢٧ — (جعلنا الالا والرجام وطخفة لهــا فاستقلت فوقهن اثافيا)

وربما كان الشطر الاول :

(جعلنا الألا والرجام وطهفة)

فالالا شجر اخضر والرجام الحجارة وطهفة بالها. لا طخفة نوع من الشجر وهذه الثلاث اثافي للقدر .

٣٣٣ — (رب نار بت ارقبها تقضم الهند والغــارا)

ضبطت تقضم بكسر الضاد وهي بفتحها من باب سمع .

٣٣٦ — (ابا ارب كيف القرابة بينكم
واخوالكم من لحم اكفالها عجر)

قد تكون عجر محرفة عن بجر بمعنى ممتلئة .

٣٦٨ — فات المحقق ان يشير في ترجمة سهل بن هارون الى ابيــات له في الصديق ذكرت في البيان والتبيين في الجزء الثاني ص ١٩٦ وهي :

تكنفني همــان قد كسفا بالي وقــد تركا قلبي محلة بلبال
هما اذريا دمعي ولم تذر عبرتي ربيبة خدر ذات سمط وخلخال

ولكنني ابكي بعين سخينة على جلل تبكي له عين امثالي
فراق خليل او شجي يستشفني لخلة حر لا يقوم لها مالي
فواكبدي حتى متى القلب موجع لفقد حبيب او تعذر افضال
وما العيش الا ان تطول بنائل والا لقاء الخل ذي الخلق العالي

وفي هذه الابيات كما في الابيات التي مدح بها يحيى بن خالد البرمكي التي منها :

عدو تلاد المال فيا ينوبه منوع اذا ما منعه كان احزما

ما يدل على خلق سهل وشخصيته وانه لم يكن بالمنزلة التي وضع فيها من البخل والشح فانظر اليه كيف يتلهف على سد خلة واسداء معونة وكيف يمدح يحيى بن خالد بكونه يمنع اذا ما كان المنع احزم فلم يكن اذن رجلا شحيحا بخيلا كز اليد ولا مبذرا مسرفا متلافا يبدد المال تبديدا في غير وجهه بل كان حكيما متزنا يضع الامور في نصابها ويجبأ المال لاسداء مكرمة وكسب محمدة .

٢٧٩ — (اما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي ظن بك) والصواب (ذي ضن بك) بالضاد المعجمة .

٣١٤ — (ارضا اذا سار بها الجيش بكى
ما سارها قبلك من انس ارى)

والصواب الجيس وهو الجبان ولم نسمع ان جيشا برمته صار يبكي اذا وقع في آزمة .

٣٣٥ — علق المحقق على كلمة خوامزكه (بأنه لم يستطع ان يجد من المعاني المحتملة لهذه الكلمة فيا اتيح له من المعاجم الفارسية ما يتفق مع سياقها) واقول لعلها مشتقة من كلمة خام بالفارسية بمعنى النيء كما ان (مزه) بالفارسية بمعنى الذوق والطعم حسبما رأيت في المعاجم التركية التي لدي وكأن المقصود بها المآكل النيئة كاللحم غير المطبوخ وغير المشوي وغير ذلك مما يوضع على مائدة الشراب من النقل .

٣٣٧ — شك المحقق في الذي رواه ابو عبيدة (عن بخل خالد القسري على الطعام في حين ان ابن عبد ربه عدّه في الاجواد) ولا ارى تناقضاً بين الخبرين اذ قد يكون بخيلاً بالطعام جواداً فيما سواه كما هو الحال مع عبد الملك ابن قيس الذئبي (البخلاء ص ١٤٩) والناس اخياف .

٣٥٤ — واضيف على ما ترجم به المحقق للسدري فاقول ربما كان هناك سدري آخر ورد له ذكر في طبقات الشعراء لابن المعتز ويظهر انه ابن اخ لبشار ابن برد وانه كان راوية للسيد الحميري .

٣٥٦ — رجح المحقق ان المقصود بالخيش مروحة الخيش التي تستعمل لتبريد الجو ويظهر ان الخيش يقصد به شيء آخر فقد جاء في كتاب الحضارة الاسلامية (الجزء الثاني ص ١٥٣) ان في عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة اخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزالون يبلونه بالماء فيبرد الجو وكان الخيش ينصب على قبة . ويحكي المقدسي انه رأى في دار عضد الدولة بشيراز بيوت الخيش يبلها الماء على الدوام بواسطة قني حولها من فوق وكانت حراقات دجلة التي يستعملها رجال الدولة في غدوهم ورواحهم يعد فيها الثلج ويعلق عليها الخيش المبلل بالماء. وكانت ترخى على الخيش ستور الكرابيس . ثم ذكر المروحة ووصفها بما يدل على ان الخيش غير المروحة وكان كلاهما او احدهما يستعملان في الدور الرفيعة .

٣٧٢ — ترجم المحقق محمد بن الجهم وفاته ان يذكر انه ألف كتاباً للمأمون في الاختيارات قريب المأخذ صحيح المعاني جداً وكان اميناً جليل القدر عالماً بالمنطق والتنجيم (اخبار الحكماء للقفطي ص ١٨٦) .

٤٠١ — الفالوذج (فتات البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم) لعلها (لباب البر) لا فتاته .

تعريف عن الكتب

الشيخ بشارة خليل الخوري

حقائق لبنانية

الجزء الاول والجزء الثاني ، ١٩٦٠

بدأ الرئيس الشيخ بشارة الخوري يخرج مذكّراته . وقد ظهر منها سنة ١٩٦٠ الجزء الاول والجزء الثاني ، طبع منشورات « اوراق لبنانية » . وكنّا نتمنى انتظار الجزء الثالث والاخير لكتابة كلمة جامعة عن هذا السفر القيّم : امّا الآن فسنكتفي بكلمة جامعة عن الجزئين الاولين .

يقع الجزء الاوّل في ٣٤٢ صفحة ، ما عدا الصور ، وفيه مراجعة للاحداث التي مرّت بلبنان منذ ولادة المؤلف — في ١٠ آب ١٨٩٠ — الى ليلة انتخابه رئيساً للجمهورية — الى ٢٠ ايلول ١٩٤٣ . فيعود بنا هـذا الجزء الى لبنان الصغير في آخر عهد المتصرفية (١٨٩٠ — ١٩١٤) ، وفي الحرب العالميـة الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، وفي العهد الاوّل للاحتلال (١٩١٨—١٩٢٠) ، ثمّ الى لبنان الكبير في عهد الحكّام الفرنسيين (١٩٢٠—١٩٢٦) وفي عهد الجمهورية اللبنانية تحت الانتداب الفرنسي (١٩٢٦—١٩٤٣) . وهنا المؤلف ، وهو ابن عائلة عريقة خدمت لبنان منذ القرن الثامن عشر ، يظهر لنا في حياته البيتية والمدرسيّة والجامعيّة ، ثم في المحاماة والادارة والقضاء ، واخيراً في الحياة السياسية : دخلها وهو شاب بعد ، وسرعان ما برز فيها ، وأصبح من اهمّ الشخصيات اللبنانيّة ، يتنافس والرئيس اميل اده ، لا يعرف اليأسُ طريقاً الى قلبه بعد فشله في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٣٦ .

امّا الجزء الثاني ، فيقع في ٣٣٤ صفحة ، ما عدا الصور ايضاً ، وفيه مراجعة حوادث ثلاث سنوات فقط — من ٢١ ايلول ١٩٤٣ الى آخر ١٩٤٦ — ، سنوات الاستقلال والجلاء . وهنا تتجلّى صفات رجل الدولة عند الرئيس الخوري الذي عرف كيف يختار من يعاونه في الحكم وكيف يتصرف بحكمة في ظروف عصيبة جداً : كان المسؤول الاوّل ، فلم يخف من تحمّل مهام منصبه السامي ،

موجّهاً الامّة اللبنانية نحو الميثاق الوطني ، ومضحّياً مع رفاقه في الحكم ، في سبيل استقلال لبنان وجلاء الجيوش الاجنبية عنه .

يقول الرئيس الشيخ بعد حديثه عن المتصرّفية : « تلك المشاهد ، التي مرّت من الحياة الحكومية في جبل لبنان ، ليست الّا لمحة خاطفة لا تتعدّى بعض انطباعات رست في ذهني . انها ليست تاريخاً للمتصرفية . » (الجزء الاول ، صفحة ٧٧) . وهذا الحكم ينطبق على كلّ مذكّرات رجال الدولة الكبار ، كتشرتشل وديغول وبشارة الخوري . بيد أن مذكّرات الرئيس الشيخ ستبقى مرجعاً من مراجع تاريخ لبنان الحاليّ ، وكما يقول الاستاذ فيليب تقلا في مقدّمة الجزء الثاني ، « رائعة من روائع الأدب السياسي . »

جبرائيل مالك اليسوعي

امين نخله الفنّان

بقلم فؤاد سابا

منشورات مجلة الورود – بيروت ١٩٦٠ – ١١٥ صفحة

جرّب المؤلف ان يحصر شيئاً من شخصية الامين في صفحات قلائل وقد اتى على ذكر شعره وصنعة شعره ونحت الكلمات في هذا الشعر مع ما ضمّنهُ الامين من عاطفة جيّاشة وحبّ صادق . فاتى الكتاب دقيقاً يسير الهوينا في تحليل هذه العاطفة او تلك مترى من خلال الصفحات ، وقد ضمّت الابيات الكثيرة من دفتر الغزل وغيره ، شخصية فذّة تألّكت على ناصية اللغة وتوصّلت الى أوج البراعة فطابقت المفردات على ما هناك من المعاني ومن العواطف تجعل الامين في مصافّ الشعراء الملهمين ، وقد نعبّر عن الإلهام الشعري بقولنا انه التعبير الفطري عن الوحدة التي تجمع بين الشاعر والطبيعة وقد نظر اليها نظرة الصديق والاليف ، نظرة الاخ الواعي .

هذا وإننا لنحثّ المؤلف على درس ما كتبه الامين نثرًا ففيه ما يرتقي بالقارئ الى قمة الفكر الادبي وأوج الاسلوب الصافي .

ا . ع . خ

الخطيئة البيضاء

قصة لمخائيل معوض

منشورات دار الند (٣٠ × ١٦٫٤٠) ٣٢٠ صفحة

للضيعة اللبنانية عادات وتقاليد وطريقة عيش يزلنا ان نراها تتلاشى. وللضيعة حضارة فطرية بناها الاجداد فعاشوا بظلها وبلغتنا سليمة من كل شائبة على يد الرهبان القديسين سكان الصوامع والاديرة النائية اولئك الذين تركوا العالم لا يأساً او مجاذفة انما رغبة في عبادة الرب وخدمة العالم بهمة اوفر وانتباه ازيد. فجمعوا بين العمل والصلاة والتقشف والتضحية فتباركت ارض لبنان بتعبهم وتقدست تربته برميم عظامهم .

« الخطيئة البيضاء » هي بادرة فريدة في ادبنا العربي تصور لنا اخلاق ابناء الضيعة وعاداتهم اللبنانية الشريفة تصور لنا المدرسة تحت السنديانة مثلاً والحفلات الدينية في الضيعة واعيادها كاسبوع الآلام « والعيد الكبير » عيد الفصح. هي قصة مستمدة من تاريخ هذا الجبل ومن تقاليد شعبه الحية . هي قصة الفتاة مارينا التي سمعت نداء الدعوة في قلبها فلبت النداء بسخاء. ودخلت الدير مستترة باسم الاخ مارينوس فصهرت حبها البشري بحب الهي . تُهمت بالاعتداء على شرف فتاة اثناء القيام بعمل رسولي فكتمت سرها وصبرت وقدست نفسها بالتضحية والمثابرة والجهاد .

ينتقل بنا ميخائيل معوض في « الخطيئة البيضاء » الى القرون الوسطى اللبنانية والى منطقة لبنان الشمالي فنعيش مع ابناء قرية القلمون حيث يُصوِّر لنا الكاتب بعمق وواقعية مأساة صبية مؤثرة فيرينا مارينا اليتيمة الام تضحي بحبها لرفيق صباها لتلحق بوالدها فترافقها « يسيران معاً الى الدير جنباً الى جنب هو يتكلم كمن يتأمل وهي تصغي كمن يحلم » (صفحة ١٠٤) . ونشاطر الرهبان حياتهم التقشفية في دير قنوبين على اكتاف وادي قاديشا « فينتشرون هنا وهناك لاشغالهم هذا في كناسة الدير وتنظيف تماشيه وهذا ينحدر الى المطبخ فيبدأ باشعال النار وتحضير الغداء وهذا يتأبط المنجل ويهبط الى الحقول

وذاك يجلس نفسه في غرفته للقراءة والترجمة والنسخ وغيره ياترم الكنيسة وآخر ينتظر الضيوف وآخر لاصلاح ما تعطل في الدير وتضرر » (صفحة ١٨١) . ونشترك معهم في حفلة تجديد النذور « بعد ان قاموا باكرا يزينون الدير والمعبد فيشلحون عليه وشاحاً من البهجة والحبور » (صفحة ٢٥٥) . ونتمتع برأى « النهر الذي خطّ له الطريق، ينبجس من قلب صخر في قاب كهف من مغارة قاديشا مغارة القديسين منذ مئات الوف السنين منحدراً في الاخاديد ملتوياً لئلا يصطدم بجبّار الصخور مختفياً بين حين وحين تهدداً ، مسالماً ، متكبّراً ، رفيعاً ، وقحاً حيناً » ونسمعه ينشد « وهو ينشد منذ ان كان وقبل كان يوم كانت الارض » (صفحة ٢٤٩) .

ويطول الوصف والشرح عن تلك الحياة وتلك الربوع باسلوب جذّاب بعيد عن التصنع وانشاء سهل قريب من الواقع فنرى ونصغي ونطرب ولا نمل . ونطبق الكتاب فنطبق جفنينا لنسبح في فكرة وحلم وخيال ونذكر نشيد الياس ابي شبكه « ارجع لنا ما كان يا دهر في لبنان » . ونتوق من جديد الى تلك الحياة الطاهرة او اقلّه الى المزيد من نوع هذا الادب الذي يرسم لنا ويُحيي « حضارة في طريق الزوال » . انطوان الجميّل

رسائل امين الريحاني ١٨٩٦ـ١٩٤٠

جمعها وبوّبها البرت الريحاني

بيروت – دار ريحاني للطباعة والنشر – ١٩٦٠–٥٦٠ ص .

اذا تكلمنا على اسلوب الريحاني في فن الرسالة فقلنا انه من اول رسالة يحتوي عليها هذا الكتاب الى الاخيرة اسلوب ساحر في بساطته جذّاب في ظرفه خلّاق في جدّه وتهكّمه . فيطالع القارئ كل هذه الرسائل وهو يطلب المزيد الى ان ينتهي به المطاف .

واذا تكلمنا على الاشخاص الذين هم على اتصال بالريحاني فهمنا ان هناك الملك والشاعر والاديب والطبيب والسياسي والامير والمستشرق والوالدة والشقيقة والاخ الحبيب واليهم كلهم يبعث بنبضات قلب محبّ قد تأثر من الحياة لانه

ارادها على غير ما هي في بعض مظاهرها .

واذا نظرنا الى المواضيع التي طرقها رأينا أنه ينتقل بين الفلسفة والادب والتصوف والدين والتاريخ والسياسة وفي كل هذه المواضيع له نظرة شخصية تميّز بها ويريد ان تكون ميزة القارئ او المراسل. وقد سبق له ان تكلم على الدين بلهجة العصر الذي عاش فيه ، عصر مادية وعصر نكران : وجود الروح وعصر ما يدعونه بالتحرّر حتى من قيود الدين . وعلى هذا يُنتقد ، وعلى هذا لا شك ان ضميره بكّته. وفي ظني انه لم ينتقد الّا مظاهر الدين لا الدين نفسه وهو اعلى من ان يُنتقد ؛ لقد انتقد رجال الدين وفي ذلك رغبة شخصية او عداوة اتصف بها ضدّ فلان او فلان ولكنه لم يتوصّل بجهد الى اكتشاف كنه الدين وميزاته . اذاك الكان فاز بما تصبو اليه نفسه من تحرّر حقيقي ثابت .

وفي كل هذه الرسائل يبدو الريحاني ذلك القومي الذي يُضفي على كتاباته كلها — وهي بمثابة يوميات يتتبعه فيها القارئ ويرى من خلال السطور اختلاجات قلبه الحساس — ثوباً هو له لم يقتبسه من اديب غيره فتميّز به . وفي هذا ما يسحر القارئ ويقوده الى متابعة القراءة فيصير كالريحاني واقعياً لا محاباة عنده ولا مواربة .

ولذا فان قراءة هذه الرسائل تجعلنا نقف على حقيقة نصف جيل تقلّب بين طيّات التجدّد والتمسّك بالتقاليد ، على سنين مشحونة في تاريخ لبنان وتاريخ العالم بثورات نفسانية ونزعات جمّة نحو التحرّر والاستقلال .

ا. عبده خليفه اليسوعي

احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية

بقلم روفائيل بابو اسحق

مطبعة شفيق — بغداد ١٩٦٠ — ٢٨٣ ص

كان المؤلف قد نشر سنة ١٩٤٨ كتاباً عن نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا وها هو ذا الآن يتحفنا بتاريخ نصارى

بغداد : فمن تاريخ دقيق وتفتيش علمي صادق إلى انفتاحات على اللغات القديمة المركبة منها اسماء المدن والقرى والديارات إلى احكام صافية عن علاقات النصارى والمسلمين في خدمة الوطن الواحد ، كل ذلك يحمل القارئ على متابعة قراءة هذه الصفحات المشحونة علماً والتي تعود بنا الى عصور قد يغيب عنا ما جرى فيها من تسامح ديني واخوة صادقة بين اخوة الوطن الواحد في ظل الحكم الكريم بعد ان ابدى النصارى من المقدرة العلمية والشهرة الواسعة والامانة التي لا تنفصم عراها فاستخدمهم الخلفاء والقوا على عاتقهم المناصب الجليلة . فمن تعريب الكتب الى تأسيس وبناء الكنائس الى رفع دعائم المستشفيات الى جمع الكتب في المكتبات الكبيرة ، كل ذلك جعلهم يخدمون المصلحة العامة ويسهرون عليها . ولم يكتفوا بذلك الى ان بنوا حول بغداد المزارع النضرة التي دمجت بمدينة السلام عندما ارادها الخليفة ابو جعفر المنصور عاصمة الخلافة ومدينة الاشعاع الفكري .

هذا شيء من الثروة التي ضمنها المؤلف صفحات هذا الكتاب الثمين واذا ما قلنا ان الاخبار التي يسردها عن حياة الاطباء النصارى لشبيهة بقاموس اعلام فاننا لا ننتقد انما كنا نود ان يكون ذلك السرد اقل جفافاً . على كل فان الكتاب هذا لمعين يستقي منه اصحاب التنقيب اذ انه يلقي نوراً ساطعاً على امور غابت او كادت عن فكر الباحثين . ا. ع. خ.

ربيع العرب

بقلم بنوا ميشان

دار المكشوف – بيروت ١٩٥٩ – صفحة ١١١

هذا الكتاب هو من الكتب التي تُقرأ بشغف لانها تحمل الينا خبايا افكار وارا من يظنون انهم يوجهون التاريخ . فمن فكرة اساسية نبتت في رأس قائد فجماعته يثور على الاوضاع القائمة ، الى ردة فعل قاسية قربت العالم من خطر الحرب ، الى انفعالات نفسانية تحمل صاحبها الا ينام على ضيم ، كل ذلك نراه في هذه الصفحات التي اجتهد مؤلفها ان يعطينا فيها بصورة وضعية

صادقة ملخص احاديثه مع رجال اليوم في البلاد العربية . فمن حنت نفسه الى السياسة وجد بين سطور هذه الصفحات بعد نظر الرجل الذي يحمل بين يديه مقدرات مستقبل وطنه ، وطموح ذلك الآخر يتنبأ بهبوط عرش وبمصرع حاكم الغد ، وحنكة ذلك السياسي التي تجعله يتحسس الامور قبل وقوعها لشعوره المرهف واختباراته الثرية .

ومما يذكر في هذه الصفحات الصراحة التي كانت تجمع بين الاشخاص . وما اجملها اذ تخلق الثقة المتبادلة وتحمي من النيات المبطنة . فمن حديث مع قائد مصر الى حديث مع صاحب ثورة العراق الى ذلك الذي اراد دمج سوريا بمصر الى من كان في العراق يأمل دوماً النجاح والسيطرة الى تركيا بلد الذكريات والحنين الى نتائج مقتضبة ينهي بها المؤلف مطافه . ا . ع . خ

ثلاثون سنة في خدمة الاحسان ١٩٢٩–١٩٥٩

بقلم المحامي فتح الله الصقال

هدية مجلة الكلمة لقرائها ونصرائها ١٩٦٠

– مطبعة الضاد – حلب – قطع ٨ كبير صفحة ٤٢٠

وضع المؤلف كتابه عن تصدير غبطة البطريرك مكسيموس الصائغ وعن طلب سيادة المطران مدوّر المساعد الاول لغبطته دونه ذكر الحوادث الخيرية والاجتماعية والادبية والعمرانية والعائلية التي جرت من ١٩٢٩ الى ١٩٥٩ بحلب وكان لها العلاقة بالكلمة ومشاريعها ومجلتها .

« والكلمة » هو عنوان الحركة التي نشأت بفضل الاب بولس قوشقجي فكانت نواة لنبتة ازدهرت واثمرت بالخيرات لما اغدق عليها المحسنون من الحسنات مع بركة العناية الالهية فشادت المأوى للعجزة والمستشفى للمرضى « فجعلت الغني يعطف على الفقير واعلنت لزوم عدم اعتبار الفوارق الطائفية بين افراد الامة وكانت همزة الوصل بين المغتربين والمواطنين (ص ٧) فضلا عما افادت به الادب العربي » مشجعة الكتاب والشعراء ، فتعرض مآثرهم الطيبة (فهرس القصائد ص ٣٨٨) على صفحات مجلتها الزاهية . وان ورقنا الصقيل

الناصع وطبعها الانيق يشهد لمطبعة « الضاد » واصحابها بحسن الذوق وجمال الفن (راجع فهرس القصائد ص ٣٨٨) .

وهذا الكتاب حقيق بان يتصدر دور الكتب في مضاف تواريخ حلب وفيه تكملة لما وضعه كامل الغزي وراغب الطباخ ولما ننشره من « الوثائق » .

— « ثلاثون سنة في خدمة الاحسان » جاء فيها ذكر الاعلام والحوادث والايام عن المصادر الراهنة المؤلفة المواد للكتاب المؤرخين ويزيدها قيمة ويقرب الى الفداء مطالعتها ما وضع في آخر الكتاب من الاسماء المرتبة الترتيب القاموسي الهادية الى معرفة الشخصيات من معاصرينا لا سيما المقتربين منهم .

وان الحوادث التاريخية التي دونها الاستاذ فتح الله صقال (اطال الله عمره) ستبقى عبرة وذكرى . ولعل اهمها فيما يخصنا نحن المسيحيين بنا. دير راهبات كرمل السيدة عذرا. سورية (صفحة ٣٧٥—٣٧٩) وقد دشنه في حلب في ١٨ شباط ١٩٦٠ رئيس الدولة .

الاب فردينان توتل اليسوعي

Michel Breydy : *L'Office divin dans l'Eglise syro-maronite, son obligation à la lumière du Synode libanais et de ses sources juridiques.* — Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1960, X - 188.

بدقة علمية وتفتح صادق على كل ما قيل في هذا الباب ، يسير المؤلف راسخ القدم في درس الفرض الماروني والزامه . فلقد تصفح الكتب والمجلات وشاء ان يجوب المكتبات الثرية في اوروبا والشرق ليقف على كل ما يلقي نورًا على تطور فكرة الزام الفرض من اللحظة التي فيها كان الشعب يصلي في بدء ايام الكنيسة الى الصلاة الجمهورية الرهبانية ، الى الصلاة الفردية ، الى غير ذلك مما صرح به المؤرخون . ولذا فلقد احب المؤلف ان يقسم درسه هذا الى ثلاثة اقسام . فالقسم الاول يشتمل على اجماليات تتعلق بالفرض الالهي الكنسي والرهباني ، بالفرض اللاتيني والفرض الشرقي ، بمفهوم الفرض في الكنيسة المارونية. ولقد توسع المؤلف بهذا الفصل وفتح، بعد ان جمع ما جمع من الوثائق، بابًا جديرًا بان يلجه المنقبون خدمة للعلم . اما في القسم الثاني فلقد تطرق المؤلف الى درس الزامية الفرض من الوجهة النظرية اولًا ثم من الوجهة العملية

عند اباء الكنيسة وفي المجامع . امّا في القسم الثالث فلقد القى بعض النور على الزامية صلاة الفرض الفردية ، وذلك حسب قوانين المجمع اللبناني الملتئم سنة ١٧٣٦ الى ان انهى درسه بسرد بعض الاراء في تطوّر الفرض الفردي وتطبيقه على الظروف القائمة .

يتميّز هذا الدرس بروح علم وتنقيب وبجرأة في اتخاذ موقف صريح تجاه الامور المعلّقة . فمنهم من قال ان الفرض ليس بالزامي في الكنيسة المارونية ومنهم من قال بالعكس . وهو الرأي الصائب . امّا اتى المؤلف واحبّ ان يحكم في هذه القضية وأن يخلّص المفكرين من عقدة كادت تستلك . فأعطى النصوص الاصلية واستند اليها واوّلها وجعل منها برهاناً صافياً لرأيه الذي لم يعد رأياً شخصياً تفرّد به ولكن هذا الرأي هو منبثق من اعماق امّة بنت على الصلاة والتقشّف صرح مجدها وباتت تجبر ابناءها الكهنة بان لا يجعلوا هذا الصرح يتداعى فاجبرتهم بالفرض الذي هو الصلاة الفردية والعامة في آن واحد .

فنهنّئ المؤلف ونودّ لو يتابع تنقيباته العلمية عله يهدينا الى اكثر .

ا. ع. خليفه اليسوعي

André Deroo. — *L'homme à la jambe coupée, ou le plus étonnant miracle de Notre-Dame del Pilar.* — Lib. Arthème Fayard 1960. Paris. 215 pp.

لا يستطيع إنسان ان يقبل باعجوبة رجل كانت رجله مقطوعة فعادت اليه سالمة . وإنه لمن الخطورة ان يقوم مؤلف فيسرد علينا مراحل هذه الاعجوبة . ولقد جاذف الاب درو وبدقته العلمية المعروفة ورجوعه الى الوثائق الاصلية اتانا بكتاب يشتاق اليه القارئ . ولم يغرب عن المؤلف ما سيقوله اخصامه الذين لا يؤمنون بالروحيات وينكرون وجود الله . ولم يغرب عنه ما سيتحدث به من يرون رجلاً تنبت من جديد . فساند اقواله بحقائق غريبة عن الشك .

ولكن لم يقف عند سرد حوادث انما من خلال كتابه تبدو اسبانيا في عبادتها نحو مريم العذراء . في القرن السابع عشر خاصة في سراغوسا . ولقد وصف اكرام مريم ذاك في قلوب الاسبانيين ميكال خوان بليسر وهو من مواليد كلندا ، قُطعت رجله اليمنى سنة ١٦٣٧ وعادت فنبتت في التاسع والعشرين من

اذار ١٦٤٠ وذلك بنعمة خاصة من الله بشفاعة مريم . تلك الرجل المقطوعة والمدفونة في مستشفى سراغوسا .

أمن الحكمة ان نولي هذا الحدث أهمية وقد نسمع حولنا انه من المحال أن يحدث ؟ هذا ما يجيب عليه كتاب الاب درو . هناك شهادات عديدة ابداها في الدعوى القانونية عدد كبير من الشهود وذلك في الشهور الاولى بعد الحادث وهناك ايضاً رأي اسقف سراغوسا وقد وطد اسسه ببراهين دامغة في ٢٧ نيسان ١٦٤١ : هذا كله يسمح للمؤلف بان يأتينا بنتائج درسها وفحصها ولا يعلو اليها الشك والارتياب .

إن هذا الحدث الذي كان حديث المحافل في انكلترا واسبانيا وغيرهما من البلدان وكل ما رافقه من المجادلات الحماسية يبرهن انه لم يكن حدثاً عرضياً. ولقد توصل الاب درو باسلوبه الجذاب ان يوقظ فينا روح التقوى والمرح معاً . وقد زاد على مؤلفه صوراً لم تنشر بعد ولذا فهذا الكتاب بصوره ونصه لا يترك احداً في لا مبالاة .

وفي طيات الكتاب وفي آخره يجادل المؤلف الجدال العميق عن ماهية الاعجوبة في حد ذاتها ويتوصل الى القول انه ليس امر غير ممكن عند الله .

ا. ع. خ

Les Enseignements Pontificaux : Le Laïcat, Le Mariage, Notre-Dame, L'Église, 2 vol. — Desclée. 1956 et sq.

ائتمن الله رعاة الكنيسة على الحقيقة كي يوصلوها ناصعة الجبين من جيل الى جيل حتى نهاية العالم الى المؤمنين ولذا نرى الباباوات خاصة في العصور السوداء حيث نفذ الكفر وساد العقل يستلهمون كلام الله ويفسرونه للمؤمنين طريقاً سوياً وهدى .

ولكنهم لم يكتفوا بالسهر على كلام الله وبحفظه انما توجب عليهم ان يلقوا بنوره على مشاكل الساعة وعلى الحوادث التي تحيط بهم والتي فيها على الانسان المسيحي المخلص ان يسير حتى الديونة الاخيرة .

فهناك مشاكل اجتماعية وثقافية ، هناك صلات بين الدول والامم ، هناك

امور عائلية ومهنية درسها الباباوات بانتباه ودقة كما ودرسوا ماهية الكنيسة ، حياة وقداسة اعضائها ، حماية ونشر الايمان ، الرسالة المسيحية .

ويعود الى هذا التعليم المسيحيون متذكرين كلام المسيح السيّد : من يسمعكم فهو يسمعني وان وراء بطرس المسيح بالذات .

اما خارج الكنيسة ، بينما تهبّ الاعاصير وتسود الآفاق وتتزايد الاضطرابات في العقول فان صوت الباباوات يرن كل يوم في الاذن بقدر مــا ينمو احترام الكنيسة وبقدر ما تبدو الحلول الاخرى من اي صوب اتت قليلة الفعالية ، ضئيلة المنفعة .

ولكن هناك صعوبة توقف الارادات الحسنة ، وهي ان تجد تعاليم الباباوات مجموعة في كتاب واحد . ولكي تسدّ هذه الثغرة فقد اسست هذه المجموعة الخيّرة وغايتها ان تريح القارئ من عناء التفتيش في كتب يكثر عددها كل يوم ومجموعات يطول العثور فيها على المراد . ولقد توخت هذه المجموعة الجديدة اعطاء نظرة اجمالية كاملة دقيقة في الوقت نفسه عن فكرة الباباوات لا تستطيع نصوص متفرقة او مقطوعة من جوها ان تعطيه اياه .

ولقد عملت هذه المجموعة للوصول الى هاتين النتيجتين بان قدمت النصوص بصورة زمنية تدريجية وبصورة موحدة : كل ما قيل في مادة من المواد معروض في الوقت الذي قيل فيه في مجلد واحد .

وُضعت في آخر الكتاب فهارس هجائية وتدريجية مفصّلة تسمح للقارئ بان يجد بسهولة ما يفتش عنه وان يضعه في جوّه مع ما هناك من نظرة شاملة على فكرة الباباوية .

اعتبر مدبّر هذه المجموعة ان البابا بندكتوس الرابع عشر (١٧٤٠) اهل بأن يكون كلامه مبدأ ورأس النصوص المنشورة . فهو الذي فتح لخلفائه طريق الرسالات الرعائية الكبرى لتدريب الكنيسة ولاعطاء المؤمنين الحلّ المسيحي لمشاكل الساعة .

ويجد القارئ مع الرسالات الباباوية الكبرى والاذاعات الدينية المؤتمرات الدينية الدولية بعض الشروح والتفاسير التي اعطاها الباباوات على ممر الزمن . وكل نصّ في جوّه وفي زمن كتابته واسم المرسل اليه .

هي هذه المجموعة المنتظرة يستطيع القارئ ان يتبع الباباوات في توضيح الامور الدينية والعالمية ، وان يفهم ما الفكرة المسيحية وللحل المسيحي من القوة لالقاء النور على ما يعترض الانسان كل يوم من مصاعب ومشاكل .

د. د. ب

Dom Thierry Maertens, o.s.b. *C'est Fête en l'honneur de Yahvé.* - éd. Desclée de Brouwer, coll. « thèmes bibliques ». Belgique 1961. 224 pp.

لم ينقطع المؤلف ، وهو استاذ في جامعة ليل الكاثوليكية ، عن الاهتمام بتطور الطقوس. فهو يدير مجلة راعوية ذات قيمة وسافر مرات واتصالاته العديدة كانت دوماً خير اختباراته وجعلها في متناول القارئ اللبيب . وقد شاء ان يعطي للقارئ في هذه السنة بالذات مع ما تحمل الايام من تطور سريع وتقلبات عنيفة تفكيراً مسيحياً في مشاكل الساعة . لغة الطقوس قديمة ، حيث حركاتها لا بعد ، نسبة الذين يفهمون اسرارها قليل جداً . لذا فان في مؤلفات الاب مرتنس لدليل صادق وطريق سوية توصل الى الغاية . ولقد وجد المؤلف ان هناك بين الطقوس المسيحية وبعض الطقوس الوثنية شبهاً ، مثلاً بين طقوس الفصح والسنة الجديدة والسبت والحج والماء والنور والشر ولقد درس هذا الشبه وحلله بجبارة العالم المنحني دوماً على الكتاب المقدس يخرج من كنزه جديداً وعتيقاً . ولا يعيب كتب مرسيا الياد او فان در لوي او روجه كالوا ان يكون كتاب الاب مرتنس هذا في صفوفها .

ا. ع. خ